

فقه عقائد الإسلام

عن رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

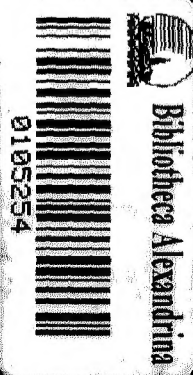
وإليه

جواب أهل السنة النبوية
في نقض كلام الشيعة والزيدية

لمؤلفه

عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
المعروف بابن الشيخ

منشورات دار الإفاق الجديدة بيروت



فِي عَقَائِدِ الْإِسْلَامِ

فِي عَقَائِدِ الْإِسْلَامِ

مِنْ رِسَالَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ

وَيَلِيهِ
جَوَابُ أَهْلِ السُّنَّةِ النَّوَاسِتِ
فِي نَقْضِ كَلَامِ الشَّيْعَةِ وَالزَّيْدِيَّةِ

لِأَوَّلِهِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الشَّيْخِ
١١٦٥ - ١٢٤٢ هـ

صَحَّحَهُ وَعَلَّقَ حَوَاشِيَهُ
مُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَا

مُرَاجَعَةٌ وَقَدِيمٌ
لِجَنَّةِ إحيَاءِ التَّراثُثِ الْعَرَبِيِّ
بِئْنِ دَارِ الْآفَاقِ الْجَدِيدَةِ

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الآفاق الجديدة
الطبعة الثانية
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ / ١٢٠٦ هـ

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، رأس الوهابية وإمامهم، وزعيم النهضة الدينية الاصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. ولد ونشأ في العيينة، من اقليم العارض في نجد، وكان ابوه شيخاً فقيهاً، فربي في كنفه على المذهب الحنبلي. قيل ان جده سليمان وكان ينسب الى آل البيت، قد رأى في منامه ناراً خرجت من سترته وأضاءت البوادي جميعها، وقد فسر بعضهم هذه الرؤيا، بأنه سيخرج من صلبه رجل عظيم يهدي الناس، وينشئ ملكاً واسعاً، وكان التفسير وكان حفيده الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

طلب محمد العالم في دمشق، وتشرب مبادئ الامام الحافظ حجة الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، وابن عروة الحنبلي وغيرهم من فحول أئمة الحنابلة. ثم رحل الى الحجاز، ومكث في المدينة يقرأ على بعض علمائها. ودخل البصرة فأوذى فيها، وعاد الى نجد، فسكن «حريملاء» وتزوج فيها. وأقام في حريملاء، ناهجا منهج السلف الصالح، داعياً الى التوحيد الخالص ونبذ البدع وترك ما علق بالاسلام من اوهام. أنحى على قومه باللائمة لتقاعسهم عن الفروض الدينية، واهملهم قواعد الدين الخفيف، وبالغ في تعنيفهم، وانكر عليهم الاعتقاد بالأولياء وزيارة القبور والاستغاثة بغير الله، حتى تأمر بعضهم على قتله، وتربصوا به ليقتلوه، لكنه ادرك خطتهم، ففر الى بلده العيينة، وأخذ من هناك يعمل على اجتذاب الأحزاب اليه تارة بالوعظ وتارة بالمراسلة والاقناع، فالتفت حوله جماعات كثيرة، من بلدته وما يحيط بها، وقوي نفوذه، وصار يحكم بين اتباعه بما يراه. وارتاح أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر الى دعوته فناصره اول الامر ثم بعد ذلك خذله، وسعى أمير الحسا في قتله بعد انتشار

دعواه، ففر الى الدرعية في نجد عام ١١٥٧، فتلقيه اميرها محمد بن سعود بالاكرام، وقبل دعوته وآزره. فتكاثر انصاره، وانتشرت تعاليمه في نجد وغيرها، وكانت دعوته وقد جهر بها، الشعلة الاولى لليقظة الحديثة في العالم الاسلامي كله، فقد تأثر بها رجال الاصلاح في الهند ومصر والعراق والشام. فظهر الآلوسي الكبير في بغداد، والأفغاني في أفغانستان، ومحمد عبده في مصر، وجمال الدين القاسمي في الشام، وخير الدين التونسي في تونس وغيرهم ممن عرفت اسماءهم واشتهروا. وقد اطلق على من ناصروه ووالوه لقب « أهل التوحيد»، أو «إخوان من أطاع الله» وقد ساهم خصومهم بالوهابيين نسبة له، وقد شاعت هذه التسمية عند المستشرقين، فكتبوها في مصنفاتهم ومعاجهم الحديثة، وأخطأ البعض فعدها مذهباً حديثاً في الاسلام.

وما زال محمد بن عبد الوهاب عاملاً على نشر تعاليمه من الدرعية وابن سعود يؤازره ويعضده، حتى توفي محمد بن سعود وخلفه ابنه عبد العزيز. وقد آزر عبد العزيز أيضاً الوهابية وعمل على انتشارها، وقاتل من خالفها. وهكذا عمل آل سعود على نصره الوهابية وانتشارها، حتى دخول ابراهيم باشا الدرعية عام ١٢٣٣ هـ.

توفي الشيخ محمد في ٢٩ شوال من العام ١٢٠٦ هـ في الدرعية بعد مكوثه فيها ستاً واربعين سنة، وحفداؤه اليوم يعرفون ببيت « الشيخ » ولهم مقام رفيع عند آل سعود.

كِتَابُ الْجَوَاهِرِ الْمَضِيَّةِ

تَأَلَّفَ
الْشَيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

وفيه بيان عقيدته وما دعا اليه، ويليه بضع رسائل له
في بيان حقيقة التوحيد وكلمته والشرك الجلي
والخفي والنفاق الاعتقادي والعملي

(عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين . سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته

وبعد أخبركم اني والله الحمد عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل
السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الائمة الاربعة واتباعهم إلى يوم
القيامة ، لكي يثبت للناس اخلاص الدين ونهيتهم عن دعوة الانبياء والاموات
من الصالحين وغيرهم ، وعن اشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل
والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي
مرسل ، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل
السنة والجماعة . وأنا صاحب منصب في قريتي مسوع الكلمة فأنكر هذا بعض
الرؤساء لكونه خالف عادة نشئوا عليها .

وأيضاً ألزمت من تحت يدي باقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض
الله . ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع من المنكرات ، فلم يمكن الرؤساء
القدح في هذا وعييه لكونه مستحسناً عند العوام ، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما
أمر به من التوحيد وما نهيتهم عنه من الشرك ، ولبسوا على العوام ان هذا خلاف
ما عليه الناس ، وكبرت الفتنة جداً ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله ، فنقول :
التوحيد نوعان : توحيد الربوبية وهو ان الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير
عن الملائكة والانبياء وغيرهم ، وهذا حق لا بد منه لكن لا يدخل الرجل في
الاسلام ، بل أكثر الناس مقرون به ، قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء
والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الامر؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) وأن الذي يدخل

٢ توحيد الالهية وما طرأ عليه من الشرك بدعاء غير الله

الرجل في الاسلام هو توحيد الالهية وهو أن لا يعبد إلا الله لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا ، وذلك أن النبي ﷺ بعث والجاهلية يعبدون أشياء مع الله ، فمنهم من يعبد الاصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة ، فنهأهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحيد ولا يدعى أحد إلا الله ولا الملائكة ولا الانبياء ، فمن اتبعه ووحد الله فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى أو الملائكة واستنصرهم والتجأ اليهم فهو الذي جحد لا إله إلا الله مع اقراره أنه لا يخلق ولا يرزق إلا هو .

وهذه جملة لها بسط طويل ولكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء فلما جرى في هذه الامة ما أخبر به نبينا ﷺ حيث قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم (اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وصار ناس من الضالين يدعون أناسا من الصالحين في الشدة والرخاء مثل عبد القادر الجيلاني واحمد البدوي وعدي بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصالح صاح عليهم أهل العلم من جميع الطوائف أعني على الداعين وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم ، وبين أهل العلم في أمثال هذا انه هو الشرك الاكبر وعباد الاصنام ، فان الله سبحانه انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يدعى معه إله آخر

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتمائيل المصورة ، صرورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى عن أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ

دعوة الرسل المشركين المقربين بالربوبية إلى توحيد الالهية

بانهم يدعون الملائكة والاولياء والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب اليهم
والا فهم مقرون بان الامر لله، فهم لا يدعونهم الا في الرخاء ، فاذا جاءت الشدائد
أخلصوا لله . قال الله تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه
فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) الآية

واعلم ان التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي
أرسلهم الله به إلى عباده ، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في
الصالحين ودأ وسواع ويعقوب ونسراً . وآخرهم محمد ﷺ . وهو الذي كسر
صور هؤلاء الصالحين ، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون وينذكرون
الله كثيراً ، ولكنهم يعملون بعض الخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى ،
يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى
ومريم وأناس غيرهم من الصالحين . فبعث الله محمداً ﷺ بمجدد لهم دين أبيهم
إبراهيم ، ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه
شيء لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فضلاً عن غيرهما ، وإلا فهؤلاء المشركون
يشهدون ان الله هو الخالق وحده لا شريك له ، وانه لا يخلق ولا يرزق إلا هو
ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، وان جميع السموات السبع ومن فيهن ، والارضين
السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره

فاذا أردت الدليل على ان هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ
يشهدون بهذا فاقرا قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك
السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر
الامر ؟ فيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون * فيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم * فيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل

٥ توحيد العبادة هو الذي دعا اليه الرسل وأباه المشركون

شيء وهو يجبر ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأتى تسحرون) وغير ذلك من الآيات الدالات على تحقق انهم يقرون بهذا كله ، وانه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله ﷺ وعرفت (١) ان التوحيد الذي جحدوه وهو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلا ونهارا خوفا وطمعاً ثم منهم من يدعو الملائكة والانبيا والصالحين لاجل صلاحهم وقربهم من الله عز وجل ليشفعوا لهم ويدعوا رجلا صالحا مثل اللات أو نبيا مثل عيسى - وعرفت ان رسول الله ﷺ قاتلهم على ذلك ودعاهم إلى اخلاص العبادة لله كما قال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية . وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدين كله لله ، والدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، والاستغاثة كلها بالله ، وجميع أنواع العبادات كلها لله — وعرفت أن اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام ، وان قصدهم الملائكة والانبيا والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب لله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم — عرفت (٢) حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبي عن الاقرار به المشركون .

وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله ، فان الاله عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور سواء كان ملكا أو نبيا ، أو وليا أو شجرة ، أو قبرا أو جنيا ، لم يريدوا أن الاله هو الخالق الرازق المدبر ، فانهم يقرون أن ذلك لله

(١) قوله وعرفت — لم يتقدمه ما يصح عطفه عليه ولعل أصل الكلام: فاذا عرفت ان التوحيد الخ والا كان هنالك شرط عطف هذا عليه وسقط من الناسخ كان يكون: اذا عرفت ذلك

(٢) هذه الجملة جواب الشرط المذكور

٦ الشرك الفاشي بدعاء الصالحين وغيرهم هو شرك عباد الاصنام بعينه

وحده، كما قدمت لك، وانما يعنون بالاله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد .
فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم الى كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله . والمراد من هذه
الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجاهل يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه
الكلمة هو افراد الله بالتعاق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه، فانه لما قال لهم
قولوا : لا اله الا الله قالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا شيء عجاب)
فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الاسلام وهو
لا يعرف من معنى هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلغظ
بجزوفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني ، والخاذق منهم يظن أن معناها
لا يخلق ولا يرزق ، ولا يحيي ولا يميت ، ولا يدبر الامر الا الله . فلا خير في
رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا اله الا الله

فاذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب ، وعرفت الشرك بالله الذي قال فيه :
(ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية وعرفت دين
الله الذي بعث به الرسل من أولهم الى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد دينا
سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس اليوم فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين :
الاولى الفرح بفضل الله ورحمته ، قال الله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأفادك أيضاً الخوف العظيم ، فانك اذا عرفت أن
الانسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ،
وقد يقولها وهو يظن أنها تقر به الى الله ، كما ظن المشركون خصوصاً ان أهلك
الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم انهم أنوه قائلين (اجعل لنا إلهاً
كما لهم آلهة) فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما ينلصك من هذا وأمثاله
واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد الا جعل له أعداء
كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى

بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وقد يكون لاعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) فاذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق الى الله لا بد له من أعداء قاعد بن عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج كما قال تعالى (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) الآية . فالواجب عليكم أن تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحا تقاثل به هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم ربك عز وجل (لا أقمدن لهم صراطك المستقيم) ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمالكهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولكن إن أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبياناته فلا تخف ولا تحزن (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) والعامي من الموحدين يغلب الالف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) فجندهم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان . وانما الخوف على الموحدين الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله علينا بكتابه الذي جعله تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين . فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة

والحاصل أن كل ما ذكر عنا من الاسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان ، وما أعجب ماجرى من الرؤساء المخالفين فاني لما بينت لهم كلام الله وما ذكر أهل التفسير في قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية ، وقوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (مانعبدكم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى) وما ذكر الله من اقرار الكفار في قوله (قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع

والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر الآية وغير ذلك قالوا لا يجوز العمل لنا ولا لمثلنا بكلام الله ولا بكلام الرسول ولا بكلام المتقدمين ، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون .

ولما قلت لهم انا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية ، والمالكي والشافعي والحنبلي كل أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم ، فلما أبوا ذلك نقلت كلام العلماء من كل مذهب لأهله . وذكر كل ما قالوا بعد ما صرحت بالدعوة عند القبور والنذر لها فعرّفوا ذلك وتحققوه فلم يزدتهم إلا نفوراً

وأما التكفير فاني أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله ، فهذا هو الذي أكفره ، وأكثر الامة ولله الحمد ايسوا كذلك وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكننا ، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة وجزاء سيئة سيئة مثلها . وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه

فان تبين لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه وان الواجب اشاعته في الناس وتعليمه النساء والرجال ، فرحم الله من أدى الواجب عليه ، وتاب إلى الله ، وأقر على نفسه ، فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ونسئله الله أن يهدينا وإياكم لما يحب ويرضى والله أعلم .



رسالة في المسائل الخمس

(الواجبة معرفتها)

وله أيضا قدس الله روحه ونور ضريحه ما نصه :

الواجب عليك ان تعرف خمس مسائل :

(الاولى) ان الله لما ارسل محمداً ﷺ الهدى ودين الحق كان أول كلمة أرسله الله بها قوله تعالى ايا ايها المدثر قم فانذر ربك فكبر) ومعنى قوله (فانذر) الانذار عن الشرك بالله. وكانوا يجعلونه ديناً يتقربون به الى الله تعالى مع انهم يفعلون من الظلم والفواحش ما لا يحصى ، ويعلمون أنه معصية . فن فهم فهم جيداً ان الله امره بالانذار عن دينهم الذي يتقربون به الى الله قبل الانذار عن الزنى ونكاح الامهات والاخوات، وعرفوا للشرك الذي يفعلونه رأى العجب العجيب، خصوصاً ان عرف ان شركهم دون شرك كثير من الناس اليوم لقوله تعالى (وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله ، قل تتمتع بكفر قليلًا انك من أصحاب النار) (الثانية) انه لما أنذرهم عن الشرك أمرهم بالتوحيد الذي هو اخلاص الدين لله تعالى وهو معنى قوله تعالى (وربك فكبر) يعنى عظمه بالاخلاص. وليس المراد تكبير الاذان وغيره فانه لم يشرع الا في المدينة

فاذا عرف الانسان ان ترك الشرك لا ينفع الا إذا لبس ثوب الاخلاص وفهم الاخلاص فهم جيداً وعرف ما عليه كثير من الناس من ظنهم ان الاخلاص وترك دعوة الصالحين تقص لهم، كما قال النصارى: ان محمداً يشتم عيسى، - لما ذكر انه عبد الله ورسوله ليس يعبد مع الله تعالى

فمن فهم هذا عرف غربة الاسلام خصوصاً ان أحضر بقلبه ما فعل الذين يدعون

١٠ الشريك بمحبط العمل ولولا جل الاسلام. والكفر ببعض الكتاب كالشكفر به كله

انهم من العلماء من معاداة هذه المسئلة وتكفيرهم من دان بها وجاهدتهم مع عباد قبة ابي طالب وأمثالها وقبة الكواز وأمثالها ، وقتواهم لهم بحل دماثنا وأموالنا لتركنا ما هم عليه . ويقولون لهم انهم ينكرون دينكم . فلا تعرف هذه والتي قبهاها الا باحضارك في ذهنك ما علمت انهم فعلوا مع أهل هذه المسئلة وما فعلوا مع المشركين ، فحينئذ تعرف ان دين الاسلام ليس مجرد المعرفة فان ابليس وفرعون يعرفونه ، وكذلك اليهود يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وانما الاسلام هو العمل بذلك والحب والبغض وترك موالاة الالباء والابناء في هذا

(الثالثة) أن تحضر قلبك ان الله سبحانه لم يرسل الرسول إلا ليصدق ويتبع ولم يرسله ليكذب ويعصى. فاذا تأملت إقرار من يدعي انه من العلماء بالتوحيد وانه دين الله ورسوله ، لكن من دخل فيه فهو من الخوارج الذين تحل دماؤهم وأموالهم ، ومن ابغضه وسبه وصد الناس عنه فهو الذي على الحق ، وكذلك اقارهم بالشرك وقولهم : ليس عندنا قبة نعبدها بل جهادهم الجهاد المعروف مع اهل القباب وان من فارقتهم حل ماله ودمه ،

فاذا عرف الانسان هذه المسئلة الثالثة كما ينبغي وعرف انه اجتمع في قلبه ولو يوما واحدا ان قلبه قبل كلامهم أن التوحيد دين الله ورسوله ولكن لا بد من بغضه وعداوته ، وان ما عليه اهل القباب هو الشرك ولكن هم السواد الاعظم وهم على الحق ولا يقول انهم يفعلون الشرك ، فاجتماع هذه الاضداد في القلب مع انها ابغ من الجنون فهي من أعظم قدرة الله تعالى وهي من أعظم ما يعرفك بالله وببنفسك ، ومن عرف نفسه وعرف ربه تم امره . فكيف اذا علمت ان هذين الضدين اجتماعا في قلب صالح وحيوان وأمثالها اكثر من عشرين سنة

(الرابعة) انك تعلم ان الله أنزل على رسوله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) مع انهم راودوه

الشرك بحبط العمل ولولا جل الاسلام. والكفر ببعض الكتاب كالكفر كاه ١١

على قول كة او فعل مرة واحدة ، ووعدوه ان ذلك يقودهم إلى الاسلام
اذا عرفت ان أعظم أهل الاخلاص وأكثرهم حسنات لو قال كلمة الشرك
مع كراهيته لها ليقود غيره بها إلى الاسلام بحبط عمله وصار من الخاسرين، فكيف
بمن أظهر انه منهم وتكلم بمائه كة لاجل تجارة او لاجل أن يحج لما منع الموحدين
من الحج كما منعوا النبي ﷺ وأصحابه حتى فتح الله مكة

فمن فهم هذا فهما جيداً انفتح له معرفة قدر التوحيد عند الله عز وجل وقدر
الشرك ، ولسكن ان عرفت هذه بعد أربع سنين نفعني لك أعني المعرفة التامة كما
تعرف ان قطرة من البول تنقض الوضوء الكامل إذا خرجت ولو بغير اختياره
(الخامسة) ان الرسول ﷺ فرض الايمان بما جاء به كله لا تفرق فيه ،
فمن آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقاً ، بل لا بد من الايمان بالكتاب كله،
فاذا عرفت ان من الناس من يصلي ويصوم ويترك كثيراً من المحرمات لكن
لا يورثون المرأة ويزعمون ان ذلك هو الذي ينبغي اتباعه بل لو ورثها أحد عندهم
وخالف عاداتهم لانكرت قلوبهم ذلك ، او ينكر عدة المرأة في بيت زوجها مع
علمه بقول الله تعالى (ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة
مبينة) ويزعم ان تركها في بيت زوجها لا يصلح ، وان اخراجها منه هو الذي
ينبغي فعله، او أنكر التحية بالسلام مع معرفته أن الله شرعها حباً لتحية الجاهلية لما
ألفها، فهذا يكفر لانه آمن ببعض، وكفر ببعض، بخلاف من فعل المصيبة او ترك
الفرض مثل فعل الزنى وترك بر الوالدين مع اعترافه انه مخطيء وان أمر
الله هو الصواب (١)

واعلم أي مثلت لك بهذه الثلاث لتحذو عليها فان عند الناس من هذا

(١) يعني أن الكفر في استقباح شرع الله وتفضيل العادات المحرمة عليه
لا مجرد فعل المحرم مع اعتقاد قاعله انه مذنب وأن فعله قبيح

كثير يخالف ما حدى الله في القرآن، وصار المعروف عندهم مألوفه عند أهلهم، ولو يفعل أحد ما ذكر الله ويترك العادة لأنكروا عليه واستشفوه، بخلاف من يفعل أو يترك مع اعترافه بالخطأ، وإيمانه بما ذكر الله،
واعلم ان هذه المسئلة الخامسة من أشد ما على الناس خطراً في وقتنا بسبب
غرابة الاسلام والله أعلم

رسالة في النفاق بقسيمه وصفات المنافقين

قال : أسكنه الله الفردوس الاعلى :

اعلم رحمك الله ان الله تعالى سمى بمحمد ﷺ وأعزه بالهجرة والنصر صار الناس ثلاثة أقسام: قسم مؤمنون وهم الذين آمنوا به ظاهراً وباطناً، وقسم كفار وهم الذين أظهروا الكفر به، وقسم منافقون وهم الذين آمنوا به ظاهراً لاباطناً. ولهذا افتتح الله سورة البقرة بأربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وثلاث عشرة في صفة المنافقين،

وكل واحد من الايمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب كما دل عليه الكتاب والسنة، وكما فسرهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث المأثور عنه، فن النفاق ماهو نفاق أكبر ويكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، مثل ان يظهر تكذيب الرسول او جحود بعض ما جاء به او بغضه او عدم اعتقاد وجوب اتباعه، او المسرة بانخفاض دينه، او المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله، وهذا القدر موجود في زمن الرسول ﷺ. وما زال بعده أكثر من عهده لكون موجبات الايمان على عهده أقوى، فاذا كانت مع قوتها والنفاق موجود فوجوده فيمادون ذلك أولى به، وهذا ضرب النفاق الاكبر والعياذ بالله

وأما النفاق الاصغر فهو نفاق الاعمال ونحوها، مثل ان يكذب إذا حدث ويخلف إذا وعد، او يخون إذا ائتمن. للحديث المشهور عنه ﷺ قال « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان ، وان صلى وصام وزعم انه مسلم »

ومن هذا الباب الاعراض عن الجهاد، فانه من خصال المنافقين لقوله ﷺ « من مات ولم يفز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » رواه مسلم . وقد أنزل الله سورة براءة التي تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين كما قاله ابن عباس رضي الله عنه قال « هي الفاضحة، ما زالت تنزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا ان لا يبقى أحد الا ذكر فيها » وعن المقداد بن الاسود قال : هي سورة البحوث لانها بحثت عن سرائر المنافقين. وقال قتادة: هي المثيرة لانها أثارت مخازي المنافقين . وهذه السورة نزلت في آخر مغازي رسول الله ﷺ يوم غزوة تبوك ، وقد أعز الله الاسلام وأظهره فكشف فيها عن أحوال المنافقين ، ووصفهم فيها بالجبن والبخل. فأما الجبن فهو ترك الجهاد ، وأما البخل فهو عن النفقة في سبيل الله وقال تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) الآية . وقال (ومن يؤلم يومئذ بربه المتحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بفضب من الله) الآية

فاما وصفهم فيها بالجبن والفرع فقد قال تعالى (ويخلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) لو يجدون ملجأ (يلجئون اليه مثل المعقل والحصون) او مغارات (يغفرون فيها كما يغور الماء (أو مدخلا) وهو الذي يتكلف الدخول اليه ولو بكلفة ومشقة (لولا اليه) عن الجهاد (وهم يمحون) أي يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح الذي اذا حمل لم يرده الاجم . وقد قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد .
وقال تعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) الآيتين . فهذا
اخبار من الله ان المؤمن لا يستأذن في ترك الجهاد وانما يستأذن الذين لا يؤمنون
بالله ، فكيف بالتارك من غير استئذان؟

وقال في وصفهم بالشح (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم - الى قوله -
ولا ينفقون الا وهم كارهون) فاذا كان هذا ذم الله تبارك وتعالى لمن أنفق وهو
كاره ، فكيف بمن ترك النفقة رأسا .

وقد أخبر ان المنافقين لما قربوا من المدينة تارة يقولون للمؤمنين: هذا الذي
جرى علينا بشؤمكم ، فاتم الذين دعوتهم الناس الى هذا الدين وقاتلتم عليه وخالقتموهم .
وتارة يقولون: أنتم الذين اشركتم علينا بالمقام هنا والا لو كنا قد سافونا ما صابنا
هذا . وتارة يقولون: انتم مع قلتكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو وقد غركم
دينكم . وتارة يقولون: انتم مجانين لا عقل لكم تريدون أن تهلكوا أنفسكم وتهلكوا
الناس معكم . وتارة يقولون أنوا من الكلام المؤذي ، فاخبر الله عنهم بقوله عز
وجل (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون
في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) فوصفهم
تبارك وتعالى بثلاثة أوصاف :

الاول انهم يخوفهم يحسبون الاحزاب لم ينصرفوا عن البلد وهذا حال
الجبان الذي في قلبه مرض ، فان قلبه يبادر الى تصديق الخبر الخوف وتكذيب
خبر الامن . الوصف الثاني : ان الاحزاب اذا جاؤا ممنوا ان لا يكونوا بينكم
بل في البادية بين الاعراب يسألون عن انبائكم : ايش خبر المدينة؟ ايش خبر
الناس؟ الوصف الثالث : ان الاحزاب اذا اتوا وهم فيكم لم يقاتلوا الا ليليا
وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس .

رسالة في كلمة لا اله الا الله

بين فيها حقيقة التوحيد ومعناه ، وكونه لا ينجي من النار سواه

وله في معنى لا اله الا الله ما نصه :

قال رحمه الله تعالى ، هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله ، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، وهو افرض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان ، فرحم الله امرأً نصح نفسه وعرف أن وراءه جنة ونارا ، وأن الله عز وجل جعل لكل منهما اعمالا . فان سأل عن ذلك وجد رأس اعمال أهل الجنة توحيد الله تعالى . فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعا ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال ، ورأس اعمال أهل النار الشرك بالله . فمن مات على ذلك ، فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار والصدقة والاحسان فهو من أهل النار قطعاً ، كالنصارى الذين يبني أحدهم صومعة في البرية ويزهد في الدنيا ويتمجد بالليل والنهار لكنه خلط ذلك بالشرك بالله - تعالى الله عن ذلك

قال الله عز وجل (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) وقال تعالى (مثل الذين كفروا تركوا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرון مما كسبوا على شيء) الآية .

فرحم الله امرأً تنبه لهذا الامر العظيم قبل ان يعرض الظالم على يديه ويقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا .

نسأل الله ان يهدينا واخواننا المسلمين إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين انعم عليهم ، وان يجنبنا طريق المفضوب عليهم ، وهم العلماء الذين علموا ولم يعملوا ، وطريق الضالين وهم العباد الجهال

فما اعظم هذا الدعاء وما احوج من دعا به ان يخلص قلبه في كل ركعة

إذا قرأ بها بين يدي الله تعالى أن يهديه وأن ينجيهِ فإن الله قد ذكر أنه يستجيب هذا الدعاء الذي في الفاتحة إذا دعا به الإنسان من قلب حاضر

(فنتقول) لا إله إلا الله هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، هي الحنيفية ملة إبراهيم وهي التي جعلها الله عز وجل كلمة باقية في عقبه، وهي التي خلقت لأجلها المخلوقات، وسها قامت الأرض والسماوات، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، قال الله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والمراد معنى هذه الكلمة، وأما التلغظ باللسان مع الجبل بمعناها فلا ينفع، فإن المنافقين يقولونها وهم يمت الكفار في الدرك الأسفل من النار.

(فاعلم) أن معنى هذه الكلمة نفي الآلهية عما سوى الله تبارك وتعالى، وإثباتها كلها لله وحده لا شريك له، ليس فيها حق لغيره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال تعالى (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عدداً * وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) وقال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) وقال تعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) الآية

فاذا قيل: لا خالق إلا الله فهذا معروف لا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا قيل لا يرزق إلا الله فكذلك، فاذا قيل لا إله إلا الله فكذلك فتفكر رحمك الله واسأل عن معنى لا إله إلا الله كما تسأل عن معنى الخالق والرازق فاعلم أن الإله هو المعبود. هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئاً فقد اتخذهُ إلهاً من دون الله، وجميع ذلك باطل، إلا إله واحد وهو الله وحده تبارك وتعالى علواً كبيراً

والعبادة أنواع كثيرة لكني أمثلها بأنواع كثيرة لا تنكر: من ذلك السجود

فلا يجوز لعبد أن يضع وجهه على الأرض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ولا لولي . ومن ذلك الذبح فلا يجوز لأحد أن يذبح إلا لله وحده كما قرن الله بينهما في القرآن في قوله تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) والنسك هو الذبح وقال (فصل لربك وانحر) فتفتن لهذا واعلم أن من ذبح لغير الله من جني أو قبر فهو كما لو سجد له . وقد لعنه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح قال « لعن الله من ذبح لغير الله »

ومن أنواع العبادة الدعاء كما كان المؤمنون يدعون الله ليلاً ونهاراً في الشدة والرخاء وحده ، لا يشك أحد أن هذا من أنواع العبادة (١)

فتفكر رحمك الله أنه فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء ، هذا يريد سفرّاً فيأتي عند قبر أو غيره فيدخل عليه بماله عن ينهبه . وهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر فيستغيث بعبد القادر أو السماء أو بني من الانبياء أو ولي من الاولياء ، أن ينجيه من هذه الشدة .

فيقال لهذا الجاهل : إن كنت تعرف أن الاله هو المعبود وتعرف أن الدعاء من العبادة فكيف تدعو مخلوقاً ميتاً عاجزاً وتترك الحي القيوم الرؤف الرحيم القدير ؟ فيقول هذا المشرك : ان الامر بيد الله ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله وتنفعني شفاعته وجاهه ، ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك .

(١) وهو أعلى الأنواع وأدناها على الايمان الصحيح والتوحيد الخاص ، فالسجود انما كان عبادة بحكم الشرع ، وقد كان عادة في التحية من قبل ، ومنه سجود يعقوب واولاده لولده يوسف عليهم السلام . واما الدعاء فهو ركن العبادة الاعظم بمقتضى الفطرة وفي دين الله على السنة جيم الامم ، ولذلك قال (ص) « الدعاء هو العبادة » رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم من حديث الثمان بن بشير وأبو يعلى من حديث البراء وفي معناه « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي من حديث أنس

١٨ الشريك بعبادة الاصنام كالشريك بعبادة الانبياء والصالحين

فيقال لهذا الجاهل: المشركون عباد الاصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار الذي يدبر الامر وانما أرادوا مأردت من الشفاعة عند الله ، كما قل تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى) وإلا فهم يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق النافع الضار كما أخبر عنهم بقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والا بصار ؟ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ؟ ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله . فقل أفلا تتقون)

فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذي يعرف أن بعد الموت جنة ونارا . هذا الموضع ، ويعرف الشرك بالله الذي قال الله فيه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية وقال (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فما بعد هذا البيان بيان ، اذا كان الله عز وجل قد حكى عن الكفار أنهم يقولون أنه هو الخالق الرازق ، والمحيي المميت الذي يدبر الامر ، وانما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم - التقرب والشفاعة عند الله تعالى (فكم من آية في القرآن ذكر الله فيها هذا كقوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله - الى قوله - فأنى تسحرون) وكقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله) وغير ذلك من الآيات التي أخبر الله بها عنهم أنهم أقروا بهذا لله وحده ، وانهم أرادوا من الذين يعتقدون فيهم إلا الشفاعة لا غير ذلك .

فان احتج بعض المشركين ان اولئك يعتقدون في اصنام من حجارة وخشب ، ونحن نعتقد في الصالحين . قيل له والكفار أيضا منهم من يعتقد في الصالحين مثل

لم يفرق الرسول بين من يعتقد في الاوثان ومن يعتقد في الصالحين ١٩

الملائكة وعيسى بن مريم . وفي الاولياء مثل العزيز واللات ، وناس من الجن . وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما يدل على هذا فقال في الذين يعتقدون في الملائكة ليشفعوا لهم (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون* قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقال (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال فيمن اعتقد في عيسى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) وقال (أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) فاذا كان عيسى بن مريم وهو من أفضل الرسل قيل فيه هذا فكيف بعبد القادر أو غيره إذ يقال فيه انه يملك ضرراً أو نفعاً؟ وقال في حق الاولياء (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً* أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب* ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة وعزيراً والمسيح فقال الله: هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجون أنتم رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي فرحم الله امرأ تفكر في هذه الآية العظيمة وفيما نزلت فيه، وتفكر ان الذين اعتقدوا فيهم انما أرادوا التقرب إلى الله والشفاعة عنده بهم، وهذا كله يدور على كلمتين الأولى أن تعرف ان الكفار يعرفون ان الله سبحانه هو الخالق الرازق الذي يدبر الامر وحده ، وانما أرادوا التقرب بهؤلاء إلى الله تعالى

والثانية ان تعرف ان منهم أناساً يعتقدون في أناس من الانبياء والصالحين مثل عيسى والعزيز والاولياء، فصاروا هم والذين يعتقدون في الاصنام من الحجر والشجر واحداً ، فلما جاءهم رسول الله ﷺ لم يفرق بين الذين يعتقدون في الاوثان من الخشب والحجر . والذين يعتقدون في الانبياء والصالحين

٢٠ عناية القرآن بمحو الشرك من القلوب والبراءة من أهله

إذا تبين هذا لك عرفت دين الله .

ولو قال المشرك بعد ذلك : هذا بين نعرفه في أول الامر ولا نخاف منه . قيل : ان كان أصحاب رسول الله ﷺ لم يعرفوا هذا إلا بعد التعلم ، ومن أنواع الشرك أشياء ما عرفوها إلا بعد سنين ، فان عرفت هذا بلا تعلم فأنت أعلم منهم ، بل الانبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علمهم الله تعالى ، قال الله تعالى لا أعلم الخلق محمد ﷺ (فاعلم انه لا إله الا الله) وقال تعالى (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

فاذا كان هذا حال نبينا وحال الخليل إبراهيم عليه السلام إذ يوصي بها أولاده وهم أنبياء . قال الله تعالى (ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب : يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال تعالى (وقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) فاذا كان هذا الامر لا يخاف على المسلمين منه فما بال الخليل يخاف على نفسه وعلى بنيه وهم أنبياء حيث قال (رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) ؟ ما بال العليم الحكيم لما أنزل كتابه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور جملة في هذا الامر ، وأكثر الكلام فيه وبينه ، وضرب فيه الامثال ، وحذر منه وأبدى وأعاد ؟ فاذا كان الناس يفهمونه بلا تعلم ، ولا يخاف عليهم منه فما بال رب العالمين جعل أكثر كتابه فيه ؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من خلقه فأصمهم وأعمى أبصارهم

وأنت يا من " الله عليه بالاسلام وعرف معنى لا إله الا الله لا تظن أنك اذا قلت : هذا هو الحق وتارك ماسواد (١) لكن لا تعرض لهم ولا أقول فيهم شيئاً ، لا تظن أنك غير عاص ربك ، بل لا بد من بغضهم وبغض من يحبهم ومبغضهم

«١» كذا في الاصل ويظهر انه سقط من هنا شيء .

العبرة فيما ذكر الله عن المشركين اذا مسهم الضر ٢١

ومعاداتهم كما قال أبوك إبراهيم والذين معه لقومهم (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (فن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) الآية، وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

ولو قال رجل أنا أتبع النبي ﷺ وهو على الحق لكن لا أتعرض للات والعزى ولا أتعرض لابي جهل وأمثاله ، ماعلي منهم ؟ لم يصح اسلامه

وأما مجادلة بعض المشركين بأن هؤلاء الطواغيت مأمروا الناس بهذا ولا رضوا به، فهذا لا يقوله إلا مشرك مكابر، فإن هؤلاء ما أكلوا أموال الناس بالباطل ولا ترأسوا عليهم، ولا قربوا ما قربوا إلا بهذا ، وإذا رأوا رجلاً موحداً منكراً لهذا الشرك سبوه وآذوه . وإذا رأوا مشركاً كافراً تابعا للشيطان قريوه وأحبوه وزوجوه بناتهم وعدوا ذلك شرفاً .

وهذا القائل يعلم أن قوله ذلك كذب فإنه لو يحضر عندهم ويسمع بعض المشركين يقول: جاءني شدة فجننت الشيخ فلان أو السيد فلان فنذرت له فخاصني، لم يجز أن يقول هذا القائل لا يضر ولا ينفع إلا الله، بل لو قال هذا وأشاعه في الناس لأبغضه الطواغيت بل لو قدروا على قتله لقتلوه ، وبالجملة لا يقول هذا إلا مشرك مكابر، وإلا فدعواهم هذه وتخويفهم الناس وذكرهم السوالب الكفرية التي اشتهرت عن آبائهم مشهور لا ينكره من عرف حالهم كما قال تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر)

*
* *

ولنختم الكتاب بذكر آية من كتاب الله فيها عبرة لمن اعتبر. قال تعالى في حق الكفار (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) فذكر عن الكفار أنهم اذا جاءتهم الشدة تركوا غيره وأخلصوا له الدين ، وأهل زماننا اذا جاءتهم الشدة والضر التجؤا إلى غير الله سبحانه وتعالى عن ذلك . فرحم الله من تفكر في هذه الآية وغيرها من الآيات

وأما من من الله عليه بالمعرفة فليحمد الله تعالى وإن أشكل عليه شيء
فليسأل أهل العلم عما قال الله ورسوله ولا يبادر بالإنكار لأنه إن رد رد على
الله . قال الله تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها أنا من
المجرمين منتقمون)

اعلم رحمك الله أن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيها بعض المصنفين
على جهالة لم يفتن لها من ذلك قوله في البردة :
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
وفي الهمزية من جنس هذا وغيره أشياء كثيرة ، وهذا من الدناء الذي هو
العبادة التي لا تصلح إلا لله وحده ،

وإن جادل بعض المشركين بجلالة هذا القائل وعلمه وصلاحه وقال
بجهله كيف هذا ؟ فقل له : أعلم منه وأجل أصحاب موسى الذين اختارهم الله
وفضلهم على العالمين وقد قالوا (يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة) فإذا خفي
هذا على بني إسرائيل مع جلالتهم وفصلهم فما ظنك بغيرهم (١) وقل لهذا الجاهل :

(١) فيه أن بني إسرائيل الذين قالوا هذا القول لم يكونوا أصحاب جلالة وفضل
ولا علم بالدين ولا كانت التوراة نزلت عليهم وإنما كانوا مشركين انقذهم موسى
عليه السلام من ظلم فرعون وقومه ليتخذ منهم شعبا يعبد الله وحده ويقيم دينه ، وقد
أجابهم موسى عليه السلام بقوله (إنكم قوم تجهلون) وقد اتخذوا العجل بعد
ذلك وعبدوه . وفي القرآن وكذا في التوراة من ذم قوم موسى وتمردهم وعنتهم
وايذائهم له في عهد التشريع العجيب العجيب ، وأما تفضيل بني إسرائيل على العالمين
في زمانهم فالمراد به جملتهم بما كان فيهم من الانبياء والصالحين من قبل موسى إلى
عهد عيسى عليهم السلام (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) =

أصلح من الجميع وأعلم أصحاب محمد لما مروا بشجرة فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، خلف رسول الله ﷺ أن هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة)

ففي هذا عبرتان عظيمتان : الأولى أن النبي ﷺ صرح أن من اعتقد في شجرة أو تبرك بها أنه متخذها إلهًا ، وإلا فأصحاب رسول الله ﷺ يعرفون أنها لا تخلق ولا تزق ، وإنما ظنوا أن النبي ﷺ إذا أمرهم بالتبرك بها صار فيها بركة والعبرة الثانية : أن الشرك قد يقع ممن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لا يدري كما قال رسول الله ﷺ « الشرك أخفى من ديب النمل » بخلاف قول الجاهل هذا بين نعرفه . فاذا أشكل عليك من هذا شيء وأردت بيانه من كلام أهل العلم وانكار جنس الشرك الذي حرمه الله فهو موجود والبحث عن كلام العلماء في هذا إن أردت من الخنابلة وإن أردت من غيرهم والله أعلم

= وأما صاحب البردة فيدرا عنه ردة الشرك في هذا البيت حمل الحادث العمم فيه على هول الموقف إذ يلوذ الناس بالأنبياء لأجل الشفاعة فلا يليهم غير المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وقد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية أن العبارات التي تنافي الإيمان يجب أن يقال أنها كفر في ذاتها للتحذير منها والسكن لا يحكم بكفر قائلها المعين بها لاحتمال أنه متأول فيها أو جاهل جهلا يمدو به ، كإنكار بعض الصحابة لبعض القرآن، وذكر شواهد أخرى، وقد صرح المؤلف هنا بأن صاحب البردة قال ما قال عن جهالة ولم يخطر في باله مسألة التأول لأن المقام مقام الزجر لا إقامة الحد ، على أن ما ذكرنا من معنى البيت هو المتبادر من لفظه وما كنا نفهم منه غيره فهو ليس بتأويل له

رسالة أخرى في الشهادتين

(وبعثة محمد ﷺ ودلائل رسالته)

قال - صب الله عليه من شآبيب بره ورحمته ووالى :
هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وقد غلط أهل زماننا فيها ، وأثبتوا لفظها دون معانيها ، وقد يأتون بادلة على ذلك تلبس على الجاهل المسكين ، ومن ليس له معرفة في الدين ، وذلك يفضي الى أعظم المهالك . فمن ذلك قوله ﷺ « أسرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم » الحديث . وكذا قوله ﷺ لما سئل عن شفاعته من أحق بها يوم القيامة ؟ قال « من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه » وقوله ﷺ « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » وكذلك حديث عتب بن مالك « فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله »

وهذه الاحاديث الصحيحة إذا رآها هذا الجاهل أو بعضها أو سمعها من غيره طابت نفسه ، وقرت عينه ، واستنقذه المساعد على ذلك ، وليس الامر كما يظنه هذا الجاهل المشرك ، فلو انه دعا غير الله أو ذبح له أو حلف به أو نذر له لم ير ذلك شركا ولا محرما ولا مكروها . فاذا أنكر عليه بعض ما ينافي التوحيد لله والعمل بما أمر الله اشمأز ونفر وعارض بقوله قال رسول الله وقال رسول الله ، وهذا لم يدر حقيقة الحال ، فلو كان الامر كما قال لما قال الصديق رضي الله عنه في أهل الردة « والله لو منعوني عناقا - او قال عقالا - كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ لقاتلهم عليه » أفيظن هذا الجاهل انهم لم يقولوا لا اله الا الله ؟ وما يصنع هذا الجاهل بقول رسول الله ﷺ في الخوارج « اينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم فانهم شر قتيل

محت أديم السماء؟» أفيظن هذا الجاهل ان الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ هذا انهم لم يقولوا لا إله الا الله وقال ﷺ « في هذه الامة - ولم يقل منها - قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم » (١) وكذلك أهل حلقه الذكر لما رآهم أبو موسى في المسجد في كل حلقة رجل يقول: سبحوا مائة، هلموا مائة. الحديث فلما انكر عليهم عبد الله بن مسعود صاب رسول الله ﷺ قالوا والله ما أردنا الا الخير. قال: كم من مرید للخير لم يصبه (٢) ان رسول الله ﷺ حدثنا « ان قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقهم » أو قال « تراقبهم » وإيم الله لا أدري ان يكون أكثرهم الا منكم، قال عمرو بن ساسة: فما كان الا قليل حتى رأوا أولئك يطاعنون أصحاب رسول الله ﷺ يوم النهروان مع الخوارج. أفيظن هذا الجاهل للمشرك انهم يتركون ذلك لكونهم يسبحون ويهللون ويكبرون

وكذلك المنافقون على عصر رسول الله ﷺ يجاهدون في سبيل الله باموالهم وأنفسهم ويصلون مع رسول الله ﷺ الصلوات الخمس ويحججون معه، قال الله تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) أفيظن هذا الجاهل انهم لم يقولوا لا اله الا الله؟ وكذلك قاتل النفس بغير حق يقتل. أفيظن هذا الجاهل انه لم يقل لا اله الا الله؟ وانه لم يقلها خالصا من قلبه؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من عباده وأخفى عليه الصواب، وأسلكه مسلك البهائم والدواب، (أولئك كالانعام بل هم اضل) حتى قال هؤلاء الجهلة ممن ينتسب

(١) فيه ان الخليفة الرابع رضى الله عنه قاتلهم ببغيتهم ولم يحكم بكفرهم وكانوا متأولين كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية في عدة مواضع
(٢) انكر ابن مسعود (رض) ذلك على قائله لأنه بدعة كما بينه الشاطبي في الاعتصام وغيره

الى العلم والفقه قبلتنا من أمها لا يكفر (١)
فلا إله إلا الله نفي وإثبات الآلية كلها لله فمن قصد شيئا من قبر أو شجر أو نجيم
أو ملك مقرب أو نبي مرسل لجلب نفع أو كشف ضرر فقد تخذه إلهًا من دون
الله فكذب بلاله إلا الله يستتاب فإن تاب والا قتل

فان قال هذا المشرك: لم أقصد إلا التبرك، وأنى لأعلم ان الله هو الذي ينفع
ويضر. فقل له: ان بني اسرائيل ما أرادوا إلا ما أردت كما أخبر الله عنهم أنهم لما
جاوزوا البحر أتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم
آلهة فاجابهم بقوله (انكم قوم تجهلون) الآيتين. وحديث أبي واقد الليثي قال:
خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة
يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات انواط، فمررنا بسدرة، فقلنا
يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط، فقال رسول الله ﷺ
« الله أكبر إنها السنن (٢) قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى اجعل
لنا إلهًا كما لهم آلهة ، لتركبن سنن من كان قبلكم »

وقال تعالى (افرايتم اللات والعزى) وفي الصحيح عن ابن عباس وغيره
أنه رجل صالح كان يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره
فيرجع هذا المشرك ويقول هذا الشجر والحجر ، وانا أعتقد في اناس

(١) يعني الشيخ رحمه الله ان هؤلاء الجبهة لم يفهموا قول أهل السنة انهم
لا يكفرون احدا من أهل القبلة وانهم يعنون به عدم التكفير بالذنوب لا بالشرك
والكفر الذي لا يحتمل التأويل . والتأويل الذي يمنع تكفير الشخص المعين انما
يعنه مادام محتملا فاذا قامت عليه الحجة وذهب احتمال التأويل ظهر أنه مرتد ليس له عذر
(٢) الضمير هنا ضمير القصة والشأن، والسنة سنن الله في الامم وهي قواعد الاجتماع
والاحوال التي يستن فيها بعض الناس بما كان عليه غيرهم

لم يتخلص من عبادة الاوثان الا اتباع ابراهيم عليه السلام ٢٧

صالحين انبياء واولياء أريد منهم الشفاعة عند الله كما يشفع ذو الحاجة عند الملوك، وأريد منهم القربة إلى الله، فقل له : هذا مذهب الكفار بعينه كما أخبر سبحانه بقوله (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقوله (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا) وقد ذكر أناسا يعبدون المسيح وعزيراً فقال الله هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون، ويخافون عذابي كما تخافون وأنزل الله سبحانه (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآيتين وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون) الآيتين. والقرآن بل والكتب السماوية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الشرك وكفر أهله، وانهم اعداء الله ورسوله ، وانهم اولياء الشيطان، وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل عملهم ، كما قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (وقد منّا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً) وقال تعالى (فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون) قال ابن مسعود وابن عباس : لا تجعلوا له اكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله. وقال رجل للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت فقال « اجعلني لله ندا؟ قل ما شاء الله وحده » وقال ﷺ لأصحابه « اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر » فسئل عنه فقال « الرياء » وبالجمله فاكثر أهل الارض مفتونون بعبادة الاصنام والاثان، ولم يتخلص من ذلك إلا الحنفاء اتباع ملة ابراهيم عليه السلام . وعبادتها في الارض من قبل قوم نوح كما ذكر الله وهي كلها ووقوفها وسدانتها وحجابها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبقت الارض قال إمام الحنفاء (واجنبي وبني أن نعبد الاصنام) كما قص الله ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين . وكفى في معرفة كثرتهم وانهم أكثر أهل الارض ما صح عن النبي ﷺ أن

بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال الله تعالى (فأبى أكثر الناس
الا كفوراً) وقال (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال
(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

ولما أراد سبحانه إظهار توحيده ، وإكمال دينه ، وأن تكون كلمته هي العليا ،
وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، بعث محمداً خاتم النبيين ، وحبيب رب العالمين ،
وما زال في كل جيل مشهوراً ، وفي توراة موسى وأنجيل عيسى مذكوراً ، الى أن
أخرج الله تلك الدرة ، بين بني كنانة وبني زهرة ، فأرسله على حين فترة من الرسل ،
وهدهاه إلى أقوم السبل ، فكان له ﷺ من الآيات الدالة على نبوته قبل مبعته
ما يعجز أهل عصرها . فمن ذلك قوله ﷺ « أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة
عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني انه خرج منها نور أضاءت له بصرى من
أرض الشام » وولد ﷺ ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول عام الفيل ،
وانشق ايوان كسرى ليلة مولده حتى سمع انشقاقه وسقط أربعة عشر شرفة (١) وهو
باق إلى اليوم آية من آيات الله ، وخمدت نار فارس ولم تحمد قبل ذلك ، وغاضت
بحيرة ساوة ، وكانت بحيرة عظيمة في مملكة العراق عراق العجم وهمدان
تسير فيها السفن وهي أكثر من ستة فراسخ فأصبحت ليلة مولده يابسة ناشفة
كأن لم يكن بها ماء ، واستمرت على ذلك حتى بني مكانها مدينة ساوة وهي باقية
الى اليوم ، وأرسلت الشهب على الشياطين كما أخبر الله بقوله (وأنا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع) الآية . وأنبتته الله نباتا حسنا وكان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا
وأعزهم جواراً وأعظمهم حملاً وأصدقهم حديثاً حتى سماه قومه « الامين » لما جعل
الله فيه من الاحوال الصالحة والخصال المرضية

ووصل بصرى من أرض الشام مرتين فرآه بحيرا الراهب فعرفه وأخبر

(١) كذا في الاصل : ولا بد ان يكون صوابه : اربع عشرة شرفة منه او من شرفاته

عنه انه رسول الله ، ونصحه أن يرده ، فرده مع بعض غلمانه وقال لعمه : احتفظ به فلم نجد قدماً أشبهه بالقدم الذي بالمقام (١) من قدمه . واستمرت كفالة أبي طالب له كما هو مشهور ، وبنض اليه الاوثان ودين قومه فلم يكن شيء ابغض اليه من ذلك . والدليل على انه رسول الله ﷺ من العقل والنقل :

فاما النقل فواضح . وأما العقل فنبه عليه القرآن : من ذلك ان ترك الله خلقه بلا أمر ولا نهى لا يناسب في حق الله ونبه عليه في قوله (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء)

ومنه أن قول الرجل اني رسول الله إما أن يكون خير الناس وإما أن يكون شرهم وأكذبهم . والتميز بين ذلك سهل يعرف بأمور كثيرة ، ونبه على ذلك بقوله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفك أنهم) الآيات ومنه شهادة الله بقوله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم كما في هذه الآية

ومنها — وهي عظم الآيات العقلية — هذا القرآن الذي نحداهم بسورة من مثله ، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية فنحن نعلمه من معرفتنا بشدة عداوة أهل الارض له ، علمائهم وفصحائهم ، وتكريره هذا واستعجازه به ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه وادخال الشبهة على الناس ، ومنها تمام ما ذكرنا وهو اخباره سبحانه انه لا يقدر أحد أن يأتي بسورة مثله إلى يوم القيامة ، فكان كما ذكر ، مع كثرة أعدائه في كل عصر ، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم

ومنها نصره من اتبعه ولو كانوا أضعف الناس . ومنها خذلان من عاداه وعمق بته في الدنيا ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم

ومنها أنه رجل أمي لا يخط ولا يقرأ الخط ولا أخذ عن العلماء ولا ادعى

(١) مقام ابراهيم ، يعني انه ﷺ أشبه الناس بابراهيم

ذلك أحد من أعدائه مع كثرة كذبهم وبهتانهم ، ومع هذا أتى بالعلم الذي في
لكتب الاولى كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك ، اذ لا رتاب المبطلون)

وقال رحمه الله تعالى :

ولما بلغ أربعين سنة بعثه الله بشيراً ونذيراً (وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً
منيراً) ولما أتى قومه بلأله إلا الله قالت قريش (أجمل الآلهة إلها واحداً ؟)
قال الترمذى : حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة وزيد بن مروان
وغيرهم قالوا : قام رسلاً الله ﷺ ثلاث سنين مستخفياً ثم أعلن في الرابعة
فدعا عشر سنين يوافي الموسم كل عام فيقول « أيها الناس قولوا لا إله إلا الله
تفلحوا ، وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، فاذا تم كنتم ملوكا في الجنة »
وأبو لهب وراءه يقول لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب ، فيردون عليه أقبح الرد
ولما أمره الله بالهجرة هاجر وظهر الله دينه على الدين كله ، وقاتل جميع المشركين
ولم يميز بين من اعتقد في نبي ولا ولي ولا شجر ولا حجر ، وما زال يعلم الناس
التوحيد ، ويقمع من دعاة الشرك كل شيطان مريد ، حتى أزال الله الجبل
والجهال وبان للناس من التوحيد ساطع الجمال .

وعن انس قال : قال اناس يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن
سيدنا فقال ﷺ « يا أيها الناس انا محمد عبد الله ورسوله ، ما احب ان ترفعوني
فوق منزلي التي انزاني الله عز وجل » وعن عبد الله بن الشخير قال : انطلقت في
وقد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلت : انت سيدنا فقال « السيد الله » وعن ابن
عمر ان رسول الله ﷺ قال « لا تطروني كما اطرت النصارى المسيح بن مريم
انما انا عبد الله ورسوله » وما زال ﷺ معلماً لأصحابه هذا التوحيد ، ومحذراً من
الشرك حتى اتاهم مرة وهم يتذاكرون الدجال فقال « ألا اخبركم بما هو اخوف

ما اخاف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا: بلى، يا رسول الله قال «الشرك الخفي . يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » وحتى قال « لا تحلفوا بآبائكم . من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله في شيء » وحتى قال « لا يقول أحدكم ما شاء الله وشاء فلان » وحتى قال « لا تقولوا لولا الله وفلان » وحتى قال « لا يقول أحدكم تبدي وامتي » وحتى قال « من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر » وحذرهم من الشرك بالله في الأقوال والأعمال حتى قال « إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول رب فاجيب ، وأنا تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور ومن تركه كان على الردى » وحتى قال « خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وحتى أنه لم يترك النهي عند الموت والتحذير . لنا من هذا الشرك حتى قال « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وحتى قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب » الحديث ، وحتى حذرهم عن الكفر بنعمة الله قيل هو قول الرجل هذا مالي ورثته من أبائي وقال بعضهم هو كقوله : الريح طيبة والملاح حاذق ، ونحو ذلك

ولما ذكر شيخ الاسلام تقي الدين الاحاديث « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله » وكذلك حديث ابن عمر في الصحيحين « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » وقال « ان الصلاة من حقها والزكاة من حقها » كما قال الصديق لعمر وواقفه عمر وسائرهم على ذلك . ويكون ذلك أنه قال قد شرع في العصمة وإلا بطل . وقد قال النبي ﷺ كل واحد من الحديثين في وقت يعلم المسلمون ان الكافر إذا قالها جب الكفر عنه ثم صار القتال مجرداً إلى الشهادتين

ليعلم ان تمام العصمة يحصل بذلك لثلا يقع شبهة واما مجرد الإقرار فلا يعصمهم على الدوام (١) كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها الصدق رضي الله عنه ووافقوه وقال ابن القيم في شرح المنازل (٢) : شهادة ان لا إله إلا الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد . هذا هو التوحيد الذي نفى الشرك الأعظم وعليه نصبت القبلة، وبه حققت الدماء والأموال، وانفصلت دار الأيمان من دار الكفر، وصحت به الملة للعامة وان لم يقوموا بحسن الاستدلال بعد أن يسلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صحيحها قبول القلب، وهذا توحيد العامة الذي يصح بالشواهد وهي إرسال الرسل الصنائع (٣) ويجب بالسمع ويوجد بتبصير الحق وينمو على مشاهدة الشواهد (٤) والحمد لله رب العالمين

(١) الإقرار بالشهادتين هو المدخل في الإسلام والعنوان على ترك الكفر السابق فهما كافيتان في العصمة من القتل في أثناء القتال واما الاعتداد بإسلام قائليها بعد ذلك فلا بد فيه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لقوله تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين)

«٢» هذه العبارة التي نقلها هنا هي عبارة كتاب المنازل لا شارحه ابن القيم «٣» عبارة المنازل: وهي « أي الشواهد » الرسالة والصنائع . قال ابن القيم ومقصوده ان الشواهد نوحان آيات متلوة وهي الرسالة ، وآيات مرئية وهي الصنائع «٤» هذه آخر عبارة المنازل



رسالة في كلمة التوحيد

وله أيضا قدس الله روحه ونور ضريحه ما نصه :

اعلم - رحمك الله - ان فرض معرفة شهادة ان لا اله الا الله قبل فرض الصلاة والصوم ، فيجب على العبد ان يبحث عن معني ذلك أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة والصوم. وتحريم الشرك والايان بالطاغوت أعظم من تحريم نكاح الامهات والجدات. فأعظم مراتب الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله ومعني ذلك أن يشهد العبد أن الالهية كلها لله ليس منها شيء لنبي ولا ملك ولا لولي بل هي حق لله على عباده والالهية هي التي تسمى في زماننا السر . والاله في كلام العرب هو الذي يسمى في زماننا الشيخ والسيد الذي يدعى ويستغاث به ، فاذا عرف الانسان ان هذا الذي يعتقد كثير من في السماء (١) وأمثاله أو في قبر بعض الصحابة هو العبادة التي لا تصاح الا لله وأن من اعتقد في نبي من الانبياء (٢) فقد كفر وجعله مع الله الها آخر فهذا لم يكن قد شهد ان لا اله الا الله ومعني الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله من جني أو إنسي أو شجر أو حجر أو غير ذلك وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان أباك وأخاك .

فاما من قال انا لا أعبد الا الله وأنا لا اتعرض السادة والقباب على القبور .

(١) السماء شيخ كان اهل نجد يعتقدون ولايته فيدعونه في الشدائد

(٢) اي انه يدعى ويستغاث به فيدعوه لكشف الضر وجلب النفع سواء اعتقد المعتقد انه يفعل ما يدعي له بنفسه أو بتأثيره عند الله تعالى ، فإن اعتقاد هذا التأثير في ارادة الله وفعله عين الاشرار في حصول المقصود ، فهو من الشرك

وأشال ذلك فهذا كاذب في قول لا اله الا الله ولم يؤمن بالله ولم يكفر بالطاغوت . وهذا كلام يسير، يحتاج الى بحث طويل واجتهاد في معرفة دين الاسلام، ومعرفة ما أرسل الله به رسوله ﷺ والبحث عما قال العلماء في قوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) ويجهد في تعلم ما علم الله رسوله وما علمه الرسول لامتة من التوحيد . ومن أعرض عن هذا فطبع الله على قلبه وآثر الدنيا على الدين لم يضره الله بالجهالة والله أعلم

رسالة اخرى في كلمة التوحيد

(وكونها تنفي اربعا وتثبت اربعا)

قال رحمه الله تعالى:

اعلم رحمك الله ، ان معنى لا اله الا الله نفي وإثبات ، تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع، تنفي : الالهة ، والطواغيت ، والانداد ، والارباب . فالالهة : ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضرر فانت متخذة لها ، والطواغيت من عبد وهو راض أو رشح للعبادة ، مثل السمان أو تاج أو أبي حديدة ، والانداد ما جذبتك عن دين الاسلام من أهل او مسكن أو عشيرة أو مال فهو ند لقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله) والارباب من افتك بمخالفة الحق وأطعته ، مصداقا لقوله تعالى (اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون)

وتثبت أربعة أنواع : القصد ، وهو كونك ما قصد الا الله . والتعظيم والمحبة لقوله عز وجل (والذين آمنوا أشد حبا لله) والخوف والرجاء لقوله تعالى (وان

يمسك الله بضر فلا كاشف الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)

فن عرف هذا قطع العلاقة مع غير الله . ولا تكبر عليه جهاة الباطل كما أخبر الله عن ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بتكسيه الاصنام وتبريه من قومه لقوله تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا اتوممهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) الآية .

مذاكرة

الشيخ محمد رحمه الله مع أهل بلد حريملة

في كلمة التوحيد ، والجمع بين التوحيد والشرك

قال لهم : لا إله إلا الله قد سألنا عنها كل من جاءنا منكم من مطوع (١) وغيره ولا لقينا عندهم إلا أنها لفظة ماله معنى ، ومعناها لفظها ومن قالها فهو مسلم . وقد يقولون لها معنى لكن معناها لا شريك له في ملكه

ونحن نقول لا إله إلا الله ليست باللسان فقط لابد للمسلم اذا لفظ بها ان يعرف معناها بقلبه ، وهي التي جاءت لها الرسل والا الملك ما جاءت الرسل له ، وأنا أبين لكم إن شاء الله مسألة التوحيد ومسألة الشرك

تعرفون الشهيد فيه قبة والذي من الرجال صلى الظهر قام وتقبل القبر وولى الكعبة قفاه وركع اعلى ركعتين : صلاته لله توحيد ، وصلاته لعلي شرك ، أأنتم فهمتم ؟ قالوا فهمنا ، صار هذا مشرك صلى لله وصلى لغيره .

ولله سبحانه حق على عبده في البدن والمال . والصلاة زكاة البدن والزكاة في المال حق له تعالى فاذا زكيت لله وخرجت بشيء تفرقه عند القبة فزكائك لله توحيد ، وزكائك للمخلوق شرك

(١) المطوع : هو الذي يعلم العامة ويفقههم وهو دون العالم

كذلك سفك الدم إن ذبحت لله توحيد وإن ذبحت لغيره صار شركاء كما قال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له) والنسك سفك الدم (١)

كذلك التوكل من أنواع العبادة إن توكلت على الله صار توحيداً وإن توكلت على صاحب القبة صار شركاً . قال تعالى (فاعبدوه وتوكل عليه)

وأكبر من ذلك كله الدعاء ، تفهمون أنه يذكر (٢) أن الدعاء مخ العبادة ؟ قالوا نعم ، قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) أنتم تفهمون أن هنا من يدعو الله ويدعو الزبير ، ويدعو الله ويدعو عبدالقادر ، الذي يدعو الله وحده مخلص ، وإن دعا غيره صار مشركاً . فمهم هذا ؟ قالوا فهمنا

قال الشيخ : هذا إن فهمتوه فهذا الذي بيننا وبين الناس ، فاست قالوا هؤلاء يعبدون أصناماً يدعونهم يريدون منهم ، ونحن عبيد مذنبون وهم صالحون ونبغى بجاههم ، فقل لهم عيسى نبي الله عليه السلام وأمه صالحة ، والعزير صالح والملائكة كذلك ، والذين يدعونهم أخبر الله عنهم أنهم ما أرادوا منهم ما أرادوا وبجاههم إلا قربة وشفاعة وقرأ عليه الآيات في الملائكة في قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة) الآية ، وفي الانبياء قوله (يا أهل الكتاب لا تنلوا في دينكم) الآية وفي الصالحين (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) الآية ، ولم يفرق بينهم النبي ﷺ

رسالة أخرى في كلمة التوحيد

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

اعلم أرشدك الله أن الله خلقك لعبادته وأوجب عليك طاعته ، ومن أفرض عبادته عليك معرفة لإله إلا الله علماً وقولاً وعملاً ، والجامع لذلك قوله تعالى

(١) أي لاجل القربة كالاضحية وفدية الاحرام ومثلها النذر لله وحده

(٢) أي يذكر في الحديث عن النبي (ص)

توحيد الربوبية يقر به الكافر والمسلم وتوحيد الألوهية هو الفارق بينهما ٣٧

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)

فاعلم أن وصية الله لعباده هي كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والإسلام فعند ذلك افترق الناس سواء جهلا أو بغيا أو عنادا ، والجامع لذلك اجتماع الأمة على وفق قول الله تعالى (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقوله (قل هذو سبيلي أدعو إلى الله على بصرية أنا ومن اتبعني) الآية

فالواجب على كل أحد إذا عرف التوحيد وأقر به أن يحبه بقلبه ، وينصره بيده ولسانه ، وينصر من نصره ووالاه ، وإذا عرف الشرك وأقر به أن يبغضه بقلبه ، ويخذله بلسانه ، ويخذل من نصره ووالاه باليد واللسان والقلب . هذه حقيقة الأمرين ، فعند ذلك يدخل في سلك من قل الله فيهم (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فنقول لاختلاف بين الأمة أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب الذي هو العلم ، واللسان الذي هو القول ، والعمل الذي هو تنفيذ الأوامر والنواهي ، فإن أخل بشيء من هذا لم يكن الرجل مسلما ، فإن أقر بالتوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس ، وإن عمل بالتوحيد ظاهرا وهو لا يعتقده باطنا فهو منافق خالص ، وهو شر من الكافر ، والله أعلم

قال رحمه الله وهو نوعان : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، أما توحيد الربوبية فيقر به الكافر والمسلم ، وأما توحيد الألوهية فهو الفارق بين الكفر والإسلام ، فنبني لكل مسلم أن يميز بين هذا وهذا ويعرف أن الكفار لا ينكرون أن الله الخالق الرازق المدبر ، قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، قل أفلا تتقون) الآية (ولئن سألتهم

من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله (الآية .
فاذا ثبت لك أن الكفار يقرون بذلك عرفت أن قولك لا يخلق ولا يرزق
إلا الله ، ولا يدبر الامر إلا الله ، لا يصيرك مسلماً حتى تقول لا إله إلا الله مع
العمل بمعناها . فهذه الاسماء كل منها له معنى يخصه .

أما قولك الخالق فعناه الذي أوجد جميع مخلوقاته بعد عدمها ، وأما قولك
الرازق فعناه أنه لما أوجد الخلق أجرى عليهم أرزاقهم . وأما المدبر فهو الذي
تنزل الملائكة من السماء إلى الارض بتدبيره ، وتصعد إلى السماء بتدبيره ، ويسير
السمحاب بتدبيره ، وتصرف الرياح بتدبيره ، وكذا جميع خلقه هو الذي يديرهم
على ما يريد . فهذه الاسماء تتعلق بتوحيد الربوبية الذي يقر به الكفار

وأما توحيد الألوهية فهو قولك لا إله إلا الله وتعرف معناها كما عرفت معنى
الاسماء المتعلقة بالربوبية ، فقولك لا إله إلا الله نفي وإثبات : فتنفي الألوهية كلها
عن غير الله وتثبتها لله وحده ، فعنى الإله في زماننا الشيخ والسيد الذي يقال فيهم
سراً ممن يعتقد فيهم أنهم يجلبون منفعة أو يدفعون مضرة

فمن اعتقد في هؤلاء أو غيرهم نبيا كان أو غيره هذا الاعتقاد فقد اتخذها
من دون الله ، فان بني اسرائيل لما اعتقدوا في عيسى بن مريم وأمه سماهم لله الآهين
قال تعالى (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الآهين
من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته
فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ، انك أنت علام الغيوب)
ففي هذا دليل على ان من اعتقد في مخلوق جلب منفعة أو دفع مضرة فقد
اتخذها الها ، فاذا كان الاعتقاد في الانبياء هذه حاله فما دونهم أولى

وأيضاً فإن من تبرك بحجر أو شجر ، أو مسح على قبر أو قبة يتبرك بهم
فقد اتخذهم آلهة^(١)

والدليل على ذلك أن الصحابة لما قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنوط كما
لهم ذات أنواط ، يريدون بذلك التبرك ، قال « الله أكبر إنها السنن ، قلتم
والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال
إنكم قوم تجهلون * ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله
أبغيتكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين) فوصف قول الصحابة في ذات انواط
بقول بني اسرائيل وهما إله^(٢)

ففي هذا دليل على ان من فعل من ذلك شيئاً مما ذكرناه فقد اتخذهم إلهاء ،
والاله هو المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له وهو الله وحده ، فمن نذر لغير
الله أو ذبح له فقد عبده ، وكذلك من دعا غير الله ، قال تعالى (ولا تدع من دون
الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين) وفي الحديث

(١) كذا في الاصل بضميم العقلاء . ويعني بالتبرك ألتأني للتوحيد مافشا في
العوام من اعتقاد ان هذه الاشياء المتبرك بها تنفع فتشفي من المرض وترد البلاء
وغير ذلك ، بخلاف التبرك المروي عن بعض الصحابة بأثار النبي (ص) وبدم حجامته
ونخامته وتبرك الشافعي بقميص الامام احمد الذي روي بالسند كما في طبقات السبكي ،
ولكن شيخ الاسلام ابن تيمية قال ان هذه الرواية غير ثابتة وعلى تقدير ثبوتها
يراد بها وبأمثالها ذكرى الحب كالمعبود من عشاق الحسان

(٢) ان الذين قالوا للنبي (ص) ما ذكر كانوا حديثي عهد بالشرك فظنوا ان
ما يجعله لهم النبي (ص) من ذلك يكون مشروفاً لا ينافي الاسلام . وأما بنو اسرائيل
الذين طلبوا من موسى جعل الآلهة لهم فكانوا جاهلين بحقيقة التوحيد بما روي عليه
من شرك الفراعنة كما تقدم في حاشية سابقة

«ان الدعاء مخ العبادة» وكذلك من جعل بينه وبين الله واسطة وزعم انها تقربه الى الله فقد عبده . وقد ذكر الله ذلك عن الكفار فقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وكذلك ذكر عن الذين جعلوا الملائكة وسائط فقال (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون)

فذكر سبحانه أن الملائكة نزهوه عن ذلك وأنهم تبرؤا من هؤلاء ، وأن عبادتهم كانت للشياطين الذين يأمرونهم بذلك . وذكر سبحانه عن الذين جعلوا الصالحين وسائط فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) أو تلك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) وذكر سبحانه أنهم لا يملكون كشف الضر عن أحد ولا عن أنفسهم ، وأنهم لا يحولونه عن أحد ، وأنهم يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه . فهذا يثبت لك معنى لا اله الا الله فاذا عرفت حال المعتقدين في عيسى بن مريم والمعتقدين في الملائكة ، والمعتقدين في الصالحين ، وحالهم معهم أنهم لا يملكون لانفسهم ضرراً ولا نفعاً فضلاً عن غيرهم عرفت أن من اعتقد فيمن دونهم فهو أضل سبيلاً فحينئذ يثبت لك معنى لا اله الا الله ، والله أعلم



رسالة في حقيقة الاسلام من الكتاب والسنة (ومن خالفهما من أديباء العلم والعرفان)

قال رحمه الله تعالى :

اعلم وفقنا الله وإياك للإيمان بالله ورسوله - أن الله سبحانه قال في كتابه (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فتأمل هذا الكلام وأن الله أمر بقتلهم وحصرهم والقعود لهم كل مرصد الى أن يتوبوا من الشرك وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . وأيضاً فقد قال ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، وقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله تعالى » فهذا كلام رسوله ، وقد أجمع العلماء عليه من كل مذهب وخالف ذلك من هؤلاء الجهال الذين يسمون العلماء فقالوا : من قال لا إله الا الله فهو المسلم ، حرام الدم والمال ، وقد بين النبي ﷺ الاسلام في حديث جبريل لما سأله عن الاسلام فقال « الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلاً » فهذا تفسير رسول الله ﷺ وهؤلاء يقولون البدو اسلام لانهم يقولون لا إله إلا الله ، فنسمع كلامهم ونسمع كلام رسول الله ﷺ فلا بد له من أحد أمرين إما أن يصدق الله ورسوله ويتبرأ منهم ويكذبهم ، وإما أن يصدقهم ويكذب الله ورسوله ، فنعوذ بالله من ذلك والله أعلم

فتأمل أصول الدين (الاولى) ان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل (الثانية) بيان ماختلف فيه الناس أن الواجب عليهم اتباع

ما أنزل اليهم من ربهم (الثالثة) ان من لم يرفع به رأسا فهو منافق جاهل (الرابعة) رد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة (الخامسة) أن من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل من عند الله لا يضل ولا يشقى (السادسة) ان من أعرض عن ذلك حشر أعمى ضالا شقيا مبعداً (السابعة) أن الذين في قلوبهم مرض يتبعون ما تشابه منه

﴿ تكفير المسلم بالشرك بالله وموالاته المشركين على المؤمنين ﴾

(قل الشيخ محمد رحمه الله تعالى)

إذا شهد الانسان ان هذا دين الله ورسوله كيف لا يكفر من انكره وقتل من آمن به وحبسهم ؟ كيف لا يكفر من أتى المشركين يحثهم على لزوم دينهم ويزينه لهم ويحثهم على معاداة الموحدين وأخذ أموالهم ؟ كيف لا يكفر ويشهد ان هذا الذي يحث عليه ان الرسول ﷺ انكره ونهى عنه وسماه الشرك بالله ؟ وهذا الذي يبغيه ويغض أهله ويأمر المشركين بقتلهم هو دين الله ورسوله

واعلم ان الأدلة على تكفير المسلم الصالح إذا اشرك بالله او صار مع المشركين على الموحدين ولم يشرك - أكثر من ان تحصر من كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء ، وأنا أذكر لك آية من كلام الله اجمع أهل العلم على تفسيرها وأنها في المسلمين وان الرجل إذا قال ذلك فهو كافر في أي زمان كان . قال الله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) الآية . وفيها ذكر أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، فإذا كذب العلماء ذكروا أنها نزلت في الصحابة لما فتنهم أهل مكة وذكروا ان الصحابي إذا تكلم بكلام الشرك بلسانه مع بغضه لذلك وعداوة أهله لكن خوفا منهم فهو كافر بعد إيمانه . فكيف بالمؤمن في زماننا إذا تكلم بالبصرة أو الاحساء أو مكة أو غير ذلك خوفا منهم لكن قبل الإكراه إذا كان هذا يكفر ، فكيف بمن كان معهم وسكن معهم وصار من جملتهم ؟ فكيف بمن اعانهم على الشرك وزينه لهم ؟ فكيف بمن امرهم

بقتل الموحدين وختهم على لزوم دينهم
فانتم وفقكم الله تأملوا هذه الآية وتأملوا من نزلت فيه واجمع العلماء على
تفسيرها وتأملوا ماجرى بيننا وبين اعداء الله، نطلبهم دائماً للرجوع إلى كتبهم
التي بأيديهم في مسألة التكفير والقتال فلا يجاوبونا إلا بالشكوى عند الشيوخ
وامثالهم . ونسأل الله ان يوفقكم لدينه القيم ويرزقكم الثبات عليه وصلى الله على
محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ ذبيحة المرتد وما يكفر به المسلم وحكمه ﴾

وسئل عن ذبيحة المرتد وتكفير من يعمل بفرائض الاسلام الخ
فأجاب: قوله تعالى (اليوم أحل لكم الطيبات) الآية وقوله (فكلوا مما ذكر
اسم الله عليه) الآيات ، لا اختلاف في حكمهن بين احد عرف كتاب الله . ولكن
الكلام في حكم الذابح هل هو مسلم فيدخل حكمه في حكم الآية اذا ذبح وسمى
الله عليها فلو ترك التسمية نسيانا حلت ذبيحته وكانت من الطيبات بخلاف من
ترك التسمية عمداً فلا تحل ذبيحته ، وكذلك أهل الكتاب أعني اليهود والنصارى
ذبيحتهم ومناحتهم حلال لقوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) الآية
وأما المرتد فلا تحل ذبيحته وإن قال فيها بسم الله لأن المانع لذلك ارتداده
عن دين الاسلام لا ترك التسمية لأن المرتد شر عند الله من اليهود والنصارى
من وجوه (أحدها) ان ذبيحته من الخبائث (الثانية) انها لا تحل منا كحته بخلاف
أهل الكتاب (الثالثة) أنه لا يقر في بلد المسلمين لا بمجزية ولا بغيرها (الرابعة) أن
حكمه يضرب عنقه بالسيف لقوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» بخلاف أهل الكتاب .
فاذا تقرر هذا عندك فاعرف أن الكلام في تحريم ذبيحة المرتد لا في أن الله
أمر بأكل ما سمي الله عليه ولا تحليل طعام أهل الكتاب
وقولكم لم تكفرون من يعمل بفرائض الاسلام الخمس ؟ فقد كان في زمن

الرسول ﷺ من انتسب إلى الاسلام ثم مرق من الدين^(١) كما في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ بعث البراء بن عازب معه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله، وقد انتسب إلى الاسلام وعمل به

ومثل قتال الصديق والصحابه رضي الله عنهم مانعي الزكاة وسي ذرايرهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين بعد ما عملوا بشرائع الاسلام . ومثل اجتماع التابعين على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين إلى غير ذلك وقد جرى وقائع لاتعد ولا تحصى ، ومثل بني عبيد الذين ملكوا مصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالاسلام ، وصلاة الجمعة والجماعة ، ونصب القضاة والمفتين . لما أظهروا من الافوال والافعال ما أظهروا . لم يتوقف أحد من أهل العلم والدين عن قتالهم مع ادعائهم الملة ومع قولهم لا إله إلا الله أو لأجل اظهار شيء من أركان الاسلام إلا ماسمعنا منكم ، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب وهو (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه حتى ذكروا فيه أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر الانسان ويحل دمه وماله، حتى ذكروا أشياء يسيرة مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب، والذين قال الله فيهم (يحلون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) الآية أسمعتم الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن النبي ﷺ يجاهدون معه ، ويصلون ، ويذكرون ، ويصومون ، ويحجون ، ويوحدون الله سبحانه ؟ وكذلك الذين قال الله فيهم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا قد كفرتم) الآية، قالوا كلمة على وجه المزح واللعب^(٢) فصرح

(١) كذا في الاصل وقد سقط منه الخبر أي كذلك يحكم بكفره ويقتل
(٢) تلك الكلمة تتضمن تكذيب النبي ﷺ أو الشك في نبوته قيل هي قول بعضهم ان كان ما يقول محمد حقا فهم شر من الخير وقيل هي استهزاءهم بقتاله للروم، وعلى كل حال قد ثبت بالآية ان الذي يعلى ويصوم ويجاهد قد يحكم بكفره بكلمة استهزاء بالدين او بالرسول ﷺ

التوحيد روح الدين الذي لا يصح بدونه اسلام ولا عبادة ٤٥

لله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فتأمل أرشدك الله ، من انتسب الى الاسلام . مرق من الاسلام لما اظهر خلاف ذلك ، فكيف بما هو اظهر من ذلك ؟ فاذا كان على عهد النبي ﷺ وخلفائه من انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم ، فعلم أن المنتسب الى الاسلام في هذه الازمان قد يمرق من الاسلام ، وقولكم هل يعلمون للنبي ﷺ ديناً الا الاسلام الذي جاء به جبرئيل ؟ فمعلوم ان رسول الله ﷺ قام يدعو الناس الى التوحيد سنين عديدة قبل أن يدعوهم الى أركان الاسلام . ومعلوم أن التوحيد الذي جاء به جبرئيل أعظم فريضة ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف اذا جحد الانسان شيئاً من اركان الاسلام كفر ، ولو عمل بكل ما جاء بها الرسول ﷺ ، واذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل من نوح الى محمد لا يكفر لانه يقول لا إله الا الله . أو لانه يفعل كذا وكذا ؟ فما الذي فرق بين رسول الله ﷺ وبين قريش ؟ هل هو عند الملك والرياسة والتطاؤل ؟ أو عند لا إله الا الله محمد رسول الله ؟ فتمرقوا عند ذلك وقالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا شيء عجاب)

أتظن ان قريشاً لو يعلمون ان هذا الكلام مجرد قول بلا عمل وانهم يقولون لا إله الا الله وينشئون على دينهم ولا يضرهم وان النبي ﷺ يرضى منهم بذلك وانه ما يحاربهم ولا يكفرهم ولا يقاتلهم ؟ اترام يتركون التلفظ بلا إله الا الله كما هو اعتقادكم ، أو دين الاسلام لفظ لا إله الا الله ؟ وان من قالها فهو المسلم وتؤثرون عليها حديث جبرئيل ، وحديث بني الاسلام على خمسة اركان ، وحديث أمريت أن أقاتل الناس . وحديث اسامة . وحديث من صلى صلاتنا . وحديث انه كان إذا غار على القرية إن سمع أذاناً كف عنها والا غار عليها . ولكن الامر كما قال عمر رضي الله عنه « انها لا تنقض عرى الاسلام عروة عروة حتى ينشأ في الاسلام

من لا يعرف الجاهلية» فذلك انه إذا لم يعرف من الشرك ما عابه القرآن وما ذمه وقع فيه ، وهو لا يعرف انه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو فوقه أو دونه أو شر منه، فتنقض بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد، ويبدع بمتابعة الرسول، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فان كان سؤالك مسترشداً فاسأل عن قول الله في ابراهيم (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) قال وما نجا من شر هذا الشرك الا كبر الا من جرد التوحيد لله، وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله .

فتأمل ان الاسلام لا يصبح إلا بمعاداة أهل الشرك وان لم يعادهم فهو منهم ولو لم يفعله ، واسأل عن معنى قوله تعالى (لمن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم — الى قوله — ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) وقوله (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء — الى قوله — وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدأتكم تؤمنوا بالله وحده) الآيات وقال تعالى (لا نجد قوماً يؤمنون بالله) الآيات وما أشبه ذلك

واسأل عن سبب نزول الآية وما معناها. وان كان غير ذلك، فلا تأس على الهالكين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ انتهت رسائل الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ﴾



كِتَابُ جَوَابِ أَهْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي نَقْضِ كَلَامِ الشَّيْعَةِ وَالزَّيْدِيَّةِ

لِـمُؤَلِّفِهِ
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الشَّيْخِ
١١٦٥ - ١٢٤٢ هـ

فقيه حنبلي. خلف أباه في موازنة آل سعود. ولد ونشأ في الدرعية وتفقه على أبيه وغيره. مبرع في التفسير والعقائد وعلوم العربية. كان مرجع قضاة المملكة السعودية في عهد الامام عبد العزيز ابن محمد، وابنه سعود، وحفيده عبد الله بن سعود. وألف كتباً كثيرة، منها «جواب أهل السنة النبوية وهو رسالة في الرد على اعتراضات بعض الشيعة والزيدية، و«الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة» - وسائل ومسائل طبعت متفرقة». وكان مع الأمير سعود بن الامام عبد العزيز يوم دخوله مكة في المرة الاولى (١٢١٨ هـ) وسأل بعض الناس عن عقيدتهم فكتب رسالة اشتملت على معاني دعوة ابيه ودحض بها ما كان يرميهم به خصومهم. وكان الى جانب علمه، شجاعاً اشتهر عنه يوم دخول ابراهيم باشا للدرعية، وقوفه في احد ابوابها (باب البحيري) وقد شهر سيفه وقاتل قتال الابطال وهو يقول: بطن الارض على عز خير من ظهرها على ذل! وسلم في تلك الواقعة وبعد استيلاء ابراهيم باشا على الدرعية (١٢٣٣ هـ) اعتقله وأرسله الى مصر، فتوفي بها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ان لا إله إلا الله ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما
(اما بعد) فإنه قد وصل الينا كتابكم الذي فيه الاعتراض على الجواب الذي قد اتاكم العام الماضي صحبة رسولكم. واعتراض المعارض عليه فاسد من وجوه كثيرة ، وهو يدل على جهالة قائله ومكابرته ومعاندته لاهل البيت النبوي وغيرهم من أهل السنة والجماعة المقتدين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما سنبينه ان شاء الله تعالى، والجاهل يبين جهله وضلاله بالادلة، فاذا عاند وكابر صار جهاده بالسيف، كما قال تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز)

اما قوله ان سبب الاختلاف بين السائل والمسؤول هو ان علياً عليه السلام فارقه وحاربه معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ، وقتل علي رضي الله عنه بعد أن كانت الحرب بينهما اربعين يوما إلى آخره فنقول :

هذا مما يدل على جهل المعارض أو تجاهله ، وذلك ان الاختلاف الذي بيننا وبينكم ليس هذا سببه، وانما سبب الاختلاف والعداوة والمقاتلة لمن قاتلناه هو الشرك بالله الذي قد انتشر وذاع في سائر البلاد ، من يمن وشام ومغرب

ومشرق ، وهو الاستغاثة بالصالحين ودعوتهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الذي قال الله فيه وفيمن فعله (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار) وقال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) وقال تعالى في حق الانبياء (ولو اشركو ا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)

وقال لنبينا ﷺ (ولقد اوحى اليك الى الذين من قبلك ان اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا من الظالمين) وقد صح عندنا بالنقل المتواتر ان هذا يفعل عندكم في كثير من بلاد اليمن ولا تزيلون ولا تنكرونه على من فعله ، والاوثان والبنيات التي على القبور موجودة عندكم . وقد ثبت في صحيح مسلم عن ابي الهياج الاسدي قال : قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ « ألا أدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » (١)



الاختلاف بين علي ومعاوية

﴿ورأي أهل السنة في هذه الفتن (١)﴾

وأما الاختلاف الذي بين علي ومعاوية فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولنا ما كسبنا ولا نسئل عما كانوا يعملون ، كما قال الله تعالى لاهل الكتاب لما احتجوا بآبراهيم واسحاق ويعقوب (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون)

وأما قوله: فلما مات الحسن استتم لمعاوية هذا الامر . فهذا مما يدل على جهله بالسير والاخبار، فان الامر قد استتم لمعاوية قبل موت الحسن بسنتين وبايعه جميع المسلمين بالخلافة سنة الخلع الحسن من الخلافة وسلمها الى معاوية وصالحه على ذلك في سنة احدى وأربعين ، وذلك أنه ولي الخلافة بعد قتل أبيه رضي الله عنه فأقام فيها ستة أشهر وأياما ، ثم سار اليه معاوية وأرسل اليه الحسن يبذل تسليم الامر اليه واشترط عليه شروطا ، فأجاب معاوية الى ذلك وظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ في الحسن بن علي « ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وكان نزوله عنها في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ، وقيل في جماد الاول (٢) وتوفي الحسن رضي الله عنه بالمدينة سنة تسع وأربعين ، وقيل في خامس ربيع الاول سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة احدى

(١) هذا العنوان وامثاله من وضع المطبعة لامن وضع المؤلف والفرض منها الترغيب في المطاعة ، وتسهيل المراجعة ، اقتداء بوضع الامة اسماء السور في المصحف ووضع العلماء أبوابا لمصحيح مسلم

(٢) كذا في الاصل ولعله تحريف من النساخ فالصواب جمادى الاولى

نكبة الامة الاسلامية الكبرى وفتنتها بقتل عثمان (رض) ٥١

وخمسين . كذا ذكره السيوطي وغيره من أهل التواريخ . وبهذا يتبين لك تخطيط الحبيب في كلامه وجهله بالنقل

وأما قوله : فلما قتل علي ومات ابنه الحسن استتم لمعاوية الامر فذلت له الرقاب وافترت الامة إلى فرقتين إلى آخر كلامه

فيقال : وهذا أيضاً من عجيب جهله ، فان الافتراق العظيم الواقع بين الامة بسببه قتل امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وبعد قتله افترت القلوب حتى آل الامر إلى القتال بالسيف وجرى بين علي وطلحة والزبير وقعة الجمل المشهورة قتل فيها بين الفريقين نحو ثمانية عشر ألفاً ، ثم جرت بين علي ومعاوية وقعة صفين ودام القتال بينهم نحو مائة يوم وعشرة أيام وقتل بين الفريقين نحو مائة ألف وعشرة آلاف ، فمن أهل الشام تسعون ألفاً ، ومن أهل العراق عشرون ألفاً كما ذكر ذلك المسعودي وغيره من أهل العلم بالتاريخ ، وجرى في أيام علي من الفتن والحروب والقتل بين المسلمين ما هو معروف ، وكل ذلك بسبب قتل عثمان رضي الله عنه ^(١) وقد أخرج ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس عن النبي ﷺ انه قال « ان لله سيفاً مغموداً في غمده مادام عثمان فاذ قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يعمد الى يوم القيامة » قال السيوطي تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير وأخرج ابن عساكر عن حذيفة قال « أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال . والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا وقع في فتنة الدجال ، وإن لم يدركه آمن به في قبره » . وأخرج ابن عساكر : ^(٢) لو لم يطلب الناس بدم عثمان لموا بالحجارة من السماء .

(١) واما السبب الباطن لهذه الفتن فهي دعاية التشيع لعلي كرم الله وجهه اني بها الحديث عبد الله بن سبأ اليهودي الزنديق في المسلمين فكان الغلو فيها سبب غلو الخوارج في عداوة علي وانصاره وغيرهم من أهل السنة

(٢) لم يذكر صاحب هذا الاثر والظاهر انه حذيفة فراجع في تاريخ ابن عساكر

٥٢ اتفاق كلمة المسلمين بنزول الحسن لمعاوية عن الخلافة

وأخرج عن سمرة قال « ان الاسلام كان في حصن حصين وانهم ثلثوا في الاسلام ثلثة بقتلهم عثمان لاتسد الى يوم القيامة ، وان أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد اليهم »

وأخرج عبدالرزاق في مصنفه عن حميد بن هلال قال: كان عبدالله بن سلام يدخل على محاصري عثمان فيقول « لا تقتلوه فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقي الله أجندم لا يد له ، وإن سيف الله لم يزل مغموذا وإنكم والله ان قتلتموه لسله الله ثم لا يغمده عنكم أبداً ، وما قتل نبي قط الا قتل به سبعون الفا ، ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قبل ان يجتمعوا » (١) وأخرج الحاكم عن الشعبي قال: ما سمعت من مرأى عثمان أحسن من قول كعب بن مالك حيث قال :

فكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن ان الله ليس بغافل
وقال لاهل الدار : لا تقتلوه عفا الله عن كل امرء لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم امداداً والبغضاء بعد التواصل؟
وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس اذ بار الرياح الجوافل؟

وأما بعد مبايعة الحسن لمعاوية فاجتمعت الكلمة واصطلح الناس ، ولأجل ذلك سمي العام عام الجماعة ، فكيف يقول هذا الجاهل: افرقت الامة بعد أن استتم لمعاوية الامر فرقتين إلى آخر كلامه (٢)

وقد ذكر أهل العلم بالسير والتواريخ ان معاوية لما تولى الخلافة واستتم له الامر حين عزل الحسن نفسه اتفقت كلمة المسلمين ، وكانوا في ولايته متفقين غير

(١) من مرويات عبدالله بن سلام من كتب بني اسرائيل اه من حاشية الاصل

(٢) قوله هذا اصطلاح للشيعة يعنون به ان فريقاً من الناس صاروا عثمانين

ويعنون بهم أهل السنة ، وفريقاً صاروا علويين ويعنون بهم أنفسهم ، كما سيأتي مع رد

المؤلف عليه

مختلفين ، يغزون العدو ويجاهدون في سبيل الله ، فلما مات معاوية جرت الفتن العظيمة ، منها قتل الحسين وأهل بيته ، ومنها حصار ابن الزبير بمكة ، ووقعة الحرة بالمدينة . ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحالك بمرج راهط . ثم وثب المختار بن عبيد على ابن زياد فقتله ، وجرت فتنة مصعب بن الزبير وقتله ، ثم حاصر الحجاج ابن الزبير فقتله وجرت فتنة ، ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه عبدالرحمن بن الاشعث مع خلق عظيم من القراء وكانت فتنة كبيرة . فهذا كله بعد موت معاوية رضي الله عنه ، ثم جرى بعد ذلك أيضا فتنة ابن المهلب بخراسان وقتل زيد بن علي بالكوفة وجرت فتن . ثم قام ابو مسلم وغيره بخراسان وجرت فتن يطول وصفها وتزايد شرها

وبالجملة فلم يكن ملك من ملوك المسلمين خيرا من معاوية اذا نسبت أيامه الى أيام من بعده . وقد روى ابو بكر الاثرم : حدثنا محمد بن عمرو حدثنا مروان عن يونس عن قتادة قال : لو أصبحت في مثل عمل معاوية لقال الناس هذا المهدي ، وكذا رواه ابن بطة باسناده الثابت من وجهين عن الاعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي

وروى عبدالله بن احمد بن حنبل : حدثنا ابوسعيد الاشج حدثنا ابو اسامة حدثنا الثقة عن ابي اسحاق السبيعي انه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه او أدركتم أيامه لقلتم هذا المهدي^(١)

(١) أكبر فضيلة لمعاوية عند هؤلاء المشين عليه وغيرهم انه قدر على حفظ المملكة الاسلامية من التقاتل بين المسلمين ، ووجه مهمهم وقوتهم الى الكفار ، وفتح الامصار ، واكبر غائلة له اخراج منصب الامامة العظمى عما وضعها فيه الصحابة بهداية الله ورسوله وهو الانتخاب الاختياري ، الى عصبية النسب بجعلها في ولده يزيد الفاجر ، ثم لارتنا يتداوله بنو أمية ، فكان هذا سببا لجعلها كالكرة يتقاذفها الاقوياء بالعصبية دون هداية الصحابة ، وبذلك صارت ملكا عضوا بعد الراشدين كما ورد في الحديث

وفي الصحيحين ان رجلا قال لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية إنه أوتر بركمة ؟ فقال: أصاب، انه فقيه . فلهذه شهادة ابن عباس بفقته معاوية . وابن عباس من علماء أهل البيت ، ومعاوية ليس من السابقين الاولين ، بل قد قيل انه من مسلمة الفتح وقيل بل أسلم قبيل ذلك ، وكان يترف بانه ليس من فضلاء الصحابة ، ومعلوم باجماع المسلمين انه ليس قريبا من عثمان وعلي فضلاء عن أبي بكر وعمر . وقد تبين بما ذكرنا لكل منصف أريب ، ولين له قلب منيب ، جهل هذا المعترض وطائفته بما عليه أهل البيت ، وان دعواهم ومحبتهم كذب واقتراء ، ومجرد دعوى لاحقية لها ، كما ان اليهود والنصارى يدعون اتباع أنبيائهم وهم قد خالفوهم وسلكوا غير طريقهم ، وكذلك الرافضة والشيعة يدعون اتباع علي وأهل بيته وهم قد خالفوا طريقهم ، وسلكوا غير منهاجهم ، وان أسعد الناس باتباعهم ومحبتهم أهل السنة والجماعة القائلون بما دل عليه الكتاب والسنة



مدة الحرب بين علي ومعاوية

وأما قوله : بعد ان كانت الحرب بينهما أربعين يوما ، فالجواب أن يقال : هذا بما يدل على جهل هذا المعترض بالسير والاخبار ، وأنه يخطئ في كلامه خبط عشواء بلا دليل ولا مستند ولا استبصار ، ولا معرفة بما نقله أهل تواريخ الاسلام والعلماء الكبار ، فإن كان مراده يوم صفين خاصة فقد ذكر أهل التواريخ الاسلامية ان الحرب أقامت بين علي ومعاوية في يوم صفين^(١) نحو مائة يوم وعشرة أيام وجرى بينهم في تلك المدة نحو تسعين وقعة. وذلك أنهم ذكروا ان ابتداء القتال في أول يوم من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة فدامت الحرب بينهم ثلاثة أشهر وعشرين يوما كما ذكر معنى ذلك المسعودي عن أهل السير والاخبار كما تقدم ذلك عنه ، وذكر القرطبي صاحب التفسير الكبير ان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر ، وقيل تسعة ، وقيل ثلاثة ، وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين يوما زحفا في ثلاثة أيام من أيام البيض وهي ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ، وقتل ثلاثة وسبعون الفا من الفريقين ، ذكره الثقة العسقلاني ابراهيم بن الحسن الكسائي الهمداني ، وفي تلك الليالي ليلة الحرير جعل بعضهم يهر الى بعض ، والحرير

(١) ان قيل كيف قال يوم صفين ثم قال انه كان ١١٠ أيام (قلنا) ان لفظ «اليوم» في أصل اللغة معناه الزمن الذي يحدده ما يقع فيه قل أو كثر ، فيوم صفين هو الزمن الذي وقعت فيه الحرب بين علي ومعاوية وقدره ١١٠ أيام فلكية ، وهكذا يقال في يوم الجمل وأيام العرب وغيرها . ويوم القيامة زمن مقداره خمسون ألف سنة كما قال الله تعالى

الصوت يشبه النباح لانهم تراموا بالنبل حتى فنيت، وتطاعنوا بالرمح حتى اندقت، وتضاربوا بالسيوف حتى تقصفت، ثم نزل القوم بعضهم الى بعض، قد كسروا جفون سيوفهم واضطربوا بما بقي من السيوف وعمد الحديد، فلا تسمع إلا غممة القوم والحديد في الهام. فلما صارت السيوف كالمناجل، تراموا بالحجارة ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب، ثم تكادموا بالافواه، وكسفت الشمس وثار القتام، وارتفع الغبار، وتقطعت الالوية والرايات، ومرت أوقات اربع صلوات، لان القتال كان بعد صلاة الصبح واقتتلوا الى نصف الليل. وذلك في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين. قاله الامام احمد في تاريخه انتهى ما ذكره القرطبي (١)

واما ان كان مراده محاربة علي ومعاوية وعدم تسليم معاوية الامر له فهذا أعظم جهلا وأكبر خطأ مما قبله. فان معاوية اقام محاربا لعلي مدة خلافته كلها من حين قتل عثمان الى ان قتل علي رضي الله عنه، وذلك نحو خمس سنين إلا ثلاثة اشهر، وقيل أربع سنين وتسعة اشهر وثلاثة أيام، وقيل وستة أيام، وقيل وأربعة عشر يوما، وقيل أربع سنين وثمانية اشهر وثلاثة وعشرين يوما

(١) ولا يخفى ما في كلام القرطبي من الكذب والغلو والتشنيع الخالف لصحيح التاريخ اه من حاشية الاصل. والقرطبي لم يكن هو المفتري ولكنه اغتر ببعض ما كتبه اصحاب الاهواء في ذلك

فصل

واما قوله افرقت الامة فرقتين فرقة توالي معاوية باطنا وظاهراً وهم الذين قاتلوا معه ونصروه وسموا انفسهم أهل السنة والجماعة كما اخبرت بذلك التواريخ . فالجواب ان يقال : هذا ايضا جهل وتخبيط وقصور فهم وغباوة شديدة فان الامة قد افرقت بعد قتل عثمان رضي الله عنه ثلاث فرق : فرقة بايعت علياً رضي الله عنه ودخلوا في طاعته ، وهم اكثر الصحابة وجمهور المسلمين وفرقة امتنعت عن الدخول في طاعته ومبايعته واظهروا الطاب بدم عثمان رضي الله عنه ، وهم معاوية ومن تابعه وكان هو الامير عليهم في خلافة عمر رضي الله عنه وخلافة عثمان ، وارسلوا إلى علي : ان كنت تريد ان نبايعك فادفع الينا قتلة عثمان فإني علي رضي الله عنه ذلك .

والطائفة الثالثة لم يبايعوا علياً ولا معاوية واعتزلوا الفريقين جميعاً لم يمينوا هؤلاء ولا هؤلاء ولم يدخلوا في تلك الحروب والعن ولم يحضروها ، منهم سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومنهم اسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن مسلمة الانصاري ، وأبو موسى الاشعري وعمران بن حصين الخزاعي ، وأبو بكر الثقفى ، واهبان بن صيفي . ومن التابعين شريح والنخعي رضي الله عنهم أجمعين

واخرج ابن ماجه عن ابي بردة قال دخلت على محمد بن مسلمة فقال ان رسول الله ﷺ قال « انها ستكون فتنة وفرقة واختلاف ، فاذا كان ذلك فانت بسيفك أحداً فاضربه به حتى ينقطع ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية » فقد وقعت وفعل ما قال النبي ﷺ .

ومن هؤلاء من بايع علياً رضي الله عنه ولم يقاتل معه في حروبه قال أبو عمر

٥٨ تفضيل موالاة أهل السنة عليا على معاوية ومن دون الخلفاء الثلاثة

ابن عبد البر في الاستيعاب : وتختلف عن بيعة علي اقوام فلم يكرههم علي وسئل عنهم فقال : أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يدخلوا في الباطل . وقال غيره : ان كثيرا من المسلمين حتى من أهل المدينة ومكة لم يكونوا بايعوه، دع الذين كانوا يعمدين كاهل الشام ومصر والمغرب وخراسان والعراق. انتهى

وقد قال غير واحد من أهل العلم : ان جمهور الصحابة مداخلوا في الفتنة . قال عبد الله بن الامام احمد : حدثنا ابي ثنا اسماعيل يعني ابن علية حدثنا ايوب السختياني عن محمد بن سيرين قال : هاجت الفتنة وصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين . هذا إسناد من اصح اسناد علي وجه الارض، ومحمد بن سيرين من أروع الناس في منطقه، ومراسيله من أصح المراسيل وقال عبد الله : حدثنا ابي ثنا اسماعيل ثنا منصور بن عبد الرحمن (١) . قال : قال الشعبي لم يشهد الجمل من اصحاب النبي ﷺ غير علي وعمار وطاحه والزبير، فان جاؤا بخامس فانا كذاب . وقال عبد الله بن احمد ثنا ابي ثنا أمية بن خالد قال قيل لشعبة : إن ابا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال : شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا ، فقال : كذب والله، لقد ذكرت الحكم بذلك وذاكرناه في بيته فما وجدنا شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت. وهذا الذي يدل على قلة من حضرها، وقيل : انه حضرها سهل بن حنيف وابو ايوب، وكلام ابن سيرين متقارب فما يكاد يذكر مائة واحد . وقد روى ابن بطة باسناده عن بكير ابن الاشج قال : اما ان رجلا من أهل بدر لموا بيوتهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه فلم يخرجوا الا لقبورهم .

(١) قال ابو حاتم لا يحتج به اه من حاشية الاصل

فصل

وأما قوله في معاوية رضي الله عنه لما استتم له الأمر فذلت له الرقاب : افترقت
الامة إلى فرقتين : فرقة توالي معاوية باطنا وظاهراً وهم الذين قتلوا معه وسموا
أنفسهم أهل السنة والجماعة كما اخبرت به كتب التواريخ وبدعوا من وإلى علياً وأهله
فالجواب ان يقال : هذا من الكذب والبهتان الظاهر لكل من له معرفة
بما عليه أهل السنة والجماعة بل معاوية وأصحابه الذين قاتلوا علياً ومن معه لا
يبدعون ولا يبدعون من والآء ، بل العلماء منهم مقرون بفضلهم ودينهم وورعهم وسابقتهم
وحسن بلائهم في الاسلام ، حتى معاوية نفسه يقر بذلك في المحافل والمجالس ، كما
ذكر ذلك أهل العلم في كتبهم . فروى يحيى الجعفي في كتاب صفين باسناده : حدثني
يعلى بن عبيد حدثنا أبي قال أبو مسلم الخولاني وجماعة لمعاوية : أنت تنازع علياً ؟
ام انت مثله ؟ قال : لا والله إني لأعلم ان علياً افضل مني واحق بالأمر . ولكن
ألستم تعلمون ان عثمان قتل مظلوماً وأنا ابن عمه وأما أطلب بدمه ، فأتوا علياً
فأيدفع إلي قتلة عثمان واسلم له ، فأتوا علياً فسلطوه فلم يدفعهم اليه

فانظر وتأمل يتبين لك كذب المعارض ونسبته إلى الصحابة مالا يليق بهم ،
كذلك نسبته إلى أهل السنة والجماعة تبديع من وإلى علياً وأهل بيته وشيعته ،
فان هذا كذب وافتراء على القوم ، بل جميع أهل السنة يتولون علياً وأهل البيت
ويقدمونه على معاوية بل وعلى من هو افضل من معاوية ، فن الذي عليه جمهور
أهل السنة والجماعة ان افضل هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ومن بعد أبي بكر
عمر ثم بعد عمر عثمان ثم بعد عثمان علي ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل بيعة
الرضوان ، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، وأهل السنة يعلمون ان معاوية
ليس من السابقين الاولين ، بل هو من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم ولكنه
من حسن اسلامه بعد ذلك ، وصار يكتب الوحي لرسول الله ﷺ . ثم لما توفي

أبو بكر خرج إلى الجهاد مع أخيه يزيد بن أبي سفيان، ثم لما توفي يزيد استعمله عمر رضي الله عنه على الشام فأقام أميراً عشرين سنة وخليفة عشرين سنة وكانت رعيته تحبه لحسن سيرته

وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ قال « خيار أمتكم الذين يحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » ومما يدل على اعتراف معاوية بفضل علي ما أخرجه غير واحد من أهل السنة في كتبهم وذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب في ترجمة علي حيث قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن يوسف قال حدثنا يحيى بن مالك قال حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن مقلد البغدادي بمصر قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن درية قال حدثنا السكلي عن الحرماوي عن رجل من همدان قال : قال معاوية لضرار الصدائي : يا ضرار ، صف لي عليا ، قال اعفني يا أمير المؤمنين ، قال فلنصفه لي قال « اما اذ لا بد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كاحدنا ، يجهينا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعونا ، ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له ، يعظم أهل الدين ويقر بهم ، ويجب المساكين ، لا يطعم القوي في باطله ، ولا يئس الضيف من عدله ، واشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد ارخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، قابضا على لحيته ، يتململ تلمل السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غري غري ، لي تقربت ؟ ام الي تشوفت ؟ هيهات هيهات ، بتك ثلاثا لارجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق »

فبكى معاوية وقال: رحم الله ابا الحسن، كان والله كذلك. فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال «حزن من ذبح واحدا في حجرها»

وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما ينزل به الى علي بن ابي طالب يسأله عن ذلك. فلما بلغه قتله قال ذهب الفقه والعلم بموت ابن ابي طالب، فقال له عتبة اخوه لا يسمع هذا منك أهل الشام. انتهى ما ذكره ابو عمر

وكذلك الصحابة الذين قاتلوا عليا مع معاوية ليس فيهم من يقول ان معاوية افضل من علي وإنما قاتلوه ومن معهم من أهل الشام للطالب بدم عثمان رضى الله عنه. وكانوا يقولون ان معاوية هو ولي عثمان والطالب بدمه كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم بالاخبار والتواريخ وأيام الناس

قال بجالد عن الشعبي: لما قتل عثمان أرسلت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان: أرسلوا إلي بثياب عثمان وبالحصلة الشعر التي تنفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير فبعثته إلى معاوية، فضى بذلك وبكتابها فصعد معاوية المنبر وجمع الناس ونشر القميص عليهم، وذكر ماصنع بعثمان ودعا إلى الطلب بدمه، فقام أهل الشام فقالوا: هو ابن عمك وأنت وليه، ونحن الطالبون معك بدمه، فبايعوا له. وقال يونس عن الزهري: لما بلغ معاوية قتل طلحة والزبير وظهور علي دعا أهل الشام للقتال معه على الشورى والطلب بدم عثمان، فبايعوه على ذلك اميراً غير خليفة. وقد روى الطبراني عن ابن عباس قال: ما زلت موقفاً ان معاوية سيلى الملك والسلطان من هذه الآية (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) (١) وأما سائر أهل السنة والجماعة فكلهم يتولون علياً وأهل البيت ومحبتهم

(١) ولكن قال الله بعد ذلك (فلا يسرف في القتل) وقد أسرف معاوية، وقامت عليه الحجة بما رواه هو وغيره من قوله (ص) لعمار «تقتلك الفئة الباغية» ثم ماذا فعل بقتلة عثمان، بعد ان انتهى اليه السلطان؟

وينكرون على بني أمية الذين يسبون علياً، وكتبهم مشحونة بالثناء عليه ومحبة وموالاة،
وجميع كتب الحديث مذكور فيها فضل علي وأهل البيت ولكنهم يتولون سائر الصحابة
ويحبونهم ويترضون عنهم طاعة لله ولرسوله ﷺ، فان الله تعالى ذكر الصحابة في
كتابه ، وأحسن انشاء عليهم، فقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء
على الكفار رحماء بينهم) الآية . وقال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل
الفتح وقاتل) الآية . وأثنى تعالى على من جاء من بعدهم ودعا لهم بالمغفرة فقال تعالى
(والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان)
الآية . فتبين بما ذكرنا جهالة المعارض وكذبه على أهل السنة بأنهم بدعوا من وإلى
علياً وأهل بيته .



وأما قوله : ولذلك قال الشافعي لما رأى التبديع لأهل الحق :
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافضي
فجميع أهل السنة وأكثر أهل البدعة من المعتزلة والمرجئة وغيرهم يقولون
كما قال الشافعي ، ويقولون أيضاً كما قال بعض العلماء :

إن كان نصباً حب صحب محمد فليشهد الثقلان اني ناصبي
فالبيت الاول إرغام للخوارج وطائفة من بني أمية الذين يبغضون علياً
رضي الله عنه وأهل بيته، ومنهم من يكفره . والبيت الثاني إرغام للروافض والزيدية
الذين يبغضون بعض أصحاب النبي ﷺ ، وذلك ان الله تبارك وتعالى هدى
أهل السنة والجماعة لما اختلف فيه من الحق (والله يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم) وذلك انهم آمنوا بجميع المنزل من عند الله ، وجميع ماورد عن رسول
الله من الاحاديث الصحيحة الثابتة ، ولم يغلووا غلو الروافض والزيدية ، ولم يقصروا
تقصير الخوارج ومن نحأ نحوم

فصل

وأما قوله : ولهذا الافتراق روى مسلم في صحيحه عن أبي إسحاق ما معناه :
انه لما وقعت الفتنة قال بعض المحدثين لبعض إذا حدثوا: يدينوا لنا رجالكم، وكانوا
قبل الفتنة يقبلون المرسل ولا يسألون عن رجال السنة
فيقال : هذا مما يدل على انصاف أهل السنة والجماعة ونصحهم لله ولرسوله
ولدينه، خصوصا أئمة الحديث وجهابذته. وذلك انه دين فلا يجوز لهم الاخذ عن
كل من روى الحديث حتى يعرفوا حاله هل هو ثقة حافظ. ضابط لما يرويه ؟
وهل هو من أهل السنة أو من أهل البدعة ؟ فإذا عرفوا الرجل بالكذب يدينوا
حاله ، وإذا عرفوه بالبدعة يدينوا حاله ، فإذا عرفوا أن الرجل ثقة أخذوا عنه ،
وقبلوا حديثه . ولو كان من أهل البدع ، وإذا كان الرجل قايل الضبط أو معروفا
بالكذب أو بالتخليط أو الاضطراب في حديثه تركوا حديثه ، ودينوا حاله .
وان كان من أهل السنة ومن أهل الصلاح . يعرف ذلك من طالع كتب
الجرح والتعديل ، وفي البخاري ومسلم والسنن الاربعة رجال من أهل البدع
يروون عنهم الحديث من الخوارج والقدرية والمرجئة والشيعة وغيرهم اذ كانوا
معروفين بالصدق والضبط ،

ولكن أهل الحديث وأهل العلم يعلمون ان أكذب الطوائف هم الرافضة
والشيعة ومن نحائهم . وذلك ان عمدتهم في المنقولات على تواريخ منقطعة
الاسناد وكثير من وضع المعروفين بالكذب . قال أبو حاتم الرازي : سمعت
يونس بن عبد الاعلى يقول قال أشهب بن عبد العزيز : سئل مالك عن الرافضة
فقال : لا تروو عنهم ولا تكلمهم فانهم يكذبون . وقال أبو حاتم : حدثنا حرمة
قال سمعت الشافعي يقول : لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة . وقال مؤمل بن

إهاب : سمعت يزيد بن هارون يقول يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة فانهم يكذبون

وقال محمد بن سعيد الاصبهاني سمعت شريكا يقول : احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة ، فانهم يضعون الحديث فيتخذونه ديناً ، وشريك هذا هو شريك بن عبد الله القاضي بالكوفة من أقران الثوري وأبي حنيفة وهو من الشيعة الذي يقول بلسانه أنا من الشيعة وهذه شهادته

ومن تأمل كتب الجرح والتعديل المصنفة في أسماء الرواة والنقلة وأحوالهم مثل كتب يحيى بن سعيد القطان وعلي بن المديني ويحيى بن معين والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم الرازي والنسائي وأبي حنم بن حبان وأبي أحمد بن عدي والدارقطني وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ويعقوب بن سفيان والعجلي والعقبلي والموصلي والحاكم النيسابوري والحاظ عبد الغني بن سعيد المصري وأمثال هؤلاء الذين هم جهابذة نقاد ولهم المعرفة التامة بأحوال الاسناد علم أن المعروف عندهم بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف ، حتى ان أصحاب الصحيح كالبخاري وغيره لم يروا عن أحد من قدماء الشيعة مثل عاصم بن ضمره والخارث الاعرج وعبد الله بن سلمة ، مع ان هؤلاء من خيار الشيعة ، وإنما يروون حديث علي عن أهل بيته كالحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وكتبه عبيد الله بن أبي رافع . وعن أصحاب ابن مسعود كعبيدة السلمي والخارث بن قيس وأشباههم وهؤلاء أئمة النقل ونقادهم من أبعد الناس عن الهوى ، وأخبرهم بالناس ، وأقوهم بالحق ، لا يخافون في الله لومة لائم

ولهذا قال أحمد بن حنبل رحمه الله لما قيل له ان ابن أبي قتيبة يقول ان أصحاب الحديث قوم سوء فقام أحمد ينفذ ثوبه ويقول زنديق زنديق زنديق وقال بعضهم : اذا رأيت من ينفذ أحمد بن حنبل فاعلم انه مبتدع ، واذا

رأيت من يبغض يحيى بن معين فاعلم انه كذاب، ولا يبغض يحيى بن معين ويتكلم فيه وفي أمثاله إلا من هو من أهل المكذب

فصل

وأما قوله : ونشأ من هذا الافتراق الامر العظيم وهو استمرار لعن علي عليه السلام علي المنابر حتى قطعه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فيقال : اما لعن علي رضي الله عنه فانما فعله طائفة قليلة من بني أمية وهم عند أهل السنة ظلمة فسقة ، وأهل السنة ينكرون عليهم ذلك بألسنتهم ويروون الاحاديث الصحيحة في فضائل علي

وذلك انهم أرادوا وضعه عند الناس ، وحط رتبته ومحبتته من قلوبهم فجازاهم الله بنقبض قسدهم ، ورفع الله ، وأظهر أهل السنة والجماعة فضائله، وحدثوا بها الناس ، فاشتهرت عند العامة فضلا عن الخاصة ، وجمع أهل السنة يحبونه ويوالونه رضي الله عنه . فلما زالت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس في سنة ثنتين وثلاثين ومائة انقطع لعن علي رضي الله عنه

وأما قول المعترض: ان ابن تيمية روى في منهاجه انه استمر لعن علي إلى زمانه ، وأما في أيامه فقد انقطع، فهذا كذب ظاهر على ابن تيمية رحمه الله، وقلة حياء تميم نسب ذلك اليه ، ومنهاج السنة موجود عندنا ولم يذكر هذا فيه ، وابن تيمية أجل من أن يخفى عليه هذا الامر الواضح الذي يعرفه أدنى من له معرفة بالسير والتواريخ ، وانه انقطع من الشام وغيره من بلاد الاسلام

ثم ظهرت الدولة العباسية وانقطعت الدولة الاموية في أيام السفاح الذي كان هو أول ملوك بني العباس ، وقتل مروان الملقب بالبحار الذي هو آخر ملوك بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة

٦٦ أقوال المسلمين في خلافة علي وفي معاوية وقتالها

وأعجب من هذا قوله: إن ابن تيمية أيضاً روى في منهاج السنة أن كثيراً من علماء السنة والجماعة حكموا بتخطئة علي في حروبه إلا أحمد بن حنبل امام الشيعة عند التحقيق، فانه قال: من خطأ علياً في حروبه فهو كحمار أهله. انتهى معنى كلام ابن تيمية

والجواب أن يقال: إن هذا من الكذب الظاهر على ابن تيمية وعلى أحمد ابن حنبل رحمهما الله، وهذا نص لفظ ابن تيمية في المجلد الاول من كتاب منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية قل رحمه الله:

« ولهذا اضطرب الناس في خلافة علي على أقول، فقالت طائفة إنه امام، وإن معاوية امام، وأنه يجوز نصب امامين في وقت واحد اذ لم يمكن الاجتماع على مام واحد، وهذا يحكى عن الكرامية وغيرهم، وقالت طائفة لم يكن في ذلك الزمان امام عام، بل كان زمان فتنة، وهذا قول طائفة من أهل الحديث البصريين وغيرهم. ولهذا لما أظهر الامام أحمد التبرع بعلي في الخلافة وقال: من لم يربع بعلي فهو أضل من حمار أهله، أنكر طائفة من هؤلاء وقالوا قد أنكر خلافته من لا يقال فيه هو أضل من حمار أهله، يريدون من تخلف عنها من الصحابة. واحتج أحمد وغيره على خلافة علي بحديث سفينة عن النبي ﷺ « تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكاً » وهذا الحديث قد رواه أهل السنن كابن داود وغيره. وقالت طائفة ثالثة علي هو الامام وهو مصيب في قتاله لمن قاتله، وكذلك من قاتله من الصحابة كطلحة والزبير كأنهم مجتهدون مصيبون، وهذا قول من يقول: كل مجتهد مصيب، كقول البصريين من المعتزلة زابي الهذيل وابي هاشم ومن وافقهم من الاشعرية كالقاضي ابي بكر وابي حامد، وهو المشهور عند ابي الحسن الاشعري، وهؤلاء أيضاً يجعلون معاوية مجتهداً مصيباً في قتاله كما إن علياً مصيب. وهذا قول طائفة من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيره ذكره ابو عبد الله بن حامد. وذكر لأصحاب أحمد في المقتلين يوم

الجل وصفين ثلاثة أوجه (أحدها) كلاهما مصيب (والثاني) المصيب واحد لا بعينه (والثالث) ان عليا هو المصيب ومن خالفه محطىء

«والمنصوص عن احمد وأئمة السنة انه لا يذم أحد منهم، وان عليا أولى بالحق من غيره . أما تصويب القتال فليس هو قول أئمة السنة بل هم يقولون ان تركه كان أولى ، وطائفة رابعة تجعل عليا هو الامام وكان مجتهداً مصيباً في القتال، ومن قاتله كانوا مجتهدين مخطئين. وهذا قول كثير من أهل الكلام والرأي من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد ، وطائفة خامسة تقول ان عليا مع كونه كان خليفة وهو أقرب الى الحق من معاوية فكان ترك القتال أولى . وينبغي الامساك عن انتقال لهؤلاء وهؤلاء فان النبي ﷺ قال « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الساعي » وقد ثبت انه ﷺ قال في الحسن « ان ابني هذا سيد واعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين » فأثنى على الحسن بالاصلاح . ولو كان القتال واجبا أو مستحبا لما مدح تاركة ، قالوا وقتال البغاة لم يأمر الله به ابتداء ولم يأمر بقتال كل باغ بل قال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فأمر اذا اقتتل المؤمنون بالاصلاح بينهم ، فان بغت احداهما على الاخرى قوتلت ، قالوا ولهذا لم يحصل بالقتال مصلحة، والامر الذي لم يأمر الله به لا بد أن يكون مصلحته راجحة على مفسدته . وفي سنن أبي داود: ثنا الحسن بن علي ثنا يزيد ثنا هشام عن محمد بن سيرين قال قال حذيفة : ما أحد من الناس تدركه الفتنة الا انا اخافها عليه الا محمد بن مسلمة ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تضره الفتنة » فهذا يبين ان النبي ﷺ أخبر ان محمد بن مسلمة لا تضره الفتنة وهو ممن اعتزل في القتال فلم يقاتل مع علي ولا مع معاوية كما اعتزل سعد بن ابي وقاص واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر

٦٨ تصويب أهل السنة لعلي وانفاقهم على انه أقرب الى الحق

وابو بكرة وعمران بن حصين واكثر السابقين الاولين . وهذا يدل على انه ليس هناك قتال واجب ولا مستحب ، إذ لو كان كذلك لم يكن ترك ذلك مما يمدح به الرجل بل كان من فعل الواجب أو المستحب أفضل ممن تركه . ودل ذلك ان القتال قتال فتنه كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « ستكون فتنه القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي والساعي فيها خير من الموضع »^(١) وأمثال ذلك من الاحاديث الصحيحة التي تبين ان ترك القتال كان خيرا من فعله من الجانبين ، وعلى هذا جمهور أئمة الحديث والسنة . وهذا هو مذهب مالك والثوري واحمد وغيره . وهذه اقوال من يحسن القول في علي وطلحة والزبير ومعاوية . ومن سوى هؤلاء من الخوارج والروافض والمعتزلة فمقاتلتهم في الصحابة نوع آخر ، فالخوارج يكفرون علياً وعثمان ومن والاهما والروافض يكفرون جمهور الصحابة ومن والاهم أو يفسقونهم ويكفرون من قاتل عليا ويقولون هو امام معصوم ، وطائفة من الروائية تفسقه وتقول انه ظالم معتد . وطائفة من المعتزلة تقول قد فسق إما هو واما من قاتله ، لكن لا يعلم عينه . وطائفة أخرى منهم تفسق معاوية وعمر بن العاص ودون طلحة والزبير وعائشة « انتهى ما ذكره الشيخ نقي الدين بن تيمية في منهاج السنة »

فانظر رحمك الله بعين الانصاف الى كلام هذا الامام ، ثم انظر الى كلام المعارض يتبين لك تحريفه للكلم عن مواضعه ، فان ابن تيمية انما ذكر ان جمهور أئمة السنة يرون ان ترك قتال علي أولى من القتال ؛ وان تركه أحب الى الله وإلى رسوله لاحاديث الرسول ﷺ في الحسن ابن علي وغيره الدال على هذا المعنى ، وتقدمت الاشارة الى بعضها

(١) الموضع كالمسرع وزنا ومعنى

٦٩ تصويب أهل السنة لعلي واتفاقهم على أنه أقرب إلى الحق

وأما تخطئتهم علياً في ذلك فخاشاً وكلاً، بل كثير من أهل السنة والجماعة يرون أن علياً مصيب في قتاله لمعاوية ومن معه وكلهم متفقون على أنه أقرب إلى الحق وأولى به من معاوية ومن معه، وأما ما ذكره عن أحمد بن حنبل فإنما أراد أحمد بذلك: ومن لم يجعل علياً رابع الخلفاء الراشدين. وقال: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله

وأما لفظ المعارض الذي ذكره عن أحمد: أن من خطأ علياً في حروبه فهو كحمار أهله، فليس هذا لفظ أحمد ولا هو معنى كلامه ولا ذكره الشيخ ابن تيمية رحمه الله عن أحمد، ولكن نعوذ بالله من التعصب واتباع الهوى اللذين يصدان عن اتباع الحق، ويحملان على كتمان الحق ولبسه بالباطل. وقد نهى الله سبحانه في كتابه عن هاتين الخصلتين فقال تعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)

ومن العجب أن هذا المعارض وأشباهه يعلمون أن الحسن ابن علي رضي الله عنه وغيره من أهل البيت يرون أن ترك القتال أولى من فعله وأحب إلى الله وإلى رسوله كما اختاره كثير من أهل السنة والحديث، ومع هذا ينكرون على أهل السنة ذلك مع زعمهم أنهم من شيعه أهل البيت، ويزعمون أن أهل السنة يبعضون أهل البيت ومن والاهم. وقد كذبوا فإن أهل السنة والحديث أولى باتباع أهل البيت منهم وهم شيعتهم على الحقيقة، لأنهم سلكوا طريقةتهم واتبعوا هديهم، وقد قال تعالى لليهود والنصارى لما ادعى كل طائفة منهم أن إبراهيم كان منهم (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا)

فصل

﴿الأقوال والآراء في قتال الحسين (رض) ليزيد﴾

وأما قوله : ومما نشأ من هذا الاقتراق ان كثيراً من علماء أهل السنة والجماعة حكموا بان الحسين بن علي باغ على يزيد بن معاوية
 فيقال : قد اختلف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وكذلك أهل البيت ، فذهبت طائفة من أهل السنة رضي الله عنهم من الصحابة فمن بعدهم كسعد بن أبي وقاص واسامة ابن زيد ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم وغيرهم وهو قول احمد بن حنبل وجماعة من أصحاب الحديث - إلى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان ان قدر على ذلك وإلا فبالقلب فقط ولا يكون باليد وسل السيوف والخروج على الأئمة وان كانوا أئمة جور. واستدلوا باحاديث صحاح عن رسول الله ﷺ منها ما اخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس يخرج من السلطان شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية » وفي لفظ « من فات الجماعة شبراً فمات ميتة جاهلية » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية » الحديث

وفي صحيح مسلم عن حذيفة قال : قلت يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال « نعم » فقلت فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال « نعم وفيه دخن » قلت وما دخنه؟ قال « قوم يستننون بغير سنتي ، ويهتدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر » فقلت: فهل بعد ذلك الخير شر؟ قال « نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها » فقلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال « نعم . قوم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » قلت: يا رسول الله

فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على اصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً وذهبت طائفة أخرى من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين ثم الأئمة بعدهم الى أن سل السيوف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اذا لم يقدر على ازالة المنكر الا بذلك . وهو قول علي بن أبي طالب وكل من معه من الصحابة رضي الله عنهم كعمار بن ياسر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وغيرهم وهو قول أم المؤمنين ومن معها من الصحابة كعمرو بن العاص والنعمان بن بشير وأبي العادية السامي وغيرهم ، وهو قول عبدالله بن الزبير والحسين بن علي ، وهو قول كل من قام على الفاسق الحجاج كعبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن جبير وأبي البخري الطائي وعطاء السامي والحسن البصري والشعبي ومن بعدهم كالناسك الفاضل عبد الله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر وعبيد الله بن حفص بن غصن وسائر من خرج مع محمد بن عبدالله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومع أخيه ابراهيم بن عبدالله ، وهشيم بن بشير والوراق وغيرهم وقد ذكر ابن كثير في تاريخه عن طاوس عن ابن عباس قال استشارني الحسين بن علي في الخروج الى العراق ، فقلت : لولا أن يزري بي وبك الناس لنسبت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب ، فكان الذي رد علي أن قال : لأن أقتل في مكان كذا أحب الي من أن أقتل بمكة ، قال : وكان هذا الذي سلى نفسي عنه . وقال غير واحد عن شابة بن سوار : حدثنا يحيى بن اسماعيل بن سالم الاسدي قال سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر أنه كان بمكة فباغوه ان الحسين بن علي قد توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال ، فقال أين تريد ؟ قال العراق واذا معه طوامير وكتب ، فقال هذه كتبهم وبيعتهم ، فقال ابن عمر لا تأتهم ، فأبى

فقال ابن عمر : أني محدثك حديثاً « أن جبريل أتى النبي ﷺ فخير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وذلك بضمة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم الا للذي هو خير لكم » فأبى أن يرجع ، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل

وقال ابو سعيد الخدري : غلبني الحسين بن علي على الخروج وقد قلت له : اتق الله في نفسك ، ولا تخرج على امامك ، والزم بيتك . وقال أبو واقد الليثي بلغني خروج الحسين فأدركته فناشدته الله أن لا يخرج فانه يخرج في غير وجه خروج انما يقتل نفسه ، فقال لا أرجع

وقال جابر بن عبد الله : كلمت حسينا فقلت له : اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فوالله ما حدثهم ما صنعتهم ، فمضاني . وقال سعيد بن المسيب : لو أن حسينا لم يخرج لكان خيراً له ، وكتب اليه المسوز بن مخزومة : إياك أن تغتر بكتب أهل العراق ، ويقول لك ابن الزبير : الحق بهم فانهم ناصروك ، إياك أن تبرح الحرم ، فانهم إن كان لهم بك حاجة فسيضربون اليك آباط الابل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة ، فجزاه خيراً ، وقال أستخير الله في ذلك

وكتب اليه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كتابا يحذره أهل الكوفة ، ويناشده الله أن يشخص اليهم ، فكتب اليه الحسين « اني رأيت رؤيا ورأيت فيها رسول الله ﷺ وأمرني بأمر انا ماض له ولست بمخبر بها أحداً حتى ألاق عملي » وذكر محمد بن سعد رحمه الله بأسانيده : انه لما بايع معاوية الناس ليزيد كان حسين ممن لم يبايع له . وكان أهل الكوفة يكتبون اليه يدعونه الى الخروج اليهم في خلافة معاوية ، كل ذلك يأتي عليهم ، فقدم منهم قوم الى محمد بن الحنفية يطلبون اليه ان يخرج معهم فأبى وجاء الى الحسين يعرض عليه امرهم ، فقال له الحسين إن القوم انما يريدون ان يأكلوا بنا ، ويستطيروا بنا ، ويسيطروا دماء الناس ودماءنا

فأقام الحسين على ما هو عليه من الهموم مدة يريد ان يسير اليهم ، ومدة يجمع
الاقامة عنهم ، فجاءه ابو سعيد الخدري فقال : يا ابا عبد الله اني لكم ناصح ،
واني عليكم مشفق ، وقد بلغني انه قد كاتبكم قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك
إلى الخروج اليهم فلا تخرج اليهم ، فاني سمعت اباك بالكوفة يقول « والله لقد
مللتهم وملوني ، وابغضتهم وابغضوني »

وكلمه في ذلك ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فلم يطع احداً
منهم وصمم على السير

وقال له ابن عباس : والله اني اظنك ستقتل بين نساءك ووليك كما قتل
عثمان فلم يقبل منه

وكذلك اخوه محمد بن الحنفية نهاه عن ذلك واعلمه ان الخروج ليس له
برأي يومه هذا ، فأبى الحسين ان يقبل فحبس محمد بن الحنفية ولده فلم يبعث معه
أحداً منهم حتى وجد حسين في نفسه على محمد

والمقصود من هذا ان ابن عباس وغيره من الصحابة أنكروا على الحسين
خروجه على يزيد ونهوه عن ذلك خوفاً عليه مما جرى عليه وعلى أهل بيته ، ولكن
لا راد لما قضى الله

وما جرى على الحسين رضي الله عنه وعلى أهل بيته مما يعظم الله به أجورهم ،
ويرفع به درجاتهم رضي الله عنهم أجمعين .

وأهل السنة يبغضون يزيد ومنهم من يلعنه ، ليس كما يظنه المعترض فيهم
ويرميهم به من بغضهم عليا وأهل بيته ، يعرف ذلك كل من طالع كتب القوم



فصل

﴿ بيان مذهب الزيدية من البدع ﴾

« وأقوال المحدثين في الامام زيد بن علي وبراءتهم من الشيعة »

واما قوله (ومن عجائب الانحراف عن آل محمد ان عالم اهل السنة والجماعة الذهبي لما عدد في ميزانه المذاهب الاسلامية قال : مامعناه عن يحيى بن معين - وللزيدية مذهب بالحجاز وهو معدود من مذاهب اهل البدع. فهذا يخبرك بان علماء اهل السنة والجماعة لم يعرفوا طريقة اهل بيت رسول الله ﷺ الى آخره)

فيقال : هذا من اعظم الجهل فان علماء اهل السنة والجماعة خصوصا أئمة الحديث كـ يحيى بن معين وأشباذه من أخبر الناس باحوال الرجال ويقولون الحق الذين يدينون الله به لا يخافون في الله لومة لائم، فاذا كان للزيدية مذهب ينسبونه الى زيد بن علي - وأهل العلم يعرفون كذبهم وافتراءهم عليه في ذلك - ينوه اذا كان ذلك مخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه علماء اهل البيت كـ علي وابن عباس ، وليس كل من انتسب إلى احد من اهل البيت او غيرهم من الأئمة يكون صادقا في انتسابه اليهم ونقله عنهم ، فهؤلاء الروافض الذين يسبون الشيخين وجمهور الصحابة ويكفرونهم ينتسبون إلى علي وأولاده ، ويقولون : نحن شيعة آل محمد، أفكانوا صادقين في ذلك ؟ كلا بل هم اعداؤهم حقاً ، واهل البيت برآء منهم ، وكذلك اليهود والنصارى ينتسبون إلى أنبيائهم ويزعمون انهم على دينهم وعلى طريقتهم ، وهم قد باينهم أشد المباينة

وكذلك اهل البدع من هذه الامة ينسبون مذاهبهم الباطلة إلى رسول الله ﷺ او إلى اصحابه، وكلام علماء اهل الحديث والسنة في زيد بن علي وأمثاله من علماء اهل البيت معروف مشهور .

قال ابو حاتم البستي: لما ذكر قتل زيد بن علي بالكوفة قال: كان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم، وكانت الشيعة تنتحلّه انتهى.

ومن زمن خروج زيد أفرقت الشيعة الى رافضة وزيدية، فانه لما سئل عن ابي بكر وعمر فترحم عليهم رفضه قوم، فقال: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم اياه، ولا يبعض علماء اهل الحديث ويتكلم فيهم الا من هو من اهل البدع والكذب والفجور. وقد تقدم كلام احمد في ابن ابي قتيلة لما قيل له ان أصحاب الحديث قوم سوء، فقام احمد ينفذ ثوبه ويقول: زنديق زنديق، يعني انه لا يتكلم فيهم إلا من هو منافق لان الله حفظ بهم الدين، وميزوا بين صحيح الاخبار وسقيمها ولهذا قال احمد بن هارون الفلاس: اذا رأيت الرجل يقع في يحيى بن معين فاعلم انه كذاب يضع الحديث

وقال ابن حجر- في كتاب تهذيب التهذيب في معرفة الرجال: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب أبو الحسين المديني روى عن أبيه وأخيه وأبي جعفر الباقر وابن عثمان وعروة بن الزبير وعبيد الله بن ابي رافع، روى عنه ابنه حسين وعيسى وابن أخيه جعفر بن محمد والزهرى والاعمش وشعبة وسعيد بن هشيم^(١) واسماعيل وزبيد الياشي وزكريا بن ابي زائدة وعبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن ابي ربيعة وابو خالد عمرو بن خالد الواسطي وابن ابي الزناد، وعده ابن حبان في الثقات. وقال: روى عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وقال السدي عن زيد بن علي «الرافضة حربى وحرب ابي في الدنيا والآخرة»

وروى الحافظ ابو الحجاج المزني باسناده عن الفضل بن مرزوق قال سألت عمر بن علي وحسين بن علي: هل فيكم انسان مفترضة طاعته؟ فقال لا، والله ما هذا فينا من قال هذا فهو كذاب، فقلت لعمر بن علي رحمت الله انهم يزعمون أن النبي

(١) في تهذيب التهذيب: سعيد بن خنيم

ﷺ أوصى الى علي، وان عليا أوصى الى الحسن، وان الحسن أوصى الى الحسين،
وان الحسين أوصى الى ابنه علي، وابن علي أوصى الى ابنه محمد بن علي؟ فقال «والله
لقد مات أبي فما أوصى بحرفين، ما لم قاتلهم الله، والله ان هؤلاء إلا متأكلة بنا»
وقال بجي بن سعيد الانصاري: سمعت علي بن الحسين وكان أفضل
هاشمي رأيته يقول «أحبونا حب الاسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً»
فانظر رحمك الله الى ما نقله أهل العلم عن أهل البيت علي بن الحسين وأولاده
يتبين لك أن الشيعة من الرافضة والزيدية هم المنحرفون عن آل محمد
لأهل السنة والحديث

فصل

وأما قوله (وباليت شعري هل سمع ابن معين من رسول الله ﷺ انه عد
مذهب أولاده من البدع؟)

فهذا من عظيم جهل المعترض وافترائه على ابن معين وغيره من أهل السنة
والجماعة، فان ابن معين لم يقل ان مذهب زيد بن علي وآبائه وأجداده من البدع
بل قال ما نقله عنه المعترض: والزيدية مذهب بالحجاز وهو معدود من مذاهب
أهل البدع. يعني بذلك الزيدية الذين ينتسبون إلى زيد بن علي وليسوا على طريقته
وبجرد الانتساب إلى زيد أو غيره من أهل البيت لا يصير به الرجل متبعاً
لطريقتهم حتى يعرف طريقتهم ويتبعهم عليها، كما قال الحسن البصري رحمه الله
في قوله ﷺ «الراء مع من أحب» ان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم فلا تفتروا.
وابن معين رحمه الله سمع حديث رسول الله ﷺ انه قال «من أحدث في
أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فهذه كلمة جامعة بين فيها ﷺ ان كل من أحدث
ما يخالف أمر الله ورسوله فهو مردود عليه، وكذلك قوله في حديث العرابض بن

سارية « وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة » والرسول ﷺ أعطي جوامع الكلم، فأفاد أئمة وأعلامهم صلوات الله وسلامه عليه « ان كل بدعة ضلالة » فاذا تبين لأهل العلم ان طائفة من طوائف الزيدية أو غيرهم خالفوا ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه — بينوا للناس أنهم اهل بدعة وضلالة لئلا يفتروا عليهم الجاهل كما بينوا فساد مذهب الرافضة المنتسبين الى علي وأولاده ، وكذلك بينوا فساد مذهب القدرية المنكرين ان يكون الله خلق اعمال العباد وقدرها عليهم، وكذلك بينوا فساد مذهب الخوارج الذين كفروا علياً وعمان ومن والاهما ، وهم مع ذلك ينتسبون الى الرسول ﷺ والى ابي بكر وعمر ويتولونها ويستدلون بآيات من القرآن لا تدل على ما قالوه

وهذا الجاهل يظن ان من انتسب الى زيد بن علي وغيره من اهل البيت لا يذم ولا يعاب، ولو خالف الكتاب والسنة. وهذا جهل عظيم لا يمتري فيه إلا من اضله الله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، نعوذ بالله من الخذلان

فصل

﴿ الشيعة المعتدلون من أئمة الحديث ﴾

وأما قوله (ومن رموه بالتشيع أهل السنة والجماعة المذكورون علي بن المديني شيخ البخاري وعبد الرزاق الصنعاني وأحمد بن عقدة والدارقطني والحاكم الخ) فيقال : هذا مما يبين لك معرفة اهل الحديث بأحوال الرجال وبعدهم عن التعصب والهوى ، وهؤلاء الأئمة الذين عدتهم هم عند اهل السنة والجماعة من أئمة العلم يقتدون بهم ، يأخذون عنهم ، ويرحلون اليهم، ولو كان فيهم بعض التشيع الذي لا يخرجهم عن ان يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم ، والتشيع الذي

٧٨ : دعوى انحراف اهل السنة عن اهل البيت اقتراء من الشيعة

لا يخرج صاحبه عن الحق لا يذم به صاحبه ولا يخرج به عن اهل السنة والجماعة، فان لفظ التشيع ليس مذموما في الشرع ، بل قال تعالى لما ذكر نوحا عليه السلام قال بعده (وان من شيعته لابراهيم) أي من اهل دينه، وانما صار مذموما عند اهل السنة لما كان اهل البدع كالرافضة وأمثالهم الذين يسمون أنفسهم الشيعة يقولون نحن شيعة آل محمد، وهم قد كذبوا في ذلك بل هم أعداؤهم لانهم خالفوا هديهم وسلكوا غير طريقهم

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ان آل ابي فلان ليسوا لي بأولياء، انما ولي الله وصالح المؤمنين »

فصل

﴿ افتراء الشيعة على اهل السنة الانحراف عن آل البيت وتولي الدول الجائرة ﴾

وأما قوله (وسبب انحراف من ذكر عن اهل البيت وشيعتهم انهم تولوا اليوم الدول الجائرة وأطاعوهم وصححوا ولايتهم واستدلوا على ذلك باحاديث كثيرة رووها ، فلما سمعها اهل بيت رسول الله ﷺ وجدوها مخالفة لكتاب الله تعالى في قوله (إني جاعلك للناس إماما ، قال ومن ذريتي ؟ قال لا ينال عهدني الظالمين) وقوله (ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وقوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة ونظروا في الاحاديث الموجبة لطاعة أئمة الجور فوجدوها قد رواها خصومهم تقريرا لمذهبهم ، ووردوها للقاعدة التي قررها اهل الاصول وأهل الحديث في انه لا يجب على الخصم قبول رواية خصمه فيما يقرر مذهبه الذي يرى خصمه انه عنده بدعة)

فيقال: الجواب عن هذا الكلام من وجوه (أحدها) ان هذا كذب على

٧٩ من اصول اهل السنة موالاة آل البيت ومعاداة اهل الجور

أهل السنة والجماعة لا يمتري فيه أحد عرف مذهبهم ، وطالع كتبهم ، فانهم لم ينحرفوا عن أهل البيت ، بل من أصول الدين عندهم محبة أهل البيت النبوي وموالاتهم والصلاة عليهم في الصلاة وغيرها ، ولو ذهبنا نذكر نصوصهم في ذلك لظال الكلام جداً

(الثاني) أنهم لم يتولوا الدول الجائرة كما ذكره هذا المعترض ، بل هم يبعضونهم ويكرهونهم ويسمونهم ظلمة وأئمة جور ، وانما أوجبوا طاعتهم اذا أمروا بطاعة الله ورسوله ويستدلون على ذلك بالحديث ثابتة عن رسول الله ﷺ منها أنه قال « على المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، وانه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا ويموت ميتة جاهلية »

والاحاديث في هذا المعنى كثيرة من رواية أهل البيت وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم بأسانيد ثابتة بنقل العدول من أهل الحديث

(الوجه الثالث) ان أهل السنة والجماعة لم يصححوا ولا يتهم إلا اذا تولوا على الناس وبايعهم على ذلك أهل الشوكة وأهل الحل والعقد ، فاذا كان كذلك صحت ولايته ، ووجبت طاعته في طاعة الله ، وحرمت طاعته في المعصية ، ولكن لا يجوزون الخروج عليه ، ومحاربته بالسيف لان ذلك يثول إلى الفتن العظيمة ، وسفك الدماء ، والهرج الكثير ، هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة ، وهذا القول هو الذي تدل عليه النصوص النبوية ، وعليه كثير من أهل البيت

(الوجه الرابع) ان قوله في الاحاديث التي يستدل بها أهل السنة على السمع والطاعة لولي الامر : فلما سمعها أهل البيت وجدوها مخالفة لكتاب الله - كذب ظاهر على أهل البيت عليهم السلام ، فان كثيراً من أهل البيت مذهبهم مذهب

٨٠ مذاهب اهل السنة وأئمة آل البيت في طاعة اولي الامر

أهل السنة والجماعة في هذه المسئلة ، هذا الحسن بن علي رضي الله عنه أنخاع معاوية رضي الله عنه وبايعه ، وأمر كل من بايعه وبايع أباه بمبايعة معاوية ، والسمع والطاعة له ، وهو عند هذا المعترض وأمثاله من أئمة الجور. وأما عند أهل السنة والجماعة فهو من خيار ملوك الاسلام وأعدلهم وأحسنهم سيرة ، ونهى أخاه الحسين عند موته عن طاعة سفهاء الكوفة .

وهذا ابن عباس وهو من أئمة أهل البيت نهى ابن عمه الحسين رضي الله عنه عن الخروج ، وكذلك محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم ، وهؤلاء من أئمة أهل البيت وقد تقدم النقل عنهم بذلك . وذكرنا من رواه من الاثمة (الوجه الخامس) ان أهل السنة رحمهم الله يبنوا ان هذه الاحاديث المروية عنهم في السمع والطاعة لولي الامر هي الموافقة لكتاب الله حقا لا تخالفه بل القرآن يصدقها ويدل على ما دلت عليه ، لان الجميع من عند الله . والرسول ﷺ أعلم بكتاب الله من أهل البدع ، وكذلك اصحابه وأهل بيته . قال العلماء : كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن ، وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في القرآن في أكثر من سبعين موضعاً ، واخبر ان من يطاع الرسول فقد أطاع الله . وقد أمر الله بطاعة أولي الامر في القرآن فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) الآية ، قال أئمة التفسير : هم العلماء والامراء (الوجه السادس) ان هذه الآيات التي ذكر أنها تخالف هذه الاحاديث قد بين أهل التفسير معناها وليس فيها ما يخالف كلام الرسول ﷺ ولا ما يدل على سراد هذا المعترض واشباهه من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة ، ونحن نذكر كلام أئمة التفسير رحمهم الله في هذه الآيات لنبين بطلان ما ذهب اليه هذا المعترض .

قال أبو حيان رحمه الله في تفسيره المسمى بالبحر : والمعهد - يعني في الآية -

الرد على ادلة الزيدية في الخروج على الامراء الظالمين ٨١

الامامة، قاله مجاهد، أو النبوة، قاله السدي، أو الامان، قاله قتادة، وروي عن السدي واختاره الزجاج، أو الثواب، قاله قتادة ايضا، أو الرحمة، قاله عطاء، أو الدين، قاله الضحاك والربيع، أو لا عهد عليك لظالم ان تطيعه في ظلمه، قاله ابن عباس، أو الامر من قوله (ان الله عهد الينا - لم أعهد اليكم) أو إدخاله الجنة من قوله «كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة» أو طاعتي^(١) قاله الضحاك، أو الميثاق، أو الامانة، والظاهر من هذه الاقوال انها الامامة لانها هي المصدر بها، فأعلم الله ابراهيم عليه السلام ان الامامة لا تنال الظالمين. انتهى كلامه

وقد جمع لك كلام المفسرين في هذه الآية في هذا المختصر ولم يذكر أحد من المفسرين ان الآية تدل على الخروج على ولي الامر ومقاتلته بالسيف وأنه لا يطاع إذا أمر بطاعة الله وطاعة رسوله، وأهل السنة أهل عدل وانصاف واتباع للحق لانهم لم يأمرُوا بطاعة ولي الامر في المعصية بل امرُوا بطاعته إذا أمر بطاعة الله، فإذا أمر بالمعصية فلا سمع له ولا طاعة. لسكن لا يجوزون الخروج عليه (٢) ولا يكون عندهم اماما في الدين إذا كان ظالما. والآية تدل على ان الظالم لا يكون اماما في الدين، وليس فيها ما يدل على انه إذا غضب الناس وتولى عليهم وصار معه أهل الشوكة وأهل الحل والعقد لا يجوز طاعته في الطاعة ومبايعته، فيثبت بما ذكرنا ان هذه الآية ليس فيها دليل على ما ذهب اليه أهل البدع والله أعلم. واما الآية الثانية التي احتج بها وهي قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) فقال أبو العالية: في معنى لا تركنوا إلى الذين ظلموا

(١) هذا تفسير لكلمة (عهدي) من الآية وبقيّة الالفاظ تفسير للعهد فيها غير مضاف (٢) لان خروج الناس عليه والشوكة بيده مدعاة لافتن الداخلية واقتال الامة بما يجعل بأسها بينها ويقوي اعداءها عليها، ولكن عدم طاعته له في المعصية تضطره الى التزام الشريعة. واما أهل الحل والعقد فيجب عليهم اقرار الامامة في قرارها الشرعي إذا قدرُوا

٨٢ تفسير النهي عن الركون الى الظالمين وعن الاعتصام بالمضلين

فتمسككم النار . قال المعنى لا ترضوا باعمالهم . وقال ابن عباس : معنى الركون الميل ، وقال السدي وابن زيد : لا تدهنوا الظلمة وقال سفيان : لا تدنوا من الذين ظلموا ، وقال جعفر الصادق (الى الذين ظلموا) إلى انفسهم فانها ظلمة ، وقيل لا تشبهوا بهم . ذكر هذه الاقوال كلها ابو حيان النحوي في تفسيره البحر ، ولم يذكر أحد من المفسرين ان الآية تدل على ان الظالم إذا تولى على الناس وقهرهم بشوكته وسلطانه لا تصح ولايته ، ولا يجوز طاعته ، إذا امر بطاعة الله ، وجميع أهل السنة والجماعة متفقون على أن الركون الى الظلمة لا يجوز على ما فسره علماء التفسير ، كابن عباس وابي العالمية ، فلا يجوز الميل اليهم ، ولا الرضا باعمالهم التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله ، وكذلك لا يجوز مداهنتهم ، بل يشكر عليهم ما فعلوه من المنكر بلسانه إذا قدر على ذلك ، فإن لم يقدر انكره بقلبه ، كما في الحديث المرفوع أنه لما ذكر الظلمة قال «من انكره فقد سلم ، ومن كره فقد برى ، ولكن من رضي وتابع» ^(١) فثبت بما ذكرناه ان الآية لا تدل على ما ذهب اليه هذا المعترض ومن هنا نحوه من أهل البدع

واما الآية الثالثة وهي قوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين عضدا) قال أهل التفسير (المضلين) يعني الشياطين لانهم الذين يضلون الناس (عضدا) قال قتادة : اعوانا يعضدونني اليها ، والعضد كثير ما يستعمل في معنى العون ، وذلك ان العضد قوام اليد ، ومنه قوله (سنشد عضدك باخيك) أي سنعينك ونقويك به ، فهذا إخبار عن كمال قدرته واستغناؤه عن الانصار والاعوان ، والله تبارك وتعالى لا يحتاج إلى إعانة أحد من خلقه ، بل هو الغني عما سواه ، وكل ما سواه فقير اليه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، فهل في هذه الآية ما يدل على مقصود هذا المعترض الجاهل بوجه من الوجوه (الوجه السابع) ان يقال : احتجاجة بهذه الآيات على معارضة الاحاديث المسجلة عن رسول الله ﷺ في السمع والطاعة لولي الامر ومناصحته من جنس

(١) أي فهو المذنب المؤاخذ

كذب الزيدية والامامية في زعمهم ان حفاظ الحديث خصوم آل البيت ٨٣

احتجاج الخوارج واشباههم على بطلان ولاية علي وامامته ، بقوله تعالى (لئن اشركت ليحبطن عملك) وقوله (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) وانما أتوا من قلة معرفتهم بتفسير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن جنس احتجاج الرافضة ومن نحأ نحوهم على كفر الصحابة وظلمهم بقوله تعالى (من يرتد منكم عن دينه) وكذلك احتجاجهم على امامة علي بعد رسول الله ﷺ بقوله تعالى (انما وايكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية ، وكذلك احتجاج الجهمية والمعتزلة على نفي الصفات الواردة في القرآن والسنة بقوله تعالى (هل تعلم له سميا) وقوله (ليس كمثل شيء) وكل هذه الايات لا تدل على مذهبوا اليه ، وانما تدل على ما أجمع عليه سلف الامة وأئمتها من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، لان القرآن يصدق بعضه بعضا ، وكذلك الاحاديث يصدق بعضها بعضها والسنة الصحيحة لا تخالف الكتاب لان الجميع من مشكاة واحدة (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

(الوجه الثامن) أن يقال قوله (ونظروا في الاحاديث الموجبة لطاعة أئمة الجور فوجدوها قد رواها خصومهم عنه) كذب ظاهر ، وتمويه على الجهال الا صاغر ، فان الاحاديث التي فيها السمع والطاعة لولي الامر قد رواها جماعة كثيرة من الصحابة من أهل البيت وغيرهم ، ولم يردها علماء أهل البيت بل تلقوها بالقبول كما تقدم النقل عنهم بذلك^(١) وبيننا ان أهل البيت اختلفوا في جواز الخروج على أئمة الجور

(١) بقي شيء آخر وهو أن رواة الاحاديث الذين دونوها وعصوا اسانيدها ليسوا خصوما فيها لآل البيت ولا للشيعه وغيرهم من المبتدعة بل يروون عن كل من ثبت عندهم عدالته في الرواية وان كان مخافا لهم في بعض الاصول والفروع لا يتعصبون المذهب أحد في الرواية فالجهد منهم يروي كل ماسمعه من الرواة ويتبع ماصح عنده بحسب فهمه ومن نشأ على مذهب كالذهبي والمزي وابن حجر المصنف لا يأتى ان يصحح مخاوف مذهبه وأن يضيف ماوافقه ، فتعصب الاسانيد عندهم مقدم على كل شيء ، وعلماء الشيعة المتعصبون من الزيدية والامامية يعلمون هذا ولكمهم يومنون عوامهم ان حفاظ الحديث خصوم لهم ليقطعوا طريق الادلة الصحيحة عاينهم

فمنهم من يرى ذلك ويفعله ، ومنهم من لا يرى ذلك ولا يفعله ، بل ينهى عنه ويكرهه ، ولو لم يكن إلا فعل الحسن رضي الله عنه لكفى به تكديبا لما حكمه هذا المعارض ، ولكن هذا وأشباهه من اهل البدع ينتسبون إلى اهل البيت وينقلون مذاهبهم الباطلة عنهم فينسبونها اليهم ، ويكذبون عليهم ، ولا يميزون بين الصدق والكذب ، فلا نقل صحيح ، ولا عقل مليح ، نسأل الله العفو والعافية

فصل

(في اهواء الشيعة والخوارج في حديث الردة وحديث الوصية بآل البيت)

واما قوله : (ولقد قرر هذا الواقع على اهل بيت رسول الله ﷺ ما حذر عنه الامة والصحابة من لا ينطق عن الهوى ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال « انكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا » . الحديث وكذلك حديث ابن مسعود وما في معناهما ، وكذلك قوله : وقد فسر هذين الحديثين للذين ذكرهما ﷺ بمخالفة كتاب الله عز وجل ، واهل بيت رسول الله ﷺ ما أخرجه الطبراني في الكبير عن زيد بن ارقم قوله ﷺ « اني لكم فرط » الحديث وما في معناه من الاحاديث)

فالجواب عن ذلك من وجوه (أحدها) ان يقال حديث ابن عباس وحديث ابن مسعود المتفق عليهما وما في معناهما من الاحاديث الصحيحة (١) قد رواها اهل العلم ، وفسروها بان الراد بها الذين ارتدوا بعد موت رسول الله ﷺ فقاتلهم ابو بكر الصديق والصحابة معه ، كاصحاب مسيلمة الكذاب والاسود العنسي وطلحة ومن معهم من قبائل العرب ، فجهز ابو بكر رضي الله عنه الجيوش وأمر عليهم خالد بن الوليد ، وقاتلهم حتى قتل منهم على الردة جماعة كثيرة ، ودخل

(١) التي فيها أن بعض من يرد عليه ﷺ الخوض تذودهم الملائكة ويعملون طردهم بقولهم له ﷺ إنك لا تدري مما أحدثوا بعدك فيقول « بعدا لهم وسحقا »

حديث زيد بن أرقم في وصيته ﷺ بال بيته عند غدير خم ٨٥

بقيتهم في الاسلام طوعا وكرها، وظهر مصداق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآية . قال الحسن البصري رحمه الله: هم والله ابوبكر واصحابه

وقد روى البخاري في صحيحه تفسير ذلك بما ذكرنا فقال في ترجمة مريم من (احاديث الانبياء) قال الفربري عن ابي عبدالله البخاري عن قبيصة قال: هم الذي ارتدوا على عهد ابي بكر فقاتلهم ابوبكر، يعني حتى قتلهم وماتوا على الكفر قال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وانما ارتد قوم من جفاة الاعراب من

لا بصيرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحا في الصحابة المذكورين قال الحافظ: ورجح عياض والباجي وغيرهما ما قاله قبيصة راوي الخبر، ولا يبعد أن يدخل في ذلك أيضا من كان في زمنه من المنافقين، كما في حديث الشماعة «وتبقى هذه الامة فيها منافقوها» فدل على أنهم يحشرون مع المؤمنين

(الوجه الثاني) ان يقال: الخوارج ومن سلك سبيلهم يحملون هذه الاحاديث على علي رضي الله عنه ومن والاه، ويقولون انهم ارتدوا واشركوا فبما انهم مخطئون ظالمون في ذلك فكذلك الروافض والشيعه الذين يحملون هذه الاحاديث على اصحاب رسول الله ﷺ كابي بكر وعمر وجهور الصحابة، او على معاوية ومن قاتل معه عليا، بل قولهم أظهر فسادا وابتعد عن الحق والصواب من قول الخوارج، فان كان كلامهم صحيحا فكلام الخوارج أقرب إلى الصحة

(الوجه الثالث) ان أهل البيت الذين ذكروا في حديث زيد بن أرقم وما في معناه هم قرابة رسول الله ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة قال: علي وآل جعفر وآل العباس وآل أبي لهب، كما أخبر بذلك زيد بن أرقم وهو راوي الخبر كما ذكر ذلك مسلم في صحيحه والامام احمد في مسنده وغيرهما من أهل الحديث وهذا لفظها وروايتها: حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ابي حيان اليمني حدثني يزيد بن حبان قال انطلقت انا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم،

٨٦ آل البيت هم بنو هاشم وكذا بنو المطلب وموالاة أهل السنة لهم دون الشيعة

فلما جلسنا اليه قال له حصين: لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه، لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي والله لقد كبر سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فاحدثكم فاقبلوه، ومالا فلا تكلفوني. ثم قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماء يدعى (خما) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وذكر وعظ ثم قال «أما بعد: ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال «وأهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته يازيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: ان نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال نعم. فانظر رحمك الله إلى كلام الصحابي راوي الخبر، وإخباره ان أهل البيت كل من حرم الصدقة بعده^(١) والرافضة والشيعة تحمل هذه الأحاديث على آل علي خاصة (الوجه الرابع) ان يقال هذه الأحاديث أكثرها مطعون في صحتها لا تقوم بها حجة. والصحيح منها لا يدل على مقصود هذا المعارض وأشباهه من أهل البدع، وذلك لان مدلولها يعم أهل البيت، كآل علي وآل العباس وآل عقيل وآل جعفر وغيرهم ممن حرمت عليه الصدقة، وتدل على ان إجماعهم حجة وانهم لا يجمعون على مخالفة كتاب الله وسنة رسوله. وأما اذا اختلفوا لم يكن قول أحدهم حجة على الآخر بل يجب الرد عند التنازع إلى الله وإلى الرسول كما قال تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)

(١) والتحقيق أنهم بنو هاشم وبنو المطلب

تفسير (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) ٨٧

(الوجه الخامس) ان يقال الذين ظلموا اهل البيت وقتلواهم او اُحداً منهم هم عند اهل السنة والجماعة أئمة جور وظلم لا يحبونهم ولا يوالونهم بل يبغضونهم ويعادونهم ، ويلعنون من ظلمهم . وهذه كتبهم محشوة بالثناء على اهل البيت والدعاء لهم والترضي عنهم ، وذم من ظلمهم ، ولو ذهبنا نذكر نص كلامهم لطال الكتاب جداً فتبين بما ذكرنا ان مذهب اهل السنة والجماعة هو الحق الذي لا يجوز العدول عنه ، وان مذهب الرافضة والزيدية هو المخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، ولما اجمع عليه اهل البيت النبوي . والله أعلم

فصل

(في تفسير (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى))

واما قوله (واما أدلة السائل وحجته على ان معتمده وطريقه إلى جده ﷺ أهل الحق ، أعني أهل البيت سلام الله عليهم في الكتاب والسنة . أما الكتاب فأيات قد أضاء نورها ، أولها قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وقوله (قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى) ووجه الدلالة ان الله لا يأمر بمودة من ليس على الحق - إلى آخره) فيقال هذا من تمويهه على الجاهل الذين لا يميزون بين الحق والباطل ، وليس كل من احتج بالقرآن يدل على ما احتج به عليه وانما يعرف معاني القرآن والسنة أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم باحسان كابن عباس رضي الله عنهما وعلي بن الحسين ومن شابههم من أهل العلم الذين يعرفون مراد الله ورسوله وقد صح عن ابن عباس انه فسر قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى) بان المراد بذلك أن يصلوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من قرابة ويكفوا عنه الاذى ويدعوه يبلغ رسالات ربه ، كما قال البخاري في صحيحه : حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة

٨٨ استحالة سؤال الرسول ﷺ أجراً على تبليغ الذين مودة قرابة

سمعت طاوساً عن ابن عباس أنه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير، قري آل محمد. فقال ابن عباس عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال «إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة» انفرد به البخاري. ورواه الامام احمد عن يحيى القطان عن شعبة به. قال ابن كثير: وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وعلي بن أبي طلحة والعمري ويوسف ابن مهران وغير واحد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي رواه الطبراني باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأأسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرايتي منكم وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم» وروى الاسام احمد باسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «لأأسألكم على ما أتيتكم من الميثاق والهدى أجراً إلا أن تودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته» هكذا روى قتادة عن الحسن البصري عن ابن عباس مثله، وهذا كأنه تفسير بقول ثان وقول ثالث، وهو ما حكاه البخاري وغيره عن سعيد بن جبير ما معناه أنه قال: معنى ذلك أن تودوني في قرايتي، أي تبرؤهم وتحسنوا إليهم. قال ابن كثير: والحق تفسير الآية بقول جبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس كما رواه عنه البخاري^(١) ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالاحسان إليهم واحترامهم

(١) نعم هذا هو الحق وما عداه باطل مخالف لنصوص القرآن القطعية الناطقة بأن رسل الله تعالى لم يسألوا على تبليغ وحي الله ودينه أجراً بل صرحوا بأن أجراً من الله وحده كما تراه في قصص الرسل في سورتي هود والشعراء وغيرها وما كان خاتم النبيين بدعا من الرسل فما ينبغي له وهو أفضاهم أن يسأل قومه أجراً على تبليغ الدين أن يودوا قرابته واكثر البشر يسعون ويكدحون لاجل أدلي قرباهم وقد حكي الله تعالى عنه ذلك كما سقى عنهم في سور الانعام ويوسف والفرقان وسبأ وص والشورى وفيها استثناء (إلا المودة في القربى) وهو استثناء منقطع قطعاً لثلاثاً تختلف مع بقية الآيات التي جاءت على أصل العقيدة في سائر الرسل عليهم السلام. فعناها: لا أسألكم عليه أجراً مطلقاً ولكن أسألكم المودة في القرابة وصلة الرحم بيني وبينكم كسائر الأقربين. كما استثنى في آية الفرقان (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً)

واكرامهم ، فانهم من ذرية طاهرة ، وأشرف بيت وجد على ظهر الارض فخراً ، وحسباً ونسباً . ولا سيما اذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة ، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعلي وأهل بيته وذويه . ثم ذكر ابن كثير رحمه الله الاحاديث في وصية رسول الله ﷺ بهم وساقها من وجوه متعددة

فصل

﴿ في تفسير (أما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وتحريف الشيعة لها ﴾
وأما قوله (أما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً)
فقال الحافظ ابن كثير في تفسيره . هذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت لانهم سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً . أما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح .

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عباس في قوله (أما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال نزلت في نساء النبي ﷺ . وقال عكرمة من شاء باهلهن أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ ، فإن كان المراد أنهن سبب النزول دون غيرهن فهذا حق ، وإن كان المراد أنها لا تنعم غيرهن ففي هذا نظر ، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك ، ثم ساق الاحاديث بطولها . انتهى معنى ما ذكره ابن كثير .
ومن تدبر القرآن لم يشك أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله (أما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) لان سياق الكلام معهن^(١) ولهذا قال

(١) التحقيق المتبادر من الايات أنها في نساء النبي وحدهن دون غيرهن
وأما ذكر الضمير في قوله (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) لدخوله (ص) معهن في ذلك ولكون ما يريد من التشديد عليهن بهذه الوسايا وحكمته هو تطهير بيته (ص) مما يدينسه بأخرافهن عن صراط التقوى (برأهن الله من ذلك) ومن المعلوم بالبداية أن الرجل لا يلحقه من العار بارتكاب أحد اولاد عمه لفاحشة ما مثل ما يلحقه بأخراف زوجته للفاحشة

بعد هذا كله (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي واعلمن بما أنزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة . قاله قتادة وغير واحد من المفسرين وعائشة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها أولاهن بهذه النعمة ، وأحظاهن بهذه الغنيمة ، فإنه لم ينزل على رسوله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها ، كما نص على ذلك رسول الله ﷺ . قال بعض العلماء لأنه لم يتزوج بكراً غير ها ، ولم ينم معها رجل في فراشها غيره ﷺ ، فناسب أن تخص بهذه المزية ، وأن تغرد بهذه المرتبة العلمية والمقصود ان هذه الآية تناقض مذهب هذا المعترض وترد عليه وتنادي ببطلان مذهبه من وجوه كثيرة (منها) انها عامة في جميع أهل البيت كآل العباس وآل جعفر وآل الحارث بن عبد المطلب ، وهو انما يظن أن المراد بها آل علي خاصة . ومنها أن أزواجه داخلات في جملة أهل البيت ، وهم يزعمون ان عائشة ومن معها من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مخطئون عاصون في قتالهم علياً وأصحابه (ومنها) أنه ليس فيها دليل على عصمة أهل البيت ، لان العلماء رحمة الله عليهم ذكروا أن الارادة في القرآن نوعان : إرادة شرعية دينية ، وإرادة قدرية كونية . فلاولى كقوله في هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وقوله (يريد الله ليبين ليكم آياتكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم) الآية وقوله (ولكن يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم) وأخبر أنه يريد أن يتوب على المؤمنين ويظهرهم ، وفيهم من تاب ومن لم يتب ومن تطهر ومن لم يتطهر ، فلا يكون فيها دليل على العصمة ولا الامامة (١)

وأما الارادة الكونية القدريّة فكقوله (من يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) الآية . وقوله (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً) وقوله (وإذا اردنا ان نهلك قرية) الآية (١) ومثله في حكمة الرخصة في الصيام (يريد الله بكم اليسر) الآية

أهواء الشيعة في أحاديث مناقب أهل البيت ٩١

وقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) الآية . وهذه هي الكلمات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر .
ولفظ (الرجس) أصله القدر ، ويراد به الشرك كقوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) ويراد به الخبائث المحرمة كقوله (أولحم خنزير فانه رجس) ونحن نقطع أن الله أذهب عنهم الرجس والخبائث ، فمن تاب وقع ذنبه مكفراً أو مغفوراً له فقد طهره الله تطهيراً ،
فتمين بما ذكرنا ان الآيات التي احتسج بها قد أضاء نورها في بطلان ما ذهب اليه هذا المعارض وهو المطلوب

فصل

﴿ في أهواء الشيعة في مناقب أحاديث آل البيت ﴾

وأما قوله (وأما الاحاديث في الرمزدي عن زيد بن أرقم قوله ﷺ «اني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي» الى آخره، وكذلك حديث أبي سعيد الذي أخرجه ابن أبي شيبة وابن سعد وأحمد ، وكذلك حديث أبي ذر « مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه » الى آخره ، وكذلك حديث ابن الزبير ، وكذلك حديث أبي سعيد وغيره مما ذكر)

(فالجواب) أن يقال : قد تقدم الجواب عن حديث الثقلين وما في معناه قريباً ، وبيننا انها لا تدل على مقصود هذا المعارض بل تدل على تقيض مقصوده وانما تدل على أن إجماع اهل البيت حجة وانهم لا يجمعون على باطل ، لان الله عصمهم من ذلك كما عصم هذه الامة أن تجتمع على ضلالة . وهذا قول طائفة من أصحاب احمد وغيره ، ذكره القاضي في المعتمد
ومن العجب قوله قال بعض اهل التحقيق ان حديث الثقلين متلقى بالقبول

والامة مجمعة دلى صحة هذا الحديث . وهذا كذب ظاهر ، فان حديث زيد بن ارقم الذي في صحيح مسلم الذي فيه ذكر اثنتان قد طعن فيه غير واحد من اهل العلم بالاحاديث والاخبار ، كأبي حاتم الرازي وأبي داود السجستاني ، فأهل الحديث اختلفوا في صحته ، فصححه بعضهم وطعن فيه بعضهم فضلاً عن جميع الامة وأما الاحاديث الأخرى التي ذكرها فليست في دواوين الاسلام المعتمدة كالصحيحين والسنن الاربعة ، وانا يروى بها بعض اهل الحديث المتأخرين الذين يروون الصحيح والضعيف والموضوع ، وعلى تقدير صحتها فليس فيها حجة على العصمة ولا على الامامة لانها عامة في جميع أهل البيت . ومعلوم أن بني العباس من أهل البيت وهم عند هذا المعارض من أئمة الجور والظلم ، فمدلول هذه الاحاديث يناقض مذهب هذا المعارض وأشباهه من أهل البدع والله أعلم

فصل

وأما قوله (فلنرجع إلى الكلام على السؤال والجواب واظهار ما فيه من خطأ وصواب) وقوله في الجواب (اعلم أن قولنا في هذه الآيات وما أشبهها من آيات الصفات الواردة في القرآن العزيز والاحاديث الواردة في الصحاح وغيرها هو مذهب السلف الصالح ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين إلى آخره ، ثم قال معترضاً عليه : أقول قد تحجرت واسعاً . قل الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فقد جعلت سيد المرسلين الذي هو رحمة للعالمين رحمة لك ولاهل مذهبك ، وللمؤمنين باهل السنة والجماعة خاصة ، وأضفته إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وجعلتهم سلفاً لك ولاهل نحلتهك ، فيا ليت شعري أين تضع أهل بيت رسول الله ﷺ وقد أخرجتهم عن أن يكون سلفهم جدهم ﷺ وأصحابه وتابعيهم لما فسرُوا كتاب الله وتأولوا صفات الله على ما تقتضيه لغة العرب ، فقد قال تعالى

(قرأنا عربيا غير ذي عوج) فلقد فرقت بين النبي ﷺ وآله وقطعت ما وصله الله ورسوله، وخالفت قوله ﷺ فيما قاله لعلّي «اما^(١) تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت، والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرياتنا خلف أزواجنا» أخرجه الشيخ علي واحمد في المناقب، وفي رواية أخرى أخرجه بعد ذكر الذرية «وأشيعنا عن أيماننا وشمائلنا» إلى آخره

(فالجواب) أن يقال في هذا الكلام من الكذب والزور والظلم أنواع كثيرة (الاول) قوله قد تحجرت واسعاء قال الله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقد جعلت سيد المرسلين الذي هو رحمة للعالمين رحمة لك ولاهل مذهبك. وهذا كذب ظاهر على المجيب لانه لم يخص أحداً معيناً بل أخبر ان مذهبه في هذه الآيات وما أشبهها من الأحاديث مذهب السلف الصالح ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، فهذا كلامه صريحاً في تكذيب هذا المعارض

(الثاني) قوله : فقد جعلت سيد المرسلين الذي هو رحمة للعالمين رحمة لك ولاهل مذهبك، وهذا أيضاً كذب ظاهر على المجيب لان ظاهر كلامه على صريحه يناقض ما ذكره هذا المعارض، وكل من اتبع كتاب الله وسنة رسوله من جميع الطوائف فهو عنده من أهل الرحمة الناجين، ولا يخالف في هذه المسئلة أحد من أمته ﷺ لانه من أهل السنة ولا من أهل البدعة، وانما الشأن في تحقيق هذه الدعوى بالعمل وقد قال تعالى في كتابه (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) الآية فدلّت هذه الآية الكريمة على ان كل من أطاع الله ورسوله من الاولين والآخرين فهو من أهل الجنة الناجين (الثالث) قوله وللمتسمين باهل السنة والجماعة خاصة. وهذا أيضاً كذب على المجيب، لان الذي ذكر المجيب - كما نقله هو عنه - انه ما درج عليه رسول الله ﷺ

(١) كذا في الاصل ولعله «أما نرضى أن تكون الخ» أو نحو هذا

وأصحابه والتابعون ومن اتبع سبيلهم من الأئمة وأهل الحديث وسائر العلماء الذين لهم لسان صدق عند الأئمة، وهم أهل السنة. فهذا كلام المحجيب بحروفه وهو ظاهر في كذبه واقترانه عليه، والمحجيب يعلم أن كثيراً من أهل البدع يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة وليسوا كذلك، بل هم مخالفون للسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ والجماعة أهل الحق، كالخوارج والمعتزلة الذين يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وهم في الحقيقة أهل ظلم وشرك.

وكذلك الروافض والشيعة الذين يسمون أنفسهم شيعة آل محمد وهم أعداء آل محمد في الحقيقة كما أن اليهود والنصارى يدعون اتباع الأنبياء وينتسبون إليهم وهم أعداؤهم حقاً، ولهذا امتحنهم الله تبارك وتعالى بهذه الآية الكريمة لما ادعوا محبة الله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية

(الرابع) قوله فيا ليت شعري أين تضم أهل بيت رسول الله ﷺ فقد أخرجتهم عن أن يكون سلفهم جدّهم ﷺ وتابعيهم وهذا من أظهر الكذب والفجور على المحجيب، لأن أهل بيت رسول الله ﷺ هم أئمة وسلفه فيما ذكر لأنه بين في كلامه أن مذهبه ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوه إلى يوم الدين، فإن في هذا أنه أخرج أهل بيت رسول الله ﷺ من هذه الجملة، بل صريح كلامه أنهم داخلون فيمن انتسب إليهم، لأن قوله وأصحابه وتابعوه إلى يوم الدين، يعم فيدخل فيه علي وسبطا رسول الله ﷺ وابن عباس وأبوه العباس وغيرهم من أهل البيت الذين اتبعوا سلفهم الصالح، فكيف يقول هذا الكاذب الفاجر إن المحجيب أخرجهم من هذه الجملة ؟

وأما قوله فقد أخرجتهم عن أن يكون سلفهم جدّهم ﷺ وأصحابه وتابعيهم لما فسروا كتاب الله وتأولوا صفات الله على ما تقتضيه لغة العرب فقد قال تعالى (قرآنا عربيا غير ذي عوج) فالمحجيب إنما أخرج من هذه الجملة أهل البدع

تأويل الصفات ابتدعه الجهمية وتبهم الخوارج ٩٥

والضلال الذين يكذبون على رسول الله ﷺ وأهل بيته، وينسبون أقوالهم الباطلة اليهم، ويتأولون كتاب الله على غير تأويله وعلى غير ما فسر به الصحابة والتابعون، بل يحرفون الكلم عن مواضعه كمنع اليهود والنصارى كالجهمية والمعتزلة، ومن شابههم من هذه الامة: الخوارج والشيعة الذين يعطون صفات الله ويصفونه بصفات المحدثات، ويحججون ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، أو يتأولونه على غير ما دل عليه عند علماء العربية.

والمقصود انه بين في كلامه ان المذهب الصحيح الصواب في مسألة الصفات هو ما درج عليه رسول الله ﷺ واصحابه ومن تبهم باحسان إلى يوم الدين، والحق لا يخرج عنهم. بل الحق يدور معهم حيث داروا، لان الطرق كلها مسدودة إلى الله وإلى جنته إلا من طريقه صلوات الله وسلامه عليه. وهذا مجمع عليه بين فرق الامة وإنما الشأن في تحقيق الدعوى وتحقيق المنقول عنه صلوات الله عليه، والتمييز بين الصحيح والكذب، وأهل العلم كلهم من جميع الفرق يتفقون على أن طريقة أهل التأويل مبتدعة ابتدعها أوائل الجهمية والمعتزلة الذين أخذوها عن الصابئين من المشركين أعداء الاسلام، ولا تؤثر عن احد من السلف الصالح لا عن رسول الله ﷺ ولا عن أهل بيته ولا عن احد من اصحابه ولا التابعين لهم باحسان، ولما حدثت هذه البدعة في اواخر دولة بني امية أمر العلماء - كالحسن البصري وغيره من أهل العلم - بقتل من ابتدعها وهو الجعد بن درهم، فضحى به الامير خالد بن عبد الله القسري بواسط بالعراق، فخطب الناس وقال «أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضج بالجعد بن درهم، انه يزعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً» ثم نزل فذبجه لانكاره الخلة والتكليم، وذلك ان أهل البدع يزعمون ان الله لا يتكلم ولا يحب خلقه، ولا يخالل احداً، ويزعمون ان هذا من صفات المخلوقين، ويتأولون الآيات التي فيها، ان الله يتكلم او يجب أو يتخذ

ابراهيم خليليا على غير مدلولها كما ذكر ذلك أهل العالم من أهل التواريخ وغيرهم، فقد خالفت ماعليه رسول الله ﷺ وأهل بيته والتابعون لهم بإحسان، واتبعت سبيل المبتدعة الضالين، وذمت طريقة رسول الله ﷺ وأصحابه وكل من اتبعهم وزعمت أنها تقتضي التشبيه والتجسيم، ومدحت طريقة جهنم بن صفوان وجعد بن درهم، وزعمت أنها هي الحق الذي يجب اتباعه، ونسبتها بجهنم إلى رسول الله وأهل بيته. وقد ذكر البخاري رحمه الله في كتابه (خلاق أفعال العباد) قصة جهنم بن صفوان وجعد بن درهم، وكان جعد أخذ هذا المذهب عن الصابئين، وأخذه عنه الجهم بن صفوان. قال رحمه الله حدثنا قتيبة حدثني القاسم بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال شهدت خالد بن عبد الله القسري بواسط في يوم الاضحى وقال «ارجعوا وضحوا تقبل الله منكم فاني مضح بالجعد بن درهم، زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليليا، ولم يكلم موسى تكليما، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً» ثم نزل فذبحه. قال ابو عبد الله بلغني ان جهما كان يأخذ هذا الكلام عن الصائبة

فصل

وأما قوله : فلقد فرقت بين النبي ﷺ وقطعت ما وصله الله ورسوله. فهذا كذب وافتراء على الحبيب، لا يمتري فيه ذو قلب منيب، وذلك ان الحبيب قرر في كلامه مذهب السلف الصالح وهو ماعليه رسول الله وأصحابه، وذكر الادلة على ذلك من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم. وانما الذي قطع ما أسر الله به أن يوصل وفرق بين رسول الله ﷺ هم أهل البدع والضلال الذين شاقوا الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الهدى واتبعوا غير سبيل المؤمنين، فأولئك يوليهم الله ما تولوا، ويصليهم جهنم وساءت مصيراً، ولو ادعوا اتباعهم، وانتحلوا طريقةتهم كذباً وافتراء عليهم

فصل

(زعم الزيدي ان الوهابي كفر من خالف مذهبه ، وابطاله)

وأما قوله : أولم تدر انك ضللت وكفرت من خالف مذهبك استناداً إلى الاوزاعي الذي يدعي ان الحق معه ، وان التابعين أجمعوا على ما ادعاه (فالجواب) أن يقال في هذا الكلام من الكذب والظلم والجهل أنواع كثيرة (الاول) قوله انك ضللت وكفرت من خالف مذهبك في مسألة الصفات فان الامة اختلفوا في هذه المسائل اختلافاً كثيراً ولم يكفر بعضهم بعضاً ، وانما يكفرون من خالف نص كتاب أو سنة ، وقامت عليه الحجة واعتقد أن الحق خلاف ذلك . وأما نحن فلم نكفر أحداً بهذه الامور ، وانما كفرنا من أشرك بالله وعبد معه غيره وقامت عليه الحجة واستهزأ بالدين الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله أو شيء منه أو كرهه وأبغضه . والادلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة كقوله تعالى (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقال تعالى لنبيه ﷺ (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء) الآية . وقال تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) وقال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)

(الثاني) قوله استناداً إلى الاوزاعي الذي ادعى ان الحق معه لان الاوزاعي رحمه الله لم يدع أن الحق معه ، بل ذكر ان مذهبه هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وما أجمع عليه التابعون . ومعلوم ان الحق معهم لا يمتري في ذلك مسلم . وإذا تنازع الناس في مسألة من المسائل الاصولية والفروعية فالصواب

٩٨ مذ هب السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الامصار في الصفات

والحق مع من كان الدليل معه كائنا من كان

(الثالث) قوله وان التابعين أجمعوا على ما ادعاه ، لان الاجماع في هذه المسئلة قد حكاه غير واحد من أهل العلم ، كمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وأبي عمر ابن عبد البر وغيرهما ، فثبت عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة انه قال « اتفق الفقهاء من الشرق والغرب على أن الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا تشبيه فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة . فمن قال بقول جهم فارق الجماعة » انتهى

فانظر رحمك الله الى هذا الامام كيف حكى الاجماع في هذه المسئلة ؟ ولاخير فيما خرج عن إجماعهم ولو لزم التجسيم عن السكوت عن تأويلها افروا منه فانهم أعرف الامة بما يجوز على الله وما يمتنع عليه . وثبت عن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الرحمن الصابوني انه قال « ان اصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله وشهد بها رسوله ﷺ على ما وردت به الاخبار اصحاح ونقله العدول الثقات ، ولا يعتقدون تشبيهها لصفاته بصفات خلقه ولا يكييفونها تكييف المشبهة ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية » وقد أعاد الله اهل السنة من التحريف والتشبيه ، ومن عليهم بالتفهم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتزبه ، وتركوا القول بالتشبيه ، واكتفوا بنفي النقائص بقوله عز وجل (ليس كمثل شيء) وهو السميع البصير) وبقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فتبين بما ذكرنا بطلان قول المعارض ! استدلالك بما رواه الاوزاعي من الاجماع آحادي ولا يجوز تكفير المسلمين إلا بقطعي الثبوت والدلالة

فصل

وأما قوله (انك ادعيت أن الذي تذهب اليه ترك التعرض لتفسير آيات الصفات ، والاوزاعي روى خلاف ماتدي فانه قال . كنا والتابعون نقر بان الله فوق عرشه . وإذا اثبت التابعون والاوزاعي الفوقية لله على العرش فقد فسروا (١) فكأنهم قالوا معنى قوله (الرحمن على العرش استوى) أي كان فوقه ، وأنت تقول انك لا تعرض لتفسير آيات الصفات ، فما الجامع بين كلامك وكلام الاوزاعي والتابعين ؟ فكيف تستدل به على تكفير المسلمين ؟)

(فالجواب) أن يقال هذا الكلام من المعارض مما يدل على جهله وقلة معرفته بكلام الأئمة ومرادهم ، فان كلام الاوزاعي وخبره من أهل السنة معناه أنهم لا يفسرون ولا يكتفون صفات الله كالاستواء على العرش والنزول والحجي ، والغضب والرضا والمحبة وغير ذلك من الصفات ، فيقولون مثلاً في الاستواء : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايان به واجب والسؤال عنه بدعة ، كما قال الامام مالك ابن أنس رحمه الله ، فقيل له يا أبا عبد الله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فاطرق مالك وعلاء الرضاء - يعني العرق - وانتظار القوم ما يجيء منه فرفع رأسه اليه وقال الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والايان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وأحسبك رجل سوء ، وأمر به فأخرج . ومن أول الاستواء بالاستيلاء فذاك هو الذي فسر ، وهذا تأويل الجهمية والابتدعة الضالين وهم أئمة هذا المعارض الذين فارقوا ماعليه أصحاب رسول الله ﷺ وابتدعوا في الدين ما لم يأذن به

(١) التفسير في اللغة المبالغة في توضيح ما فيه خفاء وبهذا المعنى كان يذكره المتقدمون فقول الاوزاعي بعدم تفسير الصفات الالهية أنهم يرونها على ظاهر مدلول اللغة مع اعتقاد تنزيه تعالى عن مشابهة خلقه

١٠٠ آثار السلف في منع تأويل صفاته تعالى .

الله ، والدليل على أن مذهب السلف ما ذكرنا أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها يؤمن بها غير مرتاب فيها ولا شك في صدق قائلها ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات بتأويل ولا غيره ولا شبهوه بصفات المخلوقين اذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم ولم يجزأن يكتم بالسكينة ، اذ لا يجوز التواطؤ على كتمان ما يحتاج الى نقله ومعرفة ، لجران ذلك في القبح مجرى التواطىء على نقل الكذب وفعل مالا يحل ، بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا أنهم كانوا اذا رأوا من يسأل عن التشابه بالغوا في كفه وزجره ، تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب وتارة بالاعراض الدال على شدة الكراهة لمسلئله ولذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن صبيغا يسأل عن التشابه أعد له عراجين النخل ثم أمر به فضرب ضربا شديدا وبعث به الى البصرة ، وأمرهم أن لا يجالسوه فكان بها كالبعير الاجرب لا يأتي مجلسا الا قالوا عزمة أمير المؤمنين فتفرقوا عنه . وقال سعيد بن جبير ما لم يعرفه البديون فليس من الدين .

وثبت عن الربيع بن سليمان قال سألت الشافعي رضي الله عنه عن صفات الله تعالى ، فقال : حرام على العقول أن تمثل الله تعالى ، وعلى الاوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تتعمق ، وعلى الخواطر أن تحيط ، وعلى العقول أن تعقل الا ما وصف الله به نفسه أو على لسان نبيه ﷺ . وثبت عن الحميدى أبي بكر عبد الله بن الزبير انه قال . أصول السنة فذكر أشياء - ثم قال وما نعلق به القرآن والحديث مثل (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم) ومثل (والسعوات مطويات بيمينه) وما أشبه هذا من القرآن والحديث ولا نزيد فيه ولا نفسره . ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ، ونقول (الرحمن على العرش استوى) فنزعم غير هذا فهو وجهي فذهب الساف رحمة الله عليهم اثبات الصفات واجراؤها على ظاهرها

ونفي الكيفية عنها، لان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات واثبات الذات اثبات وجود لا اثبات كيفية ، وعلى هذا مضى السلف كلهم . ولو ذهبنا نذكر ما أطلعنا عليه من كلام السلف في ذلك لخرج بنا عن المقصود في هذا الجواب ، فن كان قصده الحق وظهر الصواب اكتفى بما قدمنا . ومن كان قصده الجدل والقليل والقال والمكبرة لم يزد التتويل الا ضلالا . والله الموفق للصواب

فصل

﴿ في انكار الزيدي صفة العلو والفوقية لله تعالى والرد عليه ﴾

واما قوله (وأنت ايضا قد ناقضت كلامك بكلامك حيث قلت وذلك مثل وصف نفسه تبارك وتعالى بأنه فوق السموات مستو على عرشه فقد فسر كتاب الله واثبت له صفة وهي الفوقية المستلزمة للتجسيم ، وليست الفوقية مأكورة في قوله (الرحمن على العرش استوى)

(فالجواب) أن يقال قد ذكرنا أن تفسير الصفات الذي نفينا في كلامنا ، وذكرنا نفيه عن السلف هو تأويل آيات الصفات وأحاديثها بتأويلات الجهمية والمعتزلة الذين ينسرون الاستواء بالاستيلاء والفوقية بالقهر ، واليد بالنعمة ، وما أشبه ذلك ، ويفسرونها بتفسير المشبهة الذين يقولون استوى كاستواء المخلوق على سريرته ، ويفسرون اليد بالجراحة كجراحة المخلوق فكل هذا من التفسير الردود المبتدع المحدث في الدين ، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف باسناد صحيح ولا ضعيف حتى ان المخالفين لهم في ذلك يقولون بان مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها امرارها كما جاءت من غير تعرض لتفسير أو تأويل مع نفي التشبيه عنها ويقولون هذا أسلم . وأما مذهب الخلف فهو تأويلها وتفسيرها بما يليق بالله سبحانه فحصل الاتفاق من الموافق والمخالف على ان مذهب السلف ما ذكرنا والله الحمد والمنة

١٠٢ بطلان قول المبتدعة ان علو الله يقتضي كونه جسما

وأما وصف الرب بالفوقية فقد صرحت الآيات الكريمة بذلك وكذلك الأحاديث الثابتة المتواترة ، وأجمعت عليه الامم عربهم وعجمهم لان الله فطرهم على ذلك إلا من شذ واجتالته الشياطين عن فطرته التي فطره الله عليها ، وهذا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وعامة كلام الصحابة والتابعين ثم عامة كلام سائر الامة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله هو العلي الاعلى ، وانه فوق كل شيء ، وانه عال على كل شيء ، وانه فوق العرش ، وانه فوق السماء مثل قوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - إني متوفيك ورافعك إلي - أمنتهم من في السماء - تعرج الملائكة والروح اليه - يخافون ربهم من فوقهم - ثم استوى على العرش) في ستة مواضع إلى أمثال ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة ياسبحان الله ، كيف لم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر ، ولا أحدا من سلف الامة: هذه الأحاديث والآيات لا تعتقدوا ما دلت عليه لكن اعتقدوا الذي تقتضي مقاييسكم فانه الحق ، وما خالفه فلا تعتقدوه وانفوه . ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في اصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد ، وإنما الرسالة زادتهم شقاء وضلالا ، ونحن لم نصف الله بالفوقية وإنما هو سبحانه هو الذي وصف نفسه بذلك ، فبطل قول المعارض وكلامه صريح بانه اتبع مقاله الله ورسوله ، وان الله هو الذي وصف نفسه بذلك .

وأما قوله فقد فسرت كتاب الله - فهذا كذب وافتراء على المجيب ، يعرفه كل منصف ليدب ، وهذا المعارض لا يستحي من كثرة الكذب ، نعوذ بالله من ارتكاب الهوى والتعصب على الباطل للذين يصدان عن اتباع الحق وإرادته .

وقوله : وأثبت لله صفة وهي الفوقية المستلزمة للتجسيم - كذب ظاهر ، لان إثبات الفوقية لا يلزم منه ذلك عند من قال به ، والله سبحانه وتعالى اعلم من خلقه بما يجوز عليه وما يمتنع عليه ، ولكن هذا شأن اهل البدع والضلال ، يردون ما جاء

التصريح بان الوهاية لا يكفرون المبتدعة بتأويل الصفات ١٠٣

به الرسول ﷺ من عند الله بهذه الامور القبيحة، كما ان الجهمية أنكروا تكليم الله لموسى عليه السلام وغيره من خلقه، وزعموا ان القرآن مخلوق، قالوا لان الكلام إذا أطلق على ظاهره يلزم منه الجسم، وكذلك أنكروا رؤية الله في الآخرة، وزعموا ان المراتب لا تكون إلا جسما، ولهذا لما ظهرت الفتنة في امارة المأمون العباسي وامتحن العلماء بالضرب والحبس على أن يقولوا القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وجرى امور عظيمة، وقتلوا بعض العلماء، وضربوا الامام احمد لما امتنع من القول بذلك، ولما ناظره برغوث تلميذ حسين النجار بان الله لو كان متكلمًا لكان جسما، قال الامام احمد: لا أدري ما تقولون، ولكن أقول (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فأجابهم الامام احمد بطريقة الانبياء واتباعهم وهو الاعتصام بكتاب الله، وترك البدع والمقاييس التي لم يأت بها كتاب ولا سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (إن روايتك عن الازاعي مرسله لم تذكر طريقها ولا مخرجها ولا من صحيحها فكيف تكفر بها المسلمين ؟) (فالجواب) ان يقال هذا المعتبر لا يعرف معنى المرسل عند أهل الحديث ولا يتميز بينه وبين المقطع أو العضل، لان هذا لا يسمى مرسلا، وإنما المرسل ما أرسله التابعي عن النبي ﷺ وسقط الصحابي كما اذا روى سعيد بن المسيب و الزهري او الحسن او مكحول وأمثالهم عن النبي ﷺ. وأما مثل هذا فلا يسمى مرسلا وإنما يسمى معضلا او منقطعاً . ويقال أيضا استنادنا في هذه المسئلة ليس إلى قول الازاعي خاصة ولا إلى قول من هو أجل من الازاعي، وإنما استنادنا في هذه المسئلة وأمثالها من صفات الله إلى نصوص الكتاب والسنة

واجماع أهل العلم من السلف الصالح ، فقد نقل الاجماع في هذه المسئلة غير واحد كما تقدم التنبيه عليه

وقوله : فكيف يكفر بها المسلمون ؟ فيا سبحان الله ! كيف تفترى الكذب الظاهر على الحبيب ؟ فقد بينا فيما تقدم اننا لم نكفر أحداً بالجهل في هذه المسئلة أعني تأويل آيات الصفات وأحاديثها ومخالفة ما عليه السلف ، ولا نكفر إلا من أنكر ما علم بحجىء الرسول ﷺ به ضرورة

فصل

وأما قولك (ان الاوزاعي الراوي لذلك الاجماع قد ناقض نفسه فقد حكى عنه الذهبي انه قال لا نعلم أحداً ينسب إلى القدر من التابعين أجل من الحسن ومكحول رحمهما الله)

فالجواب : ان هذا المعارض لا يعرف المناقضة لان اثبات القدر او نفيه من باب اثبات فعل العبد لله تعالى او نفيه ، لا من باب تفسير الصفات وتأويلها . والذي ذكره الاوزاعي عن التابعين اثبات الصفات لله تبارك وتعالى وعدم تفسيرها وتأويلها ، فأين في هذا ما يناقض ما ذكره الاوزاعي في قوله : كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ، وقد رواه البيهقي وغيره باسناده عن الاوزاعي

واثبت خلق الله تعالى للأشياء المخلوقة لا ينازع فيه أحد من الناس حتى عبدة الاوثان يقرون بذلك كما أخبر الله عنهم بقوله (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) وقوله (قل من يرزقكم من السماء والارض — إلى قوله — ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وانما نازع من نازع من المعتزلة في فعل العبد خاصة . فالمنزلة ينكرون ان الله خلق أفعال العباد خيرها وشرها

أهل البيت لم ينكروا صفات الله ولا تأولوا الآيات فيها ١٠٥

وفي صحيح مسلم ان أول من قال ذلك بالبصرة معبد الجهنفي، فلما ذكر ذلك لعبد الله بن عمر تبرأ منه. واستدل على اثباته بما سمعه من رسول الله ﷺ في اثبات القدر حين سأله جبريل عليه السلام عن الاسلام والايمان والاحسان، كما ذكر ذلك مسلم في اول كتاب الايمان من صحيحه . وكذلك ابن عباس ثبت عنه انه تبرأ ممن أنكر ذلك

ومن العجب قوله (وأيضاً يذتفض بما روي عن عامر الشعبي التابعي انه قال إن أحبينا أهل البيت هلكت دنيانا ، وإن أبغضناهم هلك ديننا)
فأين المناقضة في هذا الكلام يا جاهل . وأهل السنة كلهم يحبون آل محمد مع اثباتهم لصفات الله تعالى التي نطق بها القرآن .

فان قلت ان أهل البيت ينكرون هذه الصفات ، وتأولون ظواهر هذه الآيات طالبناك بصحة النقل عنهم بذلك . وهيهات لان أهل البيت لا يفترون كتاب الله ولا يخالفونه كما ورد في الحديث انه قال « ولن يفترقا حتى يردا علي الخوض » كما تقدم في حديث زيد بن ارقم وغيره . وأنت لا تنكرن ظواهر الآيات والاحاديث المذكورة فيها صفة الرب بصفاته العلى وأسماؤه الحسنى، كالعلي الاعلى، وانه فوق عرشه استوى ، وانه فوق عباده ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة انه فسر هذه الآيات بتفسير المعتزلة والجهمية الذي يذهب اليه هذا المعارض، ولا قالوا للناس اعلموا ان ظاهر هذه النصوص غير مراد فلا تعتقدوه فانه يقتضي التشبيه والتجسيم ، بل سكتوا عن ذلك ووصى بعضهم بعضاً بالسكوت عنها ، وانما فسرها وتأولها أهل الضلال والبدع وما أحسن ما قال عمر بن عبد العزيز ابن عبد الله بن ابي سامة المماجشون : عليك بلزوم السنة فانها لك باذن الله عصمة فان السنة انما جعلت ليستن بها ويقتصر عليها ، وانما سننها من قد علم ما في

خلافها من الزلل والخطأ والحق والتمقق، فارض لنفسك بما رضوا به فانهم عن علم وقفوا، وببصرنا قد كفوا، ولهم كانوا على كشفها اقوى، وبتفصيلها كانوا احرى، وانهم لهم السابقون. وقد بلغهم عن نبهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة. فلئن كان الهدى ما أنتم عاينه لقد سبقتموه، ولئن قلتم حدث حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم واختار ما نحتته فمكره على ما تلقوه عن نبهم، وتلقاه عنهم من اتباعهم باحسان، ولقد وصفوا منه مايكفي، وتكلموا منه بما يشفي، فمن دوسهم مقصر، ومن فوقهم مفرط، ولقد قصر دوسهم أناس خففوا، وطمح آخرون فغلوا، وأنهم فيما بين ذلك على هدى مستقيم

فصل

﴿ في مسألة القدر واثبات السلف والخلف أهل السنة له ﴾

وأما قوله (وقد روي التكم في القدر عن محمد بن سيرين وقتادة — إلى قوله — ومن تكلم في القدر فقد تكلم في الصفات، وسواء كان من جانب المعتزلة كالحسن ومكحول ومن ذكرنا من جانب الاشعرية، فن التابعين من هو سلف للاشعرية. وقلنا ان التكلم في القدر تكلم في الصفات إذ معناه عند الحسن ومكحول ان الله تعالى متصف بعدم خلق أفعال العباد اي لم يؤثر فيها، ومن أثبت لله خلق الافعال فقد وصف الله بأنه يؤثر فيها. وهذان المذهبان قد اشتبرا وشاعا في التابعين. فمنهم المذهب المعتزلة كالحسن ومكحول ومن ذكرنا ومنهم المذهب مذهب الاشعرية)

(فالجواب) من وجوه (احدها) ان يقال : اثبات القدر او نفيه ليس من باب اثبات الصفات ولا تفسيرها عند المثبتين ولا عند النافين كما تقدم التنبيه عليه، وانما ذلك من باب إثبات الفعل والخلق، فالمعتزلة ينفون ان الله قدر افعال العباد ويقولون ان الله لا يقدرها عليهم ثم يعذبهم عليها، وانما يكون ذلك ابتداء من

عند انفسهم، ويوردون على ذلك شبهات من الكتاب والسنة
وأما السلف وأهل السنة ومن اتبعهم من أتباع الأئمة الاربعة من الاشعرية
وغيرهم فيثبتون ان الله قدر افعال العباد وشاءها منهم، ولا يكون في ملكه إلا
ما يريد. ويستدلون على ذلك بالآيات القرآنية الصريحة في ان الله خلق العباد
وأعمالهم كقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وقوله (إنا كل شيء خلقناه
بقدر) وقوله (ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً)
وبالاحاديث الصحيحة الصريحة المتواترة عن رسول الله ﷺ بأن الله قدر
اعمال العباد وان كلاميسر لما خلق له كما قال تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسيؤتيه لايسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسيؤتيه العسر)
(الوجه الثاني) ان يقال هؤلاء الذين ذكرهم مع المعتزلة كالحسن وابن
سيرين ومكحول كلهم قد صح عنهم الايمان بالقدر وإثباته موافقة لأهل السنة
وان كان قد نسب إلى بعضهم موافقة المعتزلة فليس كل ما ينسب إلى شخص يكون
ثابتاً عنه ، فليس مجرد نسبة بعض الناس اليهم ذلك يكون صدقاً. وذلك لان
المعتزلة انما اشتهر امرهم بعدموت الحسن البصري، لانهم اعتزلوا اصحاب الحسن بعد
موته فسموا المعتزلة لذلك وهم الذين يسمون القدرية لانهم ينكرون ان يكون
الله تبارك وتعالى قدر افعال العباد وشاءها منهم . وغلاتهم ينكرون ان يكون
الله علم ذلك ، ومن أنكر علم الله بذلك فقد كفر عند أئمة أهل السنة ، ولهذا
قال من قال من أئمة أهل السنة : ناظروا القدرية بالعلم فان أنكروه كفروا وان
أقروا به خصموا

(الثالث) ان أهل السنة الذين حكينا مذهبهم في الصفات وانهم لا يتعرضون
لها بتفسير ولا تأويل بل يثبتونها صفات لله ، ولا يلزم من إثباتهم الصفات لله
انهم يفسرونها او يتأولونها كما انهم وغيرهم يثبتون لله ذاتاً وفعلًا وحياة وقدرة

ولا يكيفونها ولا يفسرونها بل يثبتون ما أثبتته لنفسه ، ويسكتون عما سكته عنه ،
وينزهونه عن مشابهة المخلوقات ، ومذهبهم وسط بين الغالي فيه والجافي عنه ،
فلا يتأولونها تأويل المبتدعة ، ولا يشبهونها بصفات المخلوقين . وقد قال تعالى
(فهدي الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم)

(الوجه الرابع) ان هذا المعترض جزم في كلامه بأن الحسن ومكحولاً ومن
ذكر معهم قد ذهبوا مذهب المعتزلة . وهذا كذب ظاهر عليهم ، فان كان مراده
ان هؤلاء نسب اليهم القول بمذهب المعتزلة فقد بينا أن مجرد نسبته اليهم لا يلزم
منه صحة ذلك عنهم ، والمنقول عنهم في ذلك من موافقة أهل السنة والجماعة في
إثبات القدر والایمان به هو الثابت عنهم . وأنت تعلم أن كثيراً من الناس قد
نقل عن علي رضي الله عنه وأهل البيت أشياء كثيرة ونسبوا اليهم أقوالاً قد برأهم
الله منها ، والرسول ﷺ قد نسب اليه أقوال كثيرة وأهل العلم يعرفون انها مكذوبة
عليه . ومن هؤلاء المذكورين من تكلم في شيء من القدر ثم رجع عنه كوهب بن
منبه كما قال الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه ، قال احمد بن حنبل عن عبد الرزاق
سمعت أبي يقول « حج عامة الفقهاء سنة مائة وحج وهب بن منبه ، فلما صالوا العشاء
أتاه نفر فبهم عطاء والحسن بن أبي الحسن وهم يريدون أن يذاكروه في باب من
الحمد ، فما زال فيه حتى طلع الفجر ، فافترقوا ولم يسألوه عن شيء » قال احمد
وكان يتهم بشيء من القدر ورجع

وقال حماد بن سلمة عن أبي سنان قال سمعت ابن منبه يقول كنت أقول
بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الانبياء في كلها : من جعل الى
نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . فتركت قولي .

فتبين بما ذكرنا أن جزم هذا المعترض بأن هؤلاء الأئمة المذكورين يقولون
بمقالة المعتزلة كذب ظاهر ، وقول بلا دليل

(الوجه الخامس) ان من العلوم عند أهل العلم ان أول من تكلم في آيات الصفات وأحاديثها بهذه التأويلات الباطلة المخالفة للظاهر هم المعتزلة والجهمية خاصة . وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان فكلمهم متفقون على الايمان بها ، والسكوت عن البحث عن كيفيةها

فصل

وأما قوله (فمن أعجب ما سمعنا قولاك بأن مذهبك الذي درج عليه رسول الله ﷺ كما هو معنى كلامك فان أهل السنة والجماعة هم الذين ملأوا كتبهم بروايات التجسيم لله تعالى والكيفية في الصفات ، وفسروا صفاته ، فلو ادعيت ذلك التنزيه على ما في نفسك لكان أحسن من تحجر الواسع الذي يريد قومك من أهل السنة والجماعة ، فاسمع ما رواه السيوطي في الدر المنثور قال : أخرج ابن جرير والحاكم ^(١) وابن مردويه « أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه أحب أن ينظر اليه فسأله فقال (لن تراني ولكن انظر الى الجبل) قال فحف حول الجبل الملائكة وحف حول الملائكة بنار ، وحف حول النار بملائكة ، وحف حولهم بنار ، ثم تجلى ربك للجبل ، تجلى منه مثل الخنصر ، وجعل الجبل دكا فخر موسى صمعا » الى آخر الحديث الذي في تفسير قوله تعالى (قال رب أرني أنظر اليك) ثم ذكر حديث ابن عباس نحو ما تقدم . وكذلك أخرج ابو الشيخ عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « لما تجلى الله لموسى كان ينظر إلى ديب التمل في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ » فهذا في التجسيم والتكليف

(فالجواب) أن يقال : كلام هذا المعترض يدل على رسوخه في الجهل العظيم ، واتباعه لأهل البدع والضلال ، وعداوته لله ورسوله وعباده المؤمنين ، وذلك

(١) راجعت المستدرك للحاكم في تفسير قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) فلم أجده في المستدرك وهو من رواية ابن اسحاق عن بنى اسرائيل اهن هامش الاصل

١١٠ واجب تصديق الرسول فيما أخبر من صفات الله بدون تحريف

ان مثل هذا الذي زعم انه تجسيم وتكييف قد ورد ما هو مثله أو أبلغ منه في كتاب الله وفي الاحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فإذا كان هذا عنده تجسيم وتكييف فلازم كلامه ان الله وصف نفسه بالتجسيم والتكييف ، وكذلك رسوله ﷺ . ومن زعم هذا فقد انسلخ من العقل والدين .

فاسمع الآن ما ذكر الله في كتابه . قال الله تعالى (هل ينظرون إلا أن ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقال تعالى (هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك أو ياتي بعض آيات ربك) وقال تعالى (ثم استوى على العرش) في ستة مواضع من كتابه العزيز . وقال تعالى (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فإذا هي تمور) أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) ووصف نفسه بانه يحب عباده المؤمنين . وكذلك وصف نفسه بالغضب والسخط في غير آية من القرآن . وكذلك وصف نفسه بانه سميع بصير ، وبأن له يدين كقوله تعالى (لما خلقت بيدي) وقوله (بل يده مبسوطتان) وبأنه يقبض الارض يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ « ان الله يقبض الارض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يهزهن بيده » ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض » وقال تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة وقد أمرنا الله بتدبر القرآن وتفهمه

إذا تبين هذا فقد أوجب الله تصديق الرسول ﷺ على كل مسلم فيما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه ، كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، فان هؤلاء الذين تلقوا عنه القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهم قد أخبروا أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ

عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتمعنوا القرآن والعلم والعمل جميعا . ولم يقل الرسول ﷺ يوما من الدهر ولا أحد من أصحابه فيما باننا أن ظواهر هذه الايات وما في معناها من الاحاديث تقتضي التشبيه والتكيف والتجسيم فلا تعتقدوها ، بل أولوها على التأويلات المستكرهة كما يقول من يقوله من الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل البدع والضلال بل أطلقوا هذه النصوص وبلغوها لجميع الخلق ، ومعلوم أن في زمانهم الذي والبليد من أهل البادية والحاضرة والرجال والنساء ، فلم يقولوا لاحد منهم لا تعتقدوا ظواهر هذه النصوص ولافسروها بما يخالف ظاهرها

فهذا سبيل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ومن اتبهم باحسان الى يوم القيامة ، ومن أعرض عن ذلك واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ماتولى واصلاه جهنم وسأت مصيرا

فصل

﴿ في شبهة تأويل بعض السلف للصفات ﴾

وأما قوله (وأما تفسير الصفات وتأويلها فروى أيضا السيوطي في الدر المنثور في قوله تعالى (وهو شديد المحال) قال اخرج ابن ابي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله تعالى (وهو شديد المحال) قال شديد القوة ، وعنه أيضا : شديد المكر والعداوة وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أيضا : شديد الحول . وأخرج ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال : شديد الاخذ . وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : شديد الانتقام وأخرج أبو الشيخ عن علي قال : شديد الحق . وأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة شديد المحال شديد القوة والحيلة انتهى .

١١٢ تحريف المبتدعة لآيات الصفات وانكار معانيها الصحيحة

قال المعارض هؤلاء الاجلة من الصحابة والتابعين قد روى عنهم من هو إمام في حزبك وسلفك السيوطي ما ترى من تفسير الصفات وتأويلها بل روى التجسيم عن سيد المرسلين ﷺ وقد اشتهر اشتهار الشمس في كتب قومك وسلفك حديث « سترون ربكم كالفمر ليلة البدر » فهل بعد هذا التكييف من بلاء وعى؟ نسأل الله لك الهداية والسلامة من نزغات الشيطان

(فالجواب) من وجوه كثيرة (أحدها) أن يقال ما ذكرت من رواية السيوطي عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين ليس من باب تفسير الصفات وتأويلها الذي ينكره أهل السنة والجماعة، بل فسروها على ظواهر الآيات ووصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ، وهذا من أوضح الدلائل في الرد عليك أيها المعارض وعلى أشباهك المنكرين لصفات الله تعالى، فلم يفعلوا فعل الجاهلية النفاة الذين لم يثبتوا لله صفة ولا فعل الممثلة المشبهة الذين يشبهون صفاته بصفات خلقه (الوجه الثاني) أن جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان يصفون الله بأنه شديد القوة، وكذلك شديد المكر، وشديد الاختد، كما وصف نفسه بذلك في غير آية من كتابه كقوله (ان أخذه اليم شديد) وقوله (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقال (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقال (ان ربك لشديد العقاب) وانه لغفور رحيم) وقال (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) فيمرون هذه الآيات على ظواهرها ويعرفون معناها ولكن لا يكيّفونها ولا يشبهونها بصفات المخلوقين . هذا مجمع عليه بينهم والله الحمد والمنة

فأين في هذا ما يدل على أنهم أولوا صفات الله بتأويلات الجهمية والمعتزلة والرافضة ومن نأخوهم ممن أزاغ الله قلبه واتبع التشابه وترك الحكم؟ كما قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله) والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوالباب *

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (جعلنا الله وسائر إخواننا ممن يقول هذه المقالة التي علمنا الله إياها ، وأعاذنا من طريق المغضوب عليهم والضالين .

فاما المغضوب عليهم فيتركون الحق ولا يريدونه مع معرفتهم به . وأما الضالون فالجهال الذين جهلوا الحق فلم يعرفوه بل عملوا على جهل وذكر المفسرون ان المراد من المغضوب عليهم اليهود لانهم عرفوا الحق معرفة تامة وتركوا اتباعه . والمراد بالضالين النصارى لانهم عبدوا الله على جهل ، وقد نزه الله نبيه عن هذين الوصفين فقال تعالى (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى)

وقد قال سفيان بن عيينة وغير واحد من السلف : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

(الوجه الثالث) ان يقال : قوله بل قد روي التجسيم عن سيد المرسلين - كذب ظاهر ، لان السيوطي وغيره من اهل السنة ينفون عن الله مشابهة المخلوقات ومماثلة الاجسام المصنوعات ، فان قال : ان لازم كلامهم يقتضي التجسيم والتشبيه . قلنا هذا ممنوع عند اهل السنة ، فانهم يقولون : إن إثبات الصفات لله تبارك وتعالى وإثبات رؤيته تعالى لا يقتضي ذلك ولا يلزم منه التجسيم ، ولكن هذا شأن اهل البدع والضلال ، يردون كتاب الله وسنة رسوله بهذه الخرافات الباطلة ، والجهالات والضلالات الكاذبة الفاسدة

(الوجه الرابع) ان يقال : القرآن مملوء من صفات الله تبارك وتعالى وأسمائه الحسنی ، وقصص الانبياء المتضمنة لاثبات الصفات والافعال الاختيارية لله تبارك وتعالى ، كالجبي ، والمناداة والتكلم والقبض والبسط والغضب والرضا . أفيقول مسلم او عاقل إن الله وصف نفسه بالتجسيم والتكييف ؟ او وصفه به رسوله وأنبياءه ؟ فإذا قلتم ان لازم تلك النصوص إثبات التجسيم والتكييف ، فهذه النصوص

١١٤ روية الرب في الآخرة بدون ادراك ولا إحاطة

الواردة في القرآن أبلغ منها فيما ذكرتم . سبحانه الله ما أعجب هذا الجهل . ولازم هذه المقالة أن ظواهر القرآن والسنة تجسيم وتكييف

(الوجه الخامس) ان يقال : قوله قد اشتهر اشتهار الشمس في كتب قومك وسلفك حديث « إنكم سترون ربكم » الخ فيقال : هذا حق وصدق تواترت به الاحاديث عن رسول الله ﷺ ودل على ذلك آيات كثيرة من القرآن كقوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو الاذليف الخبير)

ووجه الدلالة من هذه الآية الكريمة : انه سبحانه نفى إدراك الابصار له وأثبت له إدراكها ، ونفى الادراك لا يستلزم نفى الرؤية ، فمفهوم الآية ان الله يرى ولا يدرك ، وبما ذكرنا فسر الآية خبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، كما روى ذلك أئمة التفسير عنه ، كابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه ، فقالت : أليس الله يقول (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) الآية ، فقال لي : لا أم لك ، ذلك نور إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء ، قال عكرمة لمن قال له لا تدركه الابصار أنست ترى السماء ؟ قال بلى ، قل : فكيف ترى (١) ولا بن أبي حاتم بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في قوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال : لو ان الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفا صفا واحداً ما أحاطوا بالله عز وجل ، ويدل على ذلك قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فسر ها أئمة التفسير بان المراد بذلك ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة . ولهذا قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية :

﴿ باب بيان ما جحدت الجهمية ﴾ (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)

(١) يعني أنها لو كانت ترى كلها لكانت رؤيتها ادراكا فان الادراك هو الاحاطة فنفى الادراك لا يستلزم نفى الرؤية التي دون الاحاطة بالمرئي

رد الامام احمد انكار الجهمية لرؤية الرب تعالى ١١٥

فقلنا لهم : لم أنكرتم ان أهل الجنة ينظرون إلى ربهم ؟ فقالوا : لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه لان المنظور اليه معمول موصوف . فقلنا لهم : أليس الله يقول (إلى ربها ناظرة) ؟ فقالوا إنما معناه انها تنظر الثواب من ربها ، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته ، وتلوا آية من القرآن (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) العنى : ألم تر إلى فعل ربك . فقلنا ان فعل الله لم يزل العباد يرونه ، وإنما قال (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) فقالوا إنما تنتظر الثواب من ربها ، فقلنا انها مع ما تنتظر من اثواب هي ترى ربها . فقالوا إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، وتلوا آية من المتشابه من قوله جل ثناؤه (لا تدركه الابصار) وقد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله (لا تدركه الابصار) وقال « إنكم سترون ربكم » وقال الله لموسى عليه السلام (لن تراني) ولم يقل ان أرى ، فأيهما أولى أن يتبع ؟ النبي صلى الله عليه وسلم حين قال « انكم سترون ربكم » ام جهنم حين قال : لا ترون ربكم ؟ والا حاديث في ايدي أهل العلم عن النبي ﷺ ان أهل الجنة يرون ربهم ، لا يختلف أهل العلم في ذلك . ومن حديث سفينان عن ابي اسحاق عن عامر بن سعد في قول الله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظار إلى وجه الله . ومن حديث ثابت البناني عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال « اذا استقر أهل الجنة في الجنة نادى منادى يا أهل الجنة ان الله قد أذن لكم في الزيارة ، قال فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله لا إله إلا هو » وانا للرجو ان يكون جهنم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله لان الله قال للكفار (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فاذا كان الكافر يحجب عن الله والمؤمن يحجب عن الله فما فضل المؤمن على الكافر ؟

فالحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهنم وشيعته وجعلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع . انتهى كلام احمد بحروفه ولفظه
وهذا الكتاب الذي نقلت منه هذا الكلام رواه عن احمد أئمة أصحابه

وهو مشهور عند العلماء . وفي هذا ما بين ان هذا المعترض اتبع قول جهنم وشيعته وترك ما عليه رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه

ومن العجب انه يدعي ان الامام احمد هو امام الشيعة عند الحقيقة وقد خالف مذهبه في هذه المسئلة وغيرها من مسائل أصول الدين، فكيف بمسائل الفروع ؟ وأعجب من هذا قوله ان رواية هذا الحديث — أعني حديث الرؤية وما شابهه — تكيف وعماء وضلال، فاذا كان موسى عليه السلام قال لربه (أرني أنظر اليك) أفيسأل موسى عليه السلام ما هو تكيف وتجسيم وعماء وضلال ؟ ويكون موسى عليه السلام لا يعرف ما يجوز على الله وما يمتنع عليه ويعرف ذلك جهنم وشيعته ؟ فلا إله إلا الله ما أقبح هذا الجهل وأبعد عن السداد والصواب عند اولي الالباب ! وقد صرح بعض شياطين هؤلاء المبتدعة الضلال بان عيسى عليه السلام شبه حيث قال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) وكذلك موسى عليه السلام حيث قال (رب أرني أنظر اليك) وكذلك جهنم ذكر البخاري رحمه الله في كتاب خلق أفعال العباد بسنده ان جهنما قرأ في المصحف ، فلما أتى على هذه الآية (الرحمن على العرش استوى) قال والله لو قدرت لحككتها من المصحف وذكر ابو الحجاج المزي في (كتاب تهذيب الكمال في معرفة الرجال) ان عمرو ابن عبيد شيخ القدرية قال في حديث الصادق المصدوق المخرج في الصحيحين وغيرهما من كتب الاسلام عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « إن خلق أحدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة » الخ فقال: لو سمعت الاعش يقول هذا لقلت له كذبت ، ولو سمعت زيد بن وهب يقول ذلك لقلت له كذبت ، ولو سمعت ابن مسعود يقول ذلك ما قبلته ، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك لرددته ، ولو سمعت الله يقول ذلك لقلت ليس على هذا أخذت ميثاقنا . او كلاما هذا معناه . فنسئل الله العظيم المنان ان لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وان يهب لنا منه رحمة انه الوهاب

فصل

وأما قوله (فاركب السفينة وادخل من باب حطة ، حتى تدخل بنور قلبك ، حقيقة عاقبة أمرك ، وما حصلت عليه من التكفير للمسلمين بسبب الاستناد والركون إلى سلفك ، والتسمين بأهل السنة والجماعة ، والحال أنهم قد نقضوا غزلك ، فبينما أنت تأوي إلى كهفهم من أنهم لا يفسرون ولا يؤولون آيات الصفات ، إذ جاءوك بالمدلهمات من التجسيات والتأويلات ، ورووها عن ركنك إلى إجماعهم وهم التابعون الذين روه لك عن الأوزاعي فكنت كالساعي إلى شعب موائل من سل الراعد ، وانظر هداك الله وتدبر فانك تخوض في بحر الفرق ، وهو تكفير أهل الاسلام ، ولم تأو إلى ركن شديد ، ولم تركب سفينة نوح ، فقد أردت أن تنزه ربك بما يلزم منه التجسيم ، كما نبينه إذا جاء قومك بالقرآقر وهو صريح التجسيم والتكيف)

(الجواب) ان يقال: قد تقدم ما يبطل دعواك فيما ذكرت في هذا الكلام بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .

وهذا الكلام فيه أنواع من الكذب والزور والبهتان يتضح لكل من له أدنى بصيرة من علم وإيمان (منها) قوله وما حصلت عليه من تكفير المسلمين ، فأين في كلام المجيب أنه صرح بتكفير المسلمين .

(الثاني) قوله والحال أنهم قد نقضوا غزلك ، فأين فيما ذكرت عنهم أيها الجاهل في النقض على المجيب ، وقد بينا ان كلامهم موافق لما ذكره المجيب لا مخالف له ، وانما فيه النقض عليك وعلى سلفك من المعتزلة والجهمية الذين ينفون صفات الله ويعطلونها عن حقائقها

(الثالث) قوله : فبينما أنت تأوي إلى كهفهم من أنهم لا يفسرون ولا يؤولون آيات الصفات ، إذ جاءوك بالمدلهمات من التجسيات والتأويلات . وهذا أيضاً من أظهر

١١٨ التزام التجسيم في علو الله ورؤيته يلزم مثله في ذاته وعلمه وقدرته

المكذب والفجور عليهم، لان جميع ما ذكره عنهم لا يدل على التجسيم ولا التأويل الباطل بوجه من الوجوه، وانما يدل على انهم يصفون الله باسمائه الحسنی وصفاته العلی، وهم قد صرحوا بذلك وتحملوا ائمة عنك وعن سلفك طاعة لربهم ومعبودهم ونبيهم ﷺ كما قال القائل:

وعيرها الواشون اني احبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ويقال لهذا وأشباهه من أهل البدع والضلال: انتم اعلم ام الله؟

(الرابع) قوله: فانك تخوض في بحر الغرق وهو تكفير أهل الاسلام فيقال أين في كلام الحبيب انه كفر أحداً من المسلمين بتأويل آيات الصفات وأحاديثها؟ أما تستحي من كثرة الكذب وترداده في السطر الواحد والاثنين والثلاثة والاربعة من كلامك؟ اما عندكم رجل رشيد ينصح هذا الجاهل ويستر عورته اذا كشفها؟ (الخامس) قوله ولم تأو الى ركن شديد ولا ركبت سفينة نوح. وهذا أيضاً من الكذب والزو والبهتان، لان الحبيب قد اوى الى ركن شديد وركب سفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وقد احتج في كلامه بكتاب الله وسنة رسوله وبما اجمع عليه السلف الصالح من صدر هذه الامة

(السادس) قوله: وقد أردت ان تنزه ربك بما يلزم منه التجسيم كذب ظاهر

لانا قد بينا ان ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله حق وصدق وصواب ولازم الحق حق بلا ريب، ولا نسلم ان ذلك يلزم منه التجسيم، بل جميع أهل السنة المثبته للصفات ينازعون في ذلك ويقولون لمن قال لهم ذلك لا يلزم منه التجسيم كما لا يلزم من اثبات الذات لله تعالى، والحياة، والقدرة، والارادة، والكلام - تجسيم وتكليف عند المنازع

ومعلوم ان المخلوق له ذات ويوصف بالحياة والقدرة والارادة والكلام ومع هذا لا يلزم من إثبات ذلك لله تبارك وتعالى إثبات التجسيم والتكليف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

مأول النبي ﷺ صفات الله تعالى كما فعل المعتزلة والرافضة ١١٩

ومعلوم ان هذه الصفات في حق المخلوق إما جواهر وإما أعراض . وأما في حقه تبارك وتعالى فلا يعلمها إلا هو ، بلا تفسير ولا تشكيل (السابع) قوله : إذ جاء قومك بالقرافر وهو صريح التشكيك والتجسيم ، لان ما ذكره عن اهل السنة ليس فيه تصريح بالتجسيم وإنما يقول المخالف انه يلزم منه ذلك ، وقد تقرر عند علماء الاصول وغيرهم ان لازم المذهب ليس بمذهب ، وهو نفسه ذكر ان ذلك يلزم منه التجسيم ومنازعه يقول لا يسلم له ذلك . ثم في آخر كلامه ، في موضع واحد يقول وهو صريح التجسيم وليس فيما ذكره عن المجيب ولا عن سلفه من اهل السنة ما هو صريح في ذلك ، والصريح في ذلك أن يقول القائل : ان لله جسما كما يقوله بعض أئمة الرافضة كهشام بن الحكم وغيره من اهل الكوفة كما يذكر ذلك عنهم أهل المقالات

فاتق الله أيها الرجل واحذر ان تكون من الذين يفترون الكذب وقد قال تعالى (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)

فصل

وأما قوله جوابا عن كلام المجيب وهو ما درج عليه رسول الله ﷺ فنقول (هات لنا حديثا واحداً عن رسول الله ﷺ قطعي الدلالة متواتر المثن أو متلقى بالقبول عند الامة بان رسول الله ﷺ منع من تفسير آيات الصفات وتاويلها حتى يكون حجة لك على من خالفك في تكفيرك له . وأما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتاويل فانه لا يكفيك في تكفير المسلمين ، مع اننا قد ذكرنا لك ان قومك قد رووا عنه ﷺ التفسير والتاويل والتجسيم ، فاحذر لنفسك ما يحلو . ولا حول ولا قوة إلا بالله)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان يقال : ان المجيب قد ذكر من الادلة القاطعة من الكتاب والسنة ان الله وصف نفسه بالاستواء والبدن والمحيي والرضا والخط

١٢٠ تاتى الصحابة والتابعين ومنهم أهل البيت آيات الصفات بالقبول

والغضب والمحبة وغير ذلك من أجماته الحسنى ، وصفاته العليا ، مايشفي ويكفي لمن أراد الله هدايته

(الثاني) انه لم يدع ان معه دليلا حديثا قطعي الدلالة بأن رسول الله ﷺ منع من تفسير آيات الصفات وتأويلها حتى يقال له هات ما ادعيت . وإنما دعواه ان آيات الصفات وأحاديثها قد وردت في الكتاب والسنة ، ونقلها رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم باحسان بالقبول والتصديق والايان ، ولم يرد عن أحد منهم لا باسناد صحيح ولا حسن انهم فسروا ذلك أو قال الرسول أو أحد من أصحابه للناس لا تعتقدوا ظواهر هذه النصوص بل تأولوها على ما تقتضيه عقولكم ومقاييسكم ، بل سكتوا عن ذلك وأصروا بتبليغ القرآن والسنة ، وإن رسول الله ﷺ قال « بلغوا عني ولو آية » وقال الله لنبيه ﷺ (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب — ما على الرسول إلا البلاغ)

(الثالث) انك قد أقررت انه صادق في هذه الدعوى بقولك : وأما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتأويل فإنه لا يكفيك فقد صرحت بأنه ﷺ لم يتعرض لها بتفسير ولا تأويل ، وهو المطلوب . فإذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه قد درجوا على ما ذكره الحبيب من إمراها كما جاءت من غير تعرض لها بتفسير ولا تأويل ، وقد أقررت بذلك ولم تنكره أفلا يسمعك ما وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه الراشدين المهديين كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وأولاده والعباس وابنه عبد الله بن عباس والحسن والحسين ابنا علي وأخاهما محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وعلماء العترة رضي الله عنهم ؟ فلا وسع الله لمن لا يسمعه ما وسعهم فانهم أئمة المنتقين ، وهداة الغر المحجلين . وقد قال تعالى في سورة المائدة وهي من آخر القرآن نزولا (اليوم أكملت لكم دينكم وأنممت عليكم نعمتي ورضيت

وجوب رد جميع المحدثات التي لم يتلقها الصحابة عن الرسول ١٢١

لكم الاسلام ديناً (والاسلام هو ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فما ترك رسول الله ﷺ وسكت عنه وجب على الامة السكوت عنه ، فالامور التي ترك رسول الله ﷺ وأصحابه الكلام فيها يجب على الامة اتباعهم فيها ، كما ان الامور التي فعلها وأمر بها يجب على الامة اتباعه في ذلك . وهذا هو دين الاسلام الذي رضي به الله لهذه الامة حيث قال (ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه)

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي حديثه أنه قال «تركتمكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» وقال أبوذر «لقد توفي رسول الله ﷺ ومامن طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا ذكر لنا منه علماً» وفي صحيح مسلم وجامع الترمذي وغيرهما عن سلمان أنه قيل له : قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ؟ فقال سلمان «أجل»

أفليس في هذا بيان للمؤمن أن كل ماحدث بعدهم فليس من دين الاسلام ، بل من البدع والمنكرات العظام ؟ وقد قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وأثنى الله تبارك وتعالى على من اتبع سبيلهم ، واقتفى منهاجهم ، فقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار ، خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم)

(الوجه الرابع) أن يقال : الرسول ﷺ وأصحابه كانوا أقدر على تفسيرها وتأويلها ممن بعدهم فلم يسكتوا عن ذلك إلا لعلهم بأن الصواب فيما سلكوه ، والحق فيما أصلوه ، فانهم ينابيع العلم ، ومصابيح الدجى ، كما قال عبد الله بن مسعود (رض) «من كان منكم مستنئاً فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الامة قلوباً ، وأعظمها علماً ، وأقلها تكلفاً ،

١٢٢ تكرار اتهام المعارض للوهابيين بتكفير مؤولي الصفات وتكذيبهم له

قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم »

وقال رضي الله عنه - لقوم رأيهم قد تحلوا في مسجد الكوفة وواحد منهم يقول لهم سبحوا مائة فيسبحون جميعاً ، فاذا فرغوا قال كبروا مائة ، فاذا فرغوا قال هلموا مائة . فجاءهم فلما رأى ضيقهم قال « والذي نفسي بيده لقد فضلتهم أصحاب محمد علماً ، أو لقد جئتكم ببدة ظلماً » . قالوا والله ماجئتكم ببدة ظلماً ، ولا فضلنا أصحاب محمد علماً . قال « بلى ، والذي نفس ابن مسعود بيده لقد فضلتهم أصحاب محمد علماً ، أو لقد جئتكم ببدة ظلماً »

فانظر رحمك الله إلى كلام هذا الامام الذي هو من سادات الصحابة ونجيبائهم وفضلائهم: كيف أخبر وأقسم على ذلك بان من فعل ما لم يفعله أصحاب محمد فقد جاء ببدة . نسأل الله أن يرزقنا سلوك طريقهم وسيرتهم وهدىهم

(الوجه الخامس) قوله واما انه ﷺ لم يتعرض للتفسير والتأويل فانه لا يكفيه في تكفير المسلمين . فيقال هذا كذب ظاهر على المجيب من جنس ما تقدم من كذب هذا المعارض وفجوره ، فان المجيب لم يذكر في كلامه تكفير أحد من المسلمين خالفه في هذه المسألة ، لان ذلك مما تنازعت فيه الامة ، حتى ان طوائف من اتباع الأئمة الاربعة وغيرهم يذهبون إلى تأويل آيات الصفات وأحاديثها وهم من جملة اهل السنة والجماعة ، وان كانوا عند المجيب مخطئين في ذلك لان مذهبه وعقيدته اتباع السلف الصالح في السكوت عنها وامرارها كما جاءت مع نفي السلفية والتشبيه عنها

(الوجه السادس) قوله مع انا قد ذكرنا ان قومك قد رويوا عنه ﷺ التفسير والتأويل والتجسيم - وهذا كذب ظاهر ، فانه لم يذكر فيما نقل عن اهل السنة شيئاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ في تفسير الصفات فضلاً عن التأويل والتجسيم

اختيار التأسّي بالرسول واتباع سنته مذهبا ١٢٣

وقد ذكرنا نص كلامه بحروفه ، وجميع ما نقله من الدر المنثور عن الصحابة والتابعين من تفسير قوله (شديد الحال) اي شديد القوة او السكر او الحول - قد بينا ان ذلك ليس هو تفسير آيات الصفات وتأويلها الذي وقع النزاع فيه بين اهل الاثبات واهل النفي ، بل ذلك من باب وصف الله سبحانه باسمائه الحسنی ، وصفاته وافعاله اللازمة والتمدية مع قطع النظر عن معرفة كيفية ذلك وتأويله بالتأويلات المبتدعة (الوجه السابع) قوله : فاختبر لنفسك ما يحلو ولا حول ولا قوة إلا بالله فقول : قد اخترنا لانفسنا ما اختاره الله لنا في كتابه وهو الاقتداء والتأسّي بما درج عليه رسول الله ﷺ واصحابه في هذه المسألة وغيرها ، كما وصانا الله بذلك في كتابه حيث قال (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة - وقال - اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال في آخر السورة (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه باجماع المفسرين ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بمسند وفاته .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا اذ هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق . والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (ثم لا يخفى ان المجيب قد جعل اهل السنة والجماعة هم اهل الحديث الذين لم يتكلموا في القدر ، ولم يفسروا آيات الصفات ولا تأويلها ، فنطلب منه التحقيق والافادة ، بان يبين لنا من روى من اهل العلم المحقق بان هذا الاصطلاح مخصوص بمن ذكره ، فان العلماء مختلفة أقوالهم في اطلاقهم اهل السنة والجماعة كما عرفت)

(فالجواب) ان يقال: المحيب انما ذكر كلاما عاما في ان اهل السنة والجماعة هم الذين اقتفوا ماعليه رسول الله ﷺ واصحابه والتابعون لهم باحسان ، ومعلوم ان اهل الحديث هم اعظم طوائف الامة بحثا ومعرفة بسنة رسول الله ﷺ، وذلك لانهم قد اشتغلوا بذلك وأفنوا أعمارهم في طلب ذلك ومعرفة ، واعتنوا بضبط ذلك وجمعه وتنقيته، حتى يبينوا صحيح ذلك من ضعيفه من كذبه ، ولا ينازع في ذلك إلا عدو لله ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين

(الوجه الثاني) ان ظاهر كلام المحيب (١) وكلامه يبين انه لم يخص بذلك طائفة معينين بل كل من سلك هذه الطريقة فهو منهم من جميع الطوائف، وهو داخل في قوله: وهم اهل السنة والحديث من هذه الامة

(الوجه الثالث) قوله الذين لم يتكلموا في القدر، وهذا كذب ظاهر على المحيب وعلى اهل الحديث، فان اهل السنة والحديث من هذه الامة يتكلمون في القدر، بمعنى انهم يؤمنون به ويثبتونه ويقولون ان الله قدر أفعال العباد خيرا وشرا، وهو من أصول الايمان عندهم ، كما ثبت ذلك في الصحيحين في حديث جبرائيل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الايمان فأخبره بانه « الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره » فهذا هو الذي عليه جماعة اهل السنة والجماعة والحديث ، وعليه يدل كتاب الله والاحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ ولولا خوف الاطالة لذكرنا من ذلك شيئا كثيرا ، وليس هذا موضع بسط ذلك وذكر الدلائل عليه

وأما المعتزلة الذين ينفون ان الله قدر أفعال العباد عليهم او شاءها منهم فهم الذين ينكرون ذلك ومن اتبعهم من الروافض والزيدية الذين ينكرون أن الله قدر أفعال العباد وشاءها منهم

(الوجه الرابع) ان الاصطلاح لا حجة فيه عند أهل العلم وغيرهم، فإذا سمي أحد طائفة من الناس بأنهم أهل السنة والجماعة لم يمنع من ذلك الا اذا كانوا مخالفين لما عليه جماعة أهل السنة والجماعة، كأهل البدع الذين يسمون أنفسهم بذلك مع مباينتهم لطريقة الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان (الوجه الخامس) أن كثيرا من علماء السنة ذكروا أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية التي قال فيها رسول الله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما. وذكر البخاري عن علي بن المديني أنهم أهل الحديث وكذلك قال أحمد ابن حنبل «ان لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟»

فصل

وأما قوله (وأنت خير ان الطائفة التي أشار اليها سيد المرسلين ﷺ هم أهل بيته ، فان الناس أذعنوا لأهل الشام ولم يقدرُوا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم، فكان أيها المحيبي من تلك الطائفة الناطقة بالحق الخارجة عن حزب أهل الشام لتحتشر في الطائفة المخالفة لهم، ولا تكن في حزب أهل الشام محبا لهم، فان المرء يحشر مع من أحب)

(فالجواب) من وجوه (احدها) ان الطائفة الناجية جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ بينها لما سئل عنها فقال «من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي» فمن سلك سبيلهم واقتفى منها جهم وتبصموا بإحسان فهو من هذه الطائفة سواء كان من أهل البيت رضي الله عنهم او من غيرهم من جميع الطوائف . ومن خالف ما عليه رسول الله ﷺ واصحابه فهو مع الهالكين سواء كان من أهل البيت او من غيرهم . ولهذا قال تعالى في نساء النبي ﷺ «وهن من أهل البيت قطعنا» يانسأ النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين -

١٢٦ تكذيب قول الزيدي انه لم ينازع بني أمية الا آل البيت

الى قوله - لستن كأحد من النساء ان اتقين) الآية . وثبت في الصحيحين انه قال « ان آل ابي فلان ليسوا لي بأولياء وانما وليي الله وصالح المؤمنين » وفي الحديث الصحيح « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » قال تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وقال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية (الوجه الثاني) قوله فان الناس اذعنوا لاهل الشام ولم يقدروا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم . وهذا كذب ظاهر يعرفه من له ادنى معرفة بالأخبار والتواريخ ، وذلك لان بني أمية قد نازعهم في خلافتهم غير اهل البيت ، فنازعهم ابن الزبير حتى تولى على الحجاز والعراق واليمن وغير ذلك من بلاد الاسلام ولم يخرج عن ولايته إلا طائفة قليلة من اهل الشام ، فارسل مروان بن الحكم اليهم ليأخذ بيعته فخلعه واخذ البيعة لنفسه وبايعه كثير من اهل الشام ، كما ذكر ذلك ابو محمد بن حزم في سيرته . ثم خرج على مروان كثير من اهل الشام فنازعوه وقتلوه ، ثم جرت وقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان وقتل النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، والاصح كما قال الذهبي وغيره من اهل العلم ، ان مروان لا يعدي امرأ المؤمنين ، بل باغ خارج على ابن الزبير ، ولاعهده على ابنه عبد الملك صحيح ، وانما صحت خلافة عبد الملك حين قتل ابن الزبير . وذلك ان عبد الملك جهز لقتاله الحجاج في اربعين الفا ، فحصره بمكة اشهرًا ورعى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابه فتسللوا الى الحجاج فظفر به وقتله وصلبه . وفي ايام ابن الزبير خرج المختار بن ابي عبيد وتبعه طوائف من الناس وقتلوا عبد الله بن زياد فقتلوه وارسل المختار برأسه الى زين العابدين علي بن الحسين بالمدينة ، وتولى على العراق وطرده بني أمية عنه . ثم بعد ذلك ادعى النبوة فأرسل اليه عبد الله بن الزبير اخاه مصعبا معه جيش فخاربه حتى قتلوه وأخذوا منه العراق . وفي أيام يزيد بن

الذين قاتلوا بني أمية من أهل السنة والخوارج ١٢٧

معاوية خرج عليه أهل المدينة وخلصوه واخرجوا اميره من المدينة فأرسل اليهم يزيد مسلم بن عقبة المري بجيش عظيم حتى قتل أهل المدينة وجرت فتنة عظيمة قتل فيها من الصحابة رضي الله عنهم معقل بن يسار الاشجعي وعبد الله بن حنظلة الغسيل الانصاري وعبد الله بن زيد بن عاصم المازني ، وقتل من أولاد المهاجرين والانصار نحو ثلاثمائة وستة أنفس ،

وفي أيام ابن الزبير خرجت طوائف من الخوارج يسمون الازارقة فتولى محاربتهم المهلب بن ابي صفرة وأباد منهم الوفا ، كما ذكره الذهبي وغيره .
وفي أيام عبد الملك خرج عبد الرحمن بن الأشعث وتبعه خلق عظيم من القراء وغيرهم وقاتلوا الحجاج وجرت بينهم وقائع عظيمة ، فغلب الحجاج حتى قتل ابن الأشعث وقتل معه خلق عظيم .

ولو ذهبنا نذكر كل من خرج على بني أمية وبني العباس لطال الكلام جداً ، وبعض من خرج عليهم يبعضون علياً رضي الله عنه ويكفرونه . فتبين لكل ذي معرفة بالسير والاخبار بطلان قول هذا المعارض : ان الناس أذعنوا لأهل الشام ولم يقدرُوا على منازعتهم إلا أهل البيت وشيعتهم

(الوجه الثالث) ان يقال : ان هذا المعارض جعل الفرقة الناجية هم أهل البيت وشيعتهم ، وجعل الدليل على ذلك هو منازعتهم لأهل الشام ، فعلى كلامه ان كل من نازعهم وخرج عليهم هو الناجي . ومن الطائفة التي أشار اليها سيد المرسلين ﷺ ، مع ان أكثر الناس خرجوا عليهم هم الخوارج الذين يكفرون علياً رضي الله عنه ومعاوية وغيرهما من الصحابة ومن والاهما . فانظر وحك الله إلى هذا الجمل والتخبيط الذي لا يصدر ممن له أدنى مسكة من علم وعقل

(الوجه الرابع) انه جعل أهل الشام كلهم قد والوا بني أمية وصاروا معهم المستقدمين منهم كالذين كانوا في زمانهم ، والمستأخرين من أهل الشام بعد

انقراض الدولة الاموية. وهذا معلوم البطلان بالضرورة لان كثيراً من اهل الشام من العلماء وغيرهم ينفضون أئمة الجور من بني أمية ويطلقون أسنتهم بدمهم والطمع عليهم . وقد تقدم كلام الذهبي في مروان وابنه عبد الملك قريباً ولو ذهبنا نذكر كلام علماء الشام من المتقدمين والمتأخرين في ذم بني أمية والطمع عليهم لطلال الكلام جداً . وليس هذا الجواب محل . التطويل والبسط . فمن اراد ذلك فلينظر في كتب القوم حتى يتبين له جهل هذا المعترض وتخبيطه في كلامه بما تمجده الاسماع ، وتنبو منه الطباع ، والله اعلم

فصل

وأما قول المعترض (قولك) ونقر بها ونعلم انها صفات فاما ان تجعل الواو عاطفة في قولك ونعلم او تكون جملة أخرى منفصلة ، فامعنى الاقرار بها هل المراد الاقرار بمتونها او كلماتها او كونها من عند الله جل وعلا ؟ فالمسلمون جميعاً مثلك ، ولا يخالفك أحد من المسلمين ، فما فائدة اخبارك بانك تقر بها ؟ وإن أردت بالواو انها للحال اي تقر بها حال كونها صفات ، فاما إن تريد بها قول الواصف فلا معنى لذلك ، او تريد أنها تضمنت معنى خاصاً الموصوف او انها لفظ دل على ذات باعتبار معنى هو المقصود كما ذكره ابن الحاجب ؟ وهذان التعريفان قد ذكرهما العلماء اصطلاحاً وتعريفاً في محاورتهم . فان ترد انها تدل على معنى زائد على الذات لزمك ما لزم الاشاعرة وهو ان يكون مع الله قدماء وهي المعاني التي لحقت ذاته تعالى بالوصف ، ونحن نبرأ من هذا نحن وأنت ، وإن ترد ان الصفة دلت على معنى لذاته تعالى وتعمض عن كيفيته وتصوره في الذهن باي كيفية ، وهذا هو المفهوم من كلامك فلا تساعدك لغة العرب لان الصفات قوالب لمعاني مفهومة معقولة مبينة للموصوف معينة له فقد جازمت بانها غير مكيفة كما يفهم من كلامك أيضاً مع

تقرير المعارض وجوب تأويل الاستواء على العرش عندهم ١٢٩

مخالفة لغة العرب ولزمتك التجسيم. أما مخالفة لغة العرب فلا يجوز لك ان تخالفها وتفسر كتاب الله جل وعلا بغيرها لمخالفتك لما انزل الله فيه ، وقد قال تعالى (نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تعالى (حم * والكتاب المبين * انا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) إلى غير ذلك من الآيات، فهل يجوز لك ان تقول استوى بلا كيف بعد ان قال مبين وقال (لعلكم تعقلون) ما كأنتك إلا قلت : ما تبين لنا ولا عقلناه، مخاطبنا ربنا بما لا نتبينه ولا نعقله، وليس هو من جنس لغة العرب ولو كان عربياً لتبين لنا وعقلناه ؟ ووجه المخالفة على التحقيق ان كلمات كتاب الله تعالى على مقتضى لغة العرب، مبينة مفهومة ، فلا بد ان تدل الكلمة على معنى حقيقي أو مجازي على مقتضى استعماله، فنقول لك قد صرحت بان قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) دل على الاستواء على العرش كما فهمناه من كلامك وخطابك . ولغة العرب حاكمة بان حقيقة الاستواء على العرش الجالس عليه، وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض تعالى الله عن ذلك . فهذا حقيقته عند العرب فلما ان خشيت لزوم التجسيم في حق الباري ولجأت إلى انتزيعه له تعالى فلم تجد مهرباً وتوحشت من هذا الامر الشنيع لفطرة التعظيم لربك جل وعلا فلم تجد إلى الهرب سبيلاً إلا بالبالغة التي قد تستر بها مشايخك ، فقلت : استوى بلا كيف، واستأنست بذلك الطيف، فلما ظننت انك قد حفظت نفسك من التجسيم قلنا لك: هل تقول العرب استوى أي جلس جلوساً غير مكيف بتعطيف الارجل ولا مستقر ونحو ذلك حيث يريدون حقيقة الاستواء والجلوس ؟ فان كان هذا من روايتك عن العرب وانهم يطلقون على ما أردت ، من عدم الكيف ما ذكرناه لك، وهيات فلان تستطيع له طلباً، وان لم يكن، قلنا لك يا هذا قد خالفت القرآن العربي المبين وفسرته بلسان قومك الذين تستروا بالبلغة ولم يستروا عوراتهم ولم تخرج عن شبهة

التجسيم، إذ قد أثبت لله تعالى الاستواء فوق العرش، وأقررت بذلك الحدث واعتقدته له تعالى وهو يستلزم التجسيم عقلا ولغة، فإن العقل أولا يحكم بالذات وبأن هذا الحدث وهو الاستواء لا يكون إلا من جسم قبل أن تلتفت إلى كيفيته، وكذلك اللغة فإن مفهوم الاستواء الحدث، وقد فسروا الحدث بالاثراومؤثره على خلاف بين اللغويين، وقد حكمت على الله ووصفته بالاستواء وجعلته تعالى محلا له كما هو قاعدة الصفة، ولم تقدر أن تخرجه عن الحدث وتجعله غير الحدث بعد أن أقررت بالاستواء الذي هو غير الحدث كما عرفناك، فلزمك أن يكون الله تعالى محلا للاستواء، والمحل لا يكون إلا جسما - إلى قوله: وقد كان له مندوحة عن هذا وتخلص كما تخلص أهل بيت رسول الله ﷺ من حملها على المجاز، وأخرجها عن الحقائق، التي أوقعته في المضايق، ولم يسمعه بعد ذلك إلا أضغاث أحلام ظن بها أنها أخرجته إلى التنزيه ولم تفده، فلو أخرجها إلى المجاز المأنوس المألوف في لغة العرب المنادي بفصاحة كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ على الوجه الأكمل والتنزيه لله تعالى على الطريق اللائق بجلاله الأعدل، لكان مناسبا لكمال إعجازه والرد إلى محكمه على وجهه أبلغ من الحقيقة، وأسلم من التستر بالبلكفة التي كشفت ضعف كلامه وسخفه)

(فالجواب) ان يقال :الواو عاطفة، والمعنى تقريبها بالسنتنا ونعلم انها صفات لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه، وان رغمت أنوف أهل البدع والضلال. فقول: فما معنى الاقرار بها هل المراد الاقرار بمتونها وكلماتها ؟ فذلك هو مراد المجيب، مع اعتقاد انها صفات لله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين . فهذا معنى قول المجيب: ونعلم انها صفات لله تبارك وتعالى. فالواو الاولى عاطفة، والثانية حالية. أي تقر بها حال كوننا نعلم انها صفات لله كما هو مذهب أهل السنة والجماعة (الوجه الثاني) قوله فالمسلمون جميعا مثلك ولا يخالفك أحد من المسلمين

وجوب الايمان بما جاء عن الله وعن رسوله كما جاء ١٣١

فما فائدة إخبارك بأنك تقر بها؟ فنقول: هذا يدل على جهله فان المؤمن يخبر بإيمانه بالله ورسوله وإقراره بأصول الدين التي هي اشهر وأعظم من هذه المسئلة كالشهادتين وغيرهما من الاصول العظيمة، ولا يقال ان ذلك يعرفه المسلمون كلهم ولهذا شرع الاذان دائماً وتكراره دائماً كل وقت، وشرع للرجل إذا فرغ من الوضوء ان يقول «أشهد ان لا إله الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله» وان يقول إذا صلى «لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله الا الله ولا نعبد الا اياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن» وأمثال ذلك كثير

(الوجه الثالث) قوله فاما ان تريد بها قول الواصف ولفظه، فلامعنى لذلك، او تريد انها تضمنت معنى حاصل الموصوف، او انها لفظ دل على ذات باعتبار معنى هو المقصود كما ذكره ابن الحاجب؟ فراد المجيب انها تدل على معنى حاصل الموصوف على ما اراده الله ورسوله كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله». وذلك انه يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي ﷺ من القرآن والسنة المعلومة جملة وتفصيلا، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ جملة، وذلك هو تحقيق شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله. فمن شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله عز وجل من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه، ووعدته ووعدته، وامره ونهيته، وخبره عما كان وما يكون. فان هذا هو حقيقة الشهادة له بالرسالة. وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام وهو متفق عليه بين الامة. اذا تقرر هذا فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه ﷺ كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه

١٣٢ شبهة المبتدعة على صفات الله بأنها تقتضي تعدد القدماء

(الوجه الرابع) قوله فان ترد انها تدل على صفات زائدة على الذات لزمك ما لزم الاشاعرة ، وهو ان يكون مع الله قدماء وهي المعاني التي لحقت ذاته تعالى بالوصف ، ونحن نبدأ من هذا نحن وانت ، فيقال : أهل السنة والجماعة يقولون ان الله تبارك وتعالى موجود كامل بجميع صفاته ، فإذا قل القائل دعوت الله او عبدت الله ، كان اسم الله متناولا للذات المتضمنة لصفاتها ، ليس اسم الله اسما للذات مجردة عن صفاتها اللازمة لها ، وحقيقة ذلك انه لا يكون نفسه إلا بنفسه ، ولا يكون ذاته إلا بصفاته ، ولا يكون نفسه إلا بما هو داخل في مسمى اسمها ، وهذا حق ولكن قول القائل انه يلزم ان يكون مع الله قدماء تلبيس ، فان ذلك يشعر ان الله قدماء غيره منفصلة عنه . وهذا لا يقوله إلا من هو أكفر الناس وأجهلهم بالله كالفلاسفة ، لان لفظ الغير يراد به ما كان مفارقا له بوجود او زمان او مكان ، ويراد به ما يمكن العلم دونه ، فالصفة لا تسمى غيراً له فعلى المعنى الاول يمتنع ان يكون معه غيره . وأما على المعنى الثاني فلا يمتنع ان يكون وجوده مشروطا بصفات وان يكون مستلزما لصفات لازمة له ، وإثبات المعاني القائمة التي توصف بها الذات لا بد منها لسكل عاقل ، ولا خروج عن ذلك إلا بمجرد وجود الموجودات مطلقاً . وأما من جعل وجود العلم هو وجود القدرة ، ووجود القدرة هو وجود الإرادة ، فطرد هذه المقالة يستلزم ان يكون وجود كل شيء هو عين وجود الخالق تعالى ، وهذا منتهى الاتحاد ، وهو مما يعلم بالحس والعقل والشرع انه في غاية الفساد ، ولا يخلص من هذا إلا بإثبات الصفات ، مع نفي مماثلة المخلوقات ، وهو دين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذلك ان نفاة الصفات من المتفلسفة ونحوهم يقولون ان العاقل والمعقول ، والعاشق والمعشوق ، واللذة واللذيق والملتذذ هو شيء واحد ، وأنه موجود واجب له عناية ، ويفسرون عنايته بعلمه او عقله ، ثم يقولون وعلمه او عقله هو ذاته ، وقد يقولون انه حي عليم قدير مرید متكلم سميع بصير ويقولون ان

١٣٣ تسمية المعتزلة والجهمية نفي الصفات الشبوتية كلها توحيداً

ذلك شيء واحد فارادته عين قدرته ، وقدرته عين علمه ، وعلمه عين ذاته
وذلك لان من أصلهم انه ليس له صفة ثبوتية ، بل صفاته اماسلبية كقولهم
ليس بجسم ولا متحيز ولا جوهر ولا عرض ، واما اضافة كقولهم مبدأ وعلة ،
واما مؤلف منهما كقولهم عاقل ومعقول وعقل ، ويمبرون عن هذه المعاني بمبارات
هائلة كقولهم انه ليس فيه كثرة « كم » ولا كثرة « كيف » وانه ليس له اجزاء
« حد » ولا اجزاء « كم » او انه لا بد من اثبات واحد موحداً توحيداً منزها عن
المقولات العشر عن الكم والكيف والأتين والوضع والاضافة ونحو ذلك
ومضمون هذه العبارات وأمثالها نفي صفاته التي جاء بها الرسول ﷺ
وهم يسمون نفي الصفات توحيداً

وكذلك المعتزلة ومن ضاهاهم من الجهمية يسمون ذلك توحيداً وهم ابتدؤا
هذا التعطيل الذي يسمونه توحيداً ، وجعلوا اسم التوحيد واقعاً على غير ماهو واقع
عليه في دين المسلمين . فان التوحيد الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه هو أن
يعبد الله لا يشرك به شيء كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي
اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون) ومن تمام التوحيد أن يوصف الله تعالى بما وصف
به نفسه وبما وصفه به رسوله ، فيصان ذلك عن التحريف والتعطيل والتكليف
والتمثيل ، كما قال تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له
كفواً أحد) ومن هنا ابتدع من ابتدع لمن اتبعه على نفي الصفات اسم الموحدين ،
وهؤلاء منتهاهم أن يقولوا هو الوجود بشرط الاطلاق ، كما قاله طائفة منهم ، او
بشرط نفي الامور الشبوتية كما قاله ابن سينا وأتباعه . او يقولون هو الوجود المطلق
لا بشرط ، كما يقوله القنوني وأمثاله

ومعلوم بصريح العقل الذي لم يكذب قط ان هذه الاقوال متناقضة باطلة
من وجوه (أحدها) ان جعل عين العلم عين القدرة ، ونفس القدرة هي نفس الارادة ،

ونفس الحياة هي نفس العلم ، ونفس العلم نفس الفعل ، ونفس الحياة هي نفس العلم والابداع . ونحو ذلك معلوم الفساد بالضرورة ، فان هذه حقائق متنوعة ، فان جعلت هذه الحقيقة هي تلك كان بمنزلة من يقول : ان حقيقة السواد حقيقة البياض ، وحقيقة البياض حقيقة الطعم ، وحقيقة الطعم حقيقة اللون . وأمثال ذلك . مما يجعل الحقائق المتنوعة حقيقة واحدة . فمن قال : ان العلم هو العلوم ، والمعلوم هو العلم فضلاله بين فالتمييز بين مسمى المصدر ومسمى اسم الفاعل . واسم المفعول والتفريق بين الصفة والموصوف مستقر في فطر الناس وعقولهم ، وفي لغات جميع الأمم ، ومن جعل أحدهما هو الآخر كان قد أتى بما لا يخفى فساد على من تصور ما يقول . فمن قال ان ذاته تعرف بدون معرفة شيء من أسمائه وصفاته الثبوتية والسلبية فقله معلوم البطالان ، ممتنع وجود ذلك في الاعيان ، ولو قدر إمكان ذلك ، وفرض العباد في نفسه ذاتا مجردة عن جميع القيود السلبية والثبوتية فليس ذلك معرفة بالله ابته ، وليس رب العالمين ذاتا مجردة عن كل أمر سلبي او ثبوتي ، ولهذا كان كثير من الملاحدة لا يصلون إلى هذا الحد بل يقولون كما يقول ابو يعقوب السجستاني وغيره من الملاحدة : نحن لانفي النقيضين ، بل نسكت عن اضافة واحد منهما اليه ، فلا نقول هو موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ، فيقال لهم : اعراض قلوبكم عن العلم به وكف ألسنتكم عن ذكره لا يوجب أن يكون هو في نفسه مجردا عن النقيضين ، بل يفيد كفركم بالله وكرهتكم لمعرفته وذكره وعبادته ، وهذا حقيقة مذهبكم (الوجه الخامس) ان يقال مذهب اهل السنة والجماعة ومن تبعهم باحسان ان كل ما وصف به الرب نفسه من صفاته فهي صفات مختصة به غير مخلوقة بائنة منفصلة عنه ، بل يمتنع أن يكون له فيها مشارك او مماثل ، فان ذاته المقدسة لا تماثل شيئا من الذوات ، وكذلك صفاته المختصة به لا تماثل شيئا من الصفات ، لانه سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فاسمه الاحد دل على نفي المشاركة والمثالة ، واسمه الصمد دل على انه مستحق لصفات الكمال

صفات الكمال الثبوتية والتنزيه في سورة الاخلاص وآية الكرسي ١٣٥

والمقصود هنا ان صفات التنزيه يجمعها هذان المعنيان المذكوران في هذه السورة (أحدهما) نفي النقائص عنه ، وذلك من لوازم إثبات صفات الكمال فمن ثبت له الكمال التام انتفى عنه النقصان المضاد له ، والكمال من مدلول اسمه الصمد (والثاني) انه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة ، وهذا من مدلول اسمه الاحد. فهذان الاسمان العظيمان الاحد الصمد يتضمنان تنزيهه عن كل نقص وعيب ، وتنزيهه في صفات الكمال أن يكون له مماثل في شيء منهما. فالسورة تضمنت كل ما يجب نفيه عن الله ، وتضمنت كل ما يجب إثباته لله من وجهين من جهة اسمه الصمد ، ومن جهة أن ما نفي عنه من الاصول والفروع والنظير استلزم ثبوت صفات الكمال. فان كل ما يمدح به الرب تبارك وتعالى من النبي فلا بد أن يتضمن ثبوتاً ، بل وكذلك كل ما يمدح به شيء من الموجودات من النبي فلا بد أن يتضمن ثبوتاً ، وإلا فالنفي المحض معناه عدم محض ، والعدم المحض ليس بشيء ، فضلاً عن أن يكون صفة كمال ، وهذا كما يذكر سبحانه في آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) فنفي أخذ السنة والنوم له مستلزم لكمال حياته وقيوميته ، فان النوم أخو الموت ، ولهذا كان اهل الجنة لا ينامون ثم قال (له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) فنفي الشفاعة بدون إذنه مستلزم لكمال ملكه ، إذ كل من يشفع اليه شافع بلا إذنه فقبل شفاعته كان منفعلاً عن ذلك الشافع قد اثرت شفاعته فيه فصيرته فاعلاً بعد أن لم يكن ، وكان ذلك الشافع شريك المشفع اليه في ذلك الامر المطلوب بالشفاعة اذا كان بدون اذنه ، لاسيما والمخلوق اذا شفع اليه بغير اذنه فقبل الشفاعة فانما يقبلها لرغبة أو لرهبة ، اما من الشافع وإما من غيره ، وإلا فلو كانت داعيته من تلقاء نفسه تامة مع القدرة لم يحتاج الى شفاعته. والله تعالى منزّه عن ذلك كما قال في الحديث الآلهي « انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نغي فتنفعوني » ولهذا كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالشفاعة اليه اذا أتاه طالب حاجة يقول « اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على

لسان نبيده ماشاء» اخرجاه في الصحيحين. وهو انما يفعل ما أمر الله به، ثم قال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) بين انهم لا يعلمون من علمه الا ما علمهم إياه، كما قالت الملائكة (لا علم لنا إلا ما علمتنا) فكان في هذا النفي اثبات انه عالم وأن عباده لا يعلمون الا ما علمهم إياه، فاثبت أنه الذي يعلمهم لا ينالون العلم الا منه، فانه الذي خلق الانسان من علق، وعلم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم. ثم قال (وسع كرسية السموات والارض ولا يؤده حفظهما) أي لا يثقله ولا يكرهه، وهذا النفي يتضمن كل قدرته فانه مع حفظه السموات والارض لا يثقل ذلك عليه كما يثقل على من في قوته ضعف، وهذا كقوله (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) فخره نفسه عن اللغوب، قال أهل اللغة اللغوب هو الاعياء والتعب، وكذلك قوله (لا تدركه الابصار) والادراك عند السلف والاكثرين هو الاحاطة، وقالت طائفة هو الرؤية، وهو ضعيف لان نفي الرؤية لا مدح فيه، فان العدم لا يرى، وكل وصف لا يشترك فيه الوجود والعدم لا يستلزم أمرا ثبوتيا ولا يكون فيه مدح، اذ هو عدم محض بخلاف ما اذا قيل لا يحاط به، فانه يدل على عظم الرب جل جلاله، وان العباد مع رؤيتهم له لا يحيطون به رؤية، كما انهم مع معرفتهم لا يحيطون به علما، وكما انهم مع مدحهم له وثنائهم عليه لا يحصون ثناء عليه، بل هو كما اثنى على نفسه المقدسة، كما قال أفضل الخلق ﷺ «لأحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك»

(الوجه السادس) ان يقال قد ثبت عن النبي ﷺ انه كان يقول «أعوذ برضائك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك» اخرجاه في الصحيحين. وهذا مما يدل على تباين صفات الله، لانه استعاذ برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته، فدل ذلك على أن الرضا غير السخط والمعافة غير العقوبة، ومن جعل نفس ارادته هي رحمته وهي غضبه يكون معنى قوله ﷺ «أعوذ برضائك من سخطك» عنده انه استعاذ بنفس الارادة منها، وهذا ممتنع، فانه ليس عنده للارادة صفة ثبوتية

يستعاذ بها من احد الوجهين باعتبار ذلك الوجه منها باعتبار الوجه الآخر ، بل الارادة لها عنده مجرد تعلق بالخلق والتعلق أمر عديمي، وهذا بخلاف الاستعانة به منه، لان له صفات متنوعة فيستعاذ به باعتبار ومنه باعتبار. ومن قال إنه ذات لاصفة لها أوجود مطلق لا يتصف بصفة ثبوتية فهذا يمتنع وجوده في الخارج، وإنما يمكن تقدير هذا في الذهن كما تقدر الممتنعات، فضلا عن كونه يكون ربا خالقا له مخلوقات ، وهؤلاء إنما الجأهم الى هذا مضايقات الجهمية والمعتزلة لهم في مسائل الصفات فانهم صاروا يقولون: كلام الله هو الله أو غير الله ؟ فان قلتم هو غيره فما كان غير الله فهو مخلوق، وإن قلتم هو هو فهو مكابرة. وهذا أول ما احتجوا به على الامام احمد رحمه الله في المحنة فان المعتصم لما قال لهم ناظروه قال له عبد الرحمن ابن اسحاق: ما تقول في القرآن، أو قال في كلام الله، أهو الله أو غيره؟ فقال له أحمد: ما تقول في علم الله، أهو الله أو غيره؟ فعارض أحمد بالعلم فسكت. وهذا من حسن معرفة أبي عبد الله رحمه الله بالمناظرة، فان المبتدع بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداء أخذ يعارضك فيه لما قام بنفسه من الشبهة ، فينبغي اذا كان المناظر مدعيا ان الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده فاذا انكسر وطلب الحق أعطيه والا فادام معتقدا نقيض الحق لم يدخل الحق اذن قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل فاحمه أولا ثم اكتب فيه الحق ، فهؤلاء كان قصدهم الاحتجاج لبدعتهم ، فذكر لهم احمد من المعارضة والنقض ما يبطلها

وقد تكلم احمد في رده على الجهمية في جواب هذا وبين أن لفظ الغير مجمل، يراد بالغير ما هو منفصل عن الشيء ، ويراد بالغير ما ليس هو الشيء ، فلهذا لا يطلق القول بأن كلام الله وعلمه ونحو ذلك هو هو، لان هذا باطل ، ولا يطلق انه غيره لئلا يفهم انه بائن عنه، منفصل عنه كما رواه الخلال رحمه الله قال: أخبرني الخضر ابن المشي الكندي قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل رحمه الله قال: هذا ما أخرجه أبي رحمه الله في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأويله غير تأويله . فقال احمد بن حنبل رضي الله عنه :

رد الامام احمد على الزنادقة والجهمية

« الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الاذى ، يحيون بكتاب الله الموثى ، ويصبرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لا يلبس قد أحيوه ، وكم من ضال ثائه قد هدوه ، فما احسن اثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدع ، وأطلقوا مقال الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، يقولون على الله ، وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخذعون جهال الناس بما يشبهون عليهم . فنعوذ بالله من فتن المضلين . وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى لمتشابه من القرآن والحديث فضلوها ، وأضلوها بكلامهم بشراً كثيراً »

« فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله انه كان من أهل خراسان من أهل قومذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله ، فلقني اناساً من المشركين يقال لهم السمنية ، فعرفوا الجهم فقالوا له : نكلمك فان ظهرت حجبتنا عليك دخلت في ديننا وان ظهرت حجبتك علينا دخلنا في دينك ، فكان مما كلبوا به الجهم ان قالوا ألسنت تزعم ان لك إلهاً ؟ قال الجهم نعم ، فقالوا له فهل رأيت إلهك ؟ قال لا . قالوا فهل سمعت كلامه ؟ قال لا . قالوا فشمت له رائحة ؟ قال لا قالوا : فوجدت له حساً ؟ قال : لا . قالوا : فوجدت له مجساً ؟ قال لا ، قالوا : فما يدريك انه إله ؟ قال فتحير الجهم فلم يدر من يعبد اربعين يوماً ،

« ثم انه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى . وذلك ان زنادقة النصارى يزعمون ان الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله . فاذا اراد ان يحدث امراً دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه ، فيأمر بما شاء ، وينهى عما شاء ، وهو روح

غائب عن الابصار. فاستدرك الجهنم حجة مثل هذه الحجة فقال للسمني ألسنت تزعم ان فيك روحاً؟ قال نعم، قال فهل رأيت روحك؟ قال لا، قال فسمعت كلامه؟ قال لا قال فوجدت له حساً او مجسماً؟ قال لا. قال فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الابصار ولا يكون في مكان دون مكان. ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابهة قوله عز وجل (ليس كمثله شيء) (وهو الله في السموات وفي الارض) و (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) « فبنى اصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب باحاديث رسول الله ﷺ وزعم ان من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه او حدث عنه رسوله كان كافراً، وكان من المشبهة، وأضل بكلامه بشراً كثيراً، واتبعه على قوله رجال من اصحاب ابي حنيفة واصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية،

« فاذا سألم الناس عن قول الله (ليس كمثله شيء) يقولون ليس كمثله شيء من الاشياء، وهو تحت الارض السابعة، كما هو على العرش، لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولا يتكلم ولا ينظر اليه احد في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصمة ولا بفعل، ولا له غاية ولا له منتهى، ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله وهو علم كله وهو سمع كله وهو بصر كله وهو نور كله وهو قدرة كله، ولا يوصف بوصفين مختلفين، ولا يس له اعلى ولا اسفل، ولا نواحي ولا جوانب ولا يمين ولا شمال، ولا هو ثقیل ولا خفيف ولا له نور ولا جسم، وليس هو معلول^١ وكل ما خطر على قلبك انه شيء تعرفه فهو على خلافه،

« فقلنا هو شيء فقالوا هو شيء لا كالأشياء، فقلنا ان الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف اهل العقل انه لا شيء. فعند ذلك تبين للناس انهم لا يثبتون شيئاً ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشبهة بما يقرون من العلانية

« فإذا قيل لهم من تعبدون ؟ قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق ، فقلنا هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ؟ قالوا نعم ، قلنا قد عرف المسلمون انكم لا تأتون بشيء وانما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ؟ قالوا لم يتكلم ولا يتكلم لان الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح عن الله منفية . فإذا سمع الجاهل قولهم ظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ، ولا يعلم أنهم انما يعود قولهم إلى ضلال وكفر . فيما يستل عنه الجهمي يقال له تجد في كتاب الله انه يخبر عن القرآن انه مخلوق ؟ فلا يجد ، فيقال : فتجد في سنة رسول الله انه قال إن القرآن مخلوق ؟ فلا يجد ، فيقال له فن أين قلت ؟ فيقول من قول الله (انا جعلناه قرآناً عربياً) وزعم أن جعل مخلوق مجهول هو مخلوق ^(١) فادعى كلمة من الكلام المتشابهة يحتاج بها من أراد ان يلحد في تنزيلها ، وكما يبتغي الفتنة في تأويلها وذلك ان جعل في القرآن من المخلوقين على وجهين « على معنى تسمية وعلى معنى فعل من أفعالهم » فقلوه (الذين جعلوا القرآن عضين) قالوا هو شعر وأساطير الاولين وأضغاث أحلام فهذا على معنى تسمية ، وقال (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً) يعني انهم سموهم اناثاً . ثم ذكر جعل على غير معنى تسمية فقال (يجعلون أصابعهم في آذانهم) فهذا على معنى فعل من أفعالهم ، وقال (حتى اذا جعله ناراً) هذا على معنى مل فهذا على جعل المخلوقين ، ثم جعل من أمر الله على معنى خلق لا يكون إلا خلق ، ولا يقوم إلا مقام خلق لا يزول عنه المعنى . واذا قال الله : جعل على غير معنى خلق لا يكون خلق ، ولا يقوم مقام خلق ، ولا يزول عنه المعنى ، فيما قال الله جعل على معنى خلق قوله (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) يعني وخلق الظلمات والنور . وقال (وجعل لكم السمع والابصار)

الشواهد من القرآن على استعمال الجمل بغير معنى الخلق ١٤١

يقول: وخلق لكم ، وقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) يقول وخلقنا الليل والنهار آيتين ، وقال (وجعل الشمس سراجا) وقال (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها) يقول وخلق منها زوجها ، يقول خلق من آدم وقال (وجعل لها رواسي) يقول وخلق لها رواسي ، ومثله في القرآن كثير ، فهذا وما كان على مثاله لا يكون إلا على معنى خلق

» ثم ذكر جعل على معنى غير خلق قوله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة) لا يعني ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة ، وقال الله لإبراهيم (اني جاعلك للناس اماما) لا يعني اني خالقك للناس اماما ، لان خلق إبراهيم كان متقدما^(١) قال إبراهيم (رب اجعل هذا البلد آمنا) وقال إبراهيم (رب اجعلني مقيم الصلاة) لا يعني اخلاقي مقيم الصلاة وقال (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة) وقال لام موسى (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) لا يعني وخالقوه من المرسلين ، لان الله وعد أم موسى ان يرده اليها ثم يجعله من بعده رسولا ، وقال (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعا فيجعلهم في جهنم) وقال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة) لا يعني ونخلقهم أئمة ، وقال (فلما تجلى ربه لاجبل جعله دكا) ومثله في القرآن كثير ،

» فهذا وما كان على مثاله لا يكون على معنى خلق ، فاذا قال الله « جعل » على معنى خلق وقال « جعل » على غير معنى خلق فبأي حجة قال الجهمي جعل على معنى خلق ؟ فان رد الجهمي الجمل إلى المعنى الذي وصفه الله فيه ، وإن كان لا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . فلما قال الله (انا جعلناه قرآنا عربيا) يقول جعله عربيا جعله جملا على معنى فعل من أفعال على غير معنى خلق ، وقال في سورة الزخرف (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقال (لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال (فانما يسرناه بلسانك)

(١) أي متقدما على امامته

١٤٢ الجواب عن مغالطة الجهمي في قوله القرآن هو الله أم غير الله ؟

فلما جعل الله القرآن عربياً ويسره باسان نبيه ﷺ كان ذلك فعلاً من أفعال الله تبارك وتعالى جعل القرآن به عربياً بيناً يعني هذا بيان، لمن أراد الله هداة «ثم ان الجهمي ادعى أمراً آخر وهو من المحال فقال أخبرونا عن القرآن هو الله او غير الله ؟ فادعى في القرآن أمراً فوهم للناس. فاذا سئل الجاهل عن القرآن هو الله او غير الله ؟ فادعى في القرآن (١) يقول أحد القولين فان قال هو الله قال له الجهمي كفرت ، وإن قال هو غير الله ، قال صدقت فلم لا يكون غير الله مخلوقاً ؟ فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي وهذه المسئلة من الجهمي هي من المغاليط

«(الجواب) للجهمي إذا سأل فقال، أخبرونا عن القرآن: هو الله، او غير الله؟ قيل له ان الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن إن القرآن أنا، ولم يقل هو غيري، وقال هو كلامي ، فسميناه باسم سماء الله به، فقلنا كلام الله ، فمن سمي القرآن باسم سماء الله به كان من المهتدين ، ومن سماه باسم غيره كان من الضالين ، وقد فصل الله بين قوله وبين خاقه ، ولم يسمه قولاً ، فقال (الاله الخلق والامر) فلما قال (ألا اله الخلق) لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلًا في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق فقال (والامر) فامر هو قوله (تبارك الله رب العالمين) أن يكون قوله خلقاً «وقال (إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم) ثم قال للقرآن (هو أمر من عندنا) وقال (له الامر من قبل ومن بعد) يقول لله القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق ، فالله يخلق ويأمر ، وقوله غير خلقه. وقال (ذلك أمر الله أنزله اليكم - وقال - حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) ثم قال احمد رحمه الله :

(١) الظاهر ان العبارة هكذا : فلا بد أن يقول احد القولين اه من الأصل

البحث في كون الصفة ليست عين الموصوف ولا غيره ١٤٣

﴿ باب بيان ما فصل الله به بين قوله وبين خلقه ﴾

وذلك ان الله جل ثناؤه إذا سعى الشيء الواحد باسمين او ثلاثة أسامي فهو مرسل غير مفصل، وإذا سعى شيئين مختلفين لم يدعهما مرسل حتى يفصل بينهما. من ذلك قوله (يا ايها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسامي وهو مرسل، ولم يقل ان له أبا وشيخا وكبيرا. وقال (عسى ربه إن طلقن أن يبدله أزواجا خيرا ممن كن مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات - ثم قل - وأبكارا) فلما كانت البكر غير الثيب لم يدعه مرسل حتى فصل بينهما، وذلك قوله (وأبكارا) وقال (وما يستوي الاعمى - ثم قال - والبصير) فلما كان البصير غير الاعمى فصل بينهما ثم قل (ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور) فلما كان كل واحد من هذا غير الشيء الآخر فصل بينهما، ثم (الملك القدوس السلام المؤمن، المهيمن العزيز الجبار المتكبر - الخالق الباري المصور) كله شيء واحد فهذا مرسل ليس بمفصل

فكذلك إذا قال الله (الا له الخلق والامر) لان الخلق غير الامر، فهو مفصل، انتهى ما ذكره احمد رحمه الله

وهذا الذي ذكره احمد رحمه الله هو الذي عليه الخذاق من أئمة السنة، وهو قول ابن كلاب وغيره، فهو لا يطلقون القول بأن صفات الله هي الله، ولا انها غيره، وذلك لان هذا إثبات قسم ثالث وهو خطأ، ففرق بين اطلاق اللفظين لما في ذلك من الاجماع، وبين نفي مسمى اللفظين مطلقا وإثبات معنى ثالث خارج من مسمى اللفظين. فجاء بعد هؤلاء ابو الحسن الاشعري وكان أحق ممن بعده فقال بنفي مفرد لا مجوعا فيقول مفردا: ليست الصفة هي الموصوف؟ ويقول مفردا ليست غيره؟ ولا يجمع بينهما فلا يقال لاهي هو ولا هي غيره لان الجمع بين النفي فيه من الايهام ما ليس في التفريق، وجاء بعده

١٤٤ التحقيق في مسألة صفات الله هل هي غير ذاته أو عنها

أقوام فقالوا بل ينفي مجموعاً ، فيقال لا هي هو ، ولا هي غيره ، ثم كثير من هؤلاء ذا بحثوا يقولون : هذا المعنى إما أن يكون هذا وإما أن يكون غيره فیتناقضون . وسبب ذلك ان لفظ الغير مجمل يراد بالغير المبين المنفصل ، ويراد به ما ليس هو غير الشيء ، وقد يعبر عن الاول بان الغيرين ماجوز وجود أحدهما وعدمه ، او ماجاز مفارقة أحدهما للآخر بزمان او مكان او وجوداً ، ويعبر عن الثاني بانه ماجاز العلم باحدهما مع عدم العلم بالآخر . فبين هذا وهذا فرق ظاهر . فصفات الرب اللازمة لا تفارقه ألينة فلا يكون غيراً بالمعنى الاول ، ويجوز أن يعلم بعض الصفات دون بعض ، ويعلم الذات دون الصفة فيكون غيراً باعتبار الثاني . ولهذا أطلق كثير من مثبتة الصفات عليها انها أغيار للذات وقالوا انها غير الذات ولا يقولون انها غير الله ، فان لفظ الذات لا يتضمن الصفات بخلاف اسم الله فانه يتناول الصفات ، ولهذا كان الصواب على قول اهل السنة هو أن لا يقال في الصفات انها زائدة على اسم الله بل من قال ذلك فقد غلط عليهم ، وإذا قبل هي زائدة على الذات ام لا ؟ كان الجواب ان الذات الموجودة في نفس الامر مستلزمة للصفات فلا يمكن وجود الذات مجردة عن الصفات بل ولا يوجد شيء من الذوات مجرداً عن جميع الصفات ، بل لفظ الذات تأنيث ذو . ولفظ ذو مستلزم للاضافة ، وهذا اللفظ مولد واصله أن يقال ذات علم وذات قدرة ، وذات سمع ، كما قال الله تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) ويقال فلانة ذات مال وجمال

تم لما علموا ان نفس الرب ذات علم وقدرة ، وسمع وبصر ، عرفوا لفظ الذات رداً على من نفي صفاتها ، وصار التعريف يقوم مقام الاضافة بحيث إذا قيل لفظ الذات فهو ذات كذا . فالذات لا يكون إلا ذات علم وقدرة ، ونحوه من الصفات لفظاً ومعنى . وانما يريد محققو أهل السنة بقولهم : الصفات زائدة على الذات انها زائدة على ما أثبتت نفاذ الصفات من الذات ، فلهم أثبتوا ذاتا مجردة

اصح الاقسام الستة في الصفات اجراؤها على ظاهرها مع التنزيه ١٤٥

لا صفات لها ، فأثبت أهل السنة الصفات زائدة على ما أثبتته هؤلاء ، فهي زيادة في العلم والاعتقاد والخبر ، لا زيادة على نفس الله جل جلاله ، بل نفسه المقدسة متصفة بهذه الصفات ، لا يمكن أن تفارقها ، ولا توجد الصفات بدون الصفات ، ولا الذات بدون الصفات

والمقصود هنا بيان بطلان كلام هذا المعترض وقوله : ان من أثبت الصفات لله تبارك تعالى لزمه ان يكون مع الله قدما ، فظهر بما ذكرنا عن أهل السنة والجماعة ان كلامه هذا تلبيس وجهل وضلال ، وان مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات الثابتة في القرآن والسنة هو الصواب الموافق لصريح العقول ، كما انه هو الوارد في صحيح المنقول

(الوجه السابع) أن يقال الاقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة اقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة : قسمان يقولان تجري على ظواهرها ، وقسمان يقولان هي على خلاف ظواهرها ، وقسمان يسكتان . أما الاولون فقسمان (احدهما) من يجربها على ظواهرها ويجعل ظواهرها من جنس صفات المخلوقين ف هؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل بالكتاب والسنة ، ولهذا انكره السلف عليهم واليه توجه الرد بالحق (والثاني) من يجربها على ظواهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري اسم الله العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظواهرها اللائق بجلال الله تعالى ، فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين إما جوهر محدث وإما عرض قائم ، فالعلم والقدرة والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض . والوجه واليدان والعين في حق المخلوق اجسام . فاذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشية وان لم تكن أعراضا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ، فلم لا يجوز ان

١٤٦ لوازم الصفات التي يدعيها المبتدعة انما تلزم على مذهبيهم دون مذهب السلف

يكون وجه الله ويداه ليست اجساما لا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ؟ وهذا هو المذهب الذي حكيناه عن اهل السنة . وهو الذي نعتقه وندين الله به وهو الذي يدل عليه كلام علماء السنة ، وهذا امر واضح ولله الحمد والمنة ، ولا يلزم عليه شيء من اللوازم الباطلة ، وذلك لانه حق ولازم الحق حق فان الصفات كالذات . فكما ان ذاته ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس ذوات المخلوقات ، فكذلك صفاته ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس صفات المخلوقات ، فمن قال : لا اعقل علما ويداً واستواء إلا من جنس العلم واليد والاستواء المعبود ، قيل له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ؟

(الوجه الثامن) ان يقال : صفات كل موصوف تناسب ذاته ، وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثل شيء الا ما يناسب المخلوقين فقد ضل في عقله ودينه ، وخالف لغة العرب وما فطر الله عليه عباده فتبين بما ذكرنا ان هذه اللوازم التي ذكرها هذا المعارض لا تلزم على قولنا الذي حكيناه عن اهل السنة والجماعة

(الوجه التاسع) ان يقال : اللوازم الشنيعة الفظيعة المخالفة لصحيح المعتقد وصريح المنقول ، انما تلزم على قول هذا المعارض وسلفه المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والقدرية ، ومن نحا منحوم من الشيعة والزيدية . وبيان ذلك انه اذا كان الكتاب والسنة مملوءان مما ظاهره عندهم تشبيه وتجسيم وتكييف كيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ﷺ ثم على الصحابة انهم يتكلمون دائما بما هو نص او ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يوحون به ، ولا يدلون عليه حتى يجيء انباط الفرس والروم والفلاسفة فيثبتون للامة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف او كل فاضل اعتقادها ؟ لئن كان الحق فيما يقوله هؤلاء المتكلمون لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة اعدى لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل

مقتضى مذهب المعتزلة والشيعية أن القرآن والحديث لا يهديا الى معرفته تعالى ١٤٧

كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين ، فان حقيقة الامر على ما يقوله هؤلاء : انكم معاشر العباد لا تطلبوا معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً لامن الكتاب ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الامة ، ولكن انظروا انتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به ، سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة او لم يكن ولم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به ، واليه عند التنازع فارجعوا فانه الحق الذي تعبدتم به . وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا فاجتهدوا في تخرجه على شواذ اللغة ، ووحشي الالفاظ ، وغرائب الكلام ، او اسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالة على شيء من الصفات . هذا حقيقة الامر على رأي هؤلاء وهو لازم لهم لزوماً لا محيد عنه . ومضمونه ان كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول ﷺ معزول عن التعليم والاختبار بصفات من أرسله ، وما أشبه حال هؤلاء بالذين قال الله فيهم (ألم تر إلى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً *) واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً — إلى قوله — إن أردنا إلا احساناً وتوفيقاً) فان الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول هو إلى سنته بعد وفاته ، فان هؤلاء اذا دعوا إلى ذلك أعرضوا ورأيتهم يصدون عنه صدوداً ويقولون : يلزم منه كذا . وما قصدنا إلا احساناً وتوفيقاً بين هذه الطريقة التي سلكنها وبين الدلائل النقلية .

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل انما قلدوا فيها طاغوتاً من طواغيت المشركين والصابئين او بعض ورثته الذين أمروا ان يكفروا به ، وقد قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في

١٤٨ لو كانت أسماء الصفات مجازات لجاز نفيها ككل مجاز

نفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — إلى قوله — والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)
(الوجه العاشر) قوله : أما مخالفة لغة العرب فلا يجوز لك أن تخالفها وتفسر كتاب الله جل وعلا بغيرها، لتخالفك لما أنزل الله فيه فقد قال تعالى (نزل به الروح الأمين) الآية، وقال (قرآنا عربياً)

فهذا الكلام حق أريد به باطل كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله للخوارج — لما قالوا له — أشركت لأنك حكمت الرجال في دين الله ، وقد قال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) قال « كلمة حق أريد بها باطل » وهذا من أعظم حجج المشبهة القائلين بأننا لا نعقل من هذه الصفات إلا مثل صفاتنا لأنه نزل بلغة العرب ، فهم أسعد منك بهذه الحجة لأن اللفظ يحمل على ظاهره عند العرب كما تزعم وأما السلف وأهل السنة والجماعة فلا تازمهم هذه الحجة لأنهم يقولون إنها على ظاهرها في حقه تبارك وتعالى لكنها كما يليق بجلاله وعظمته لأن الصفات تابعة المذات، كما تقدم تقريره قريباً

(الوجه الحادي عشر) قوله : هل يجوز لك أن تقول استوى بلا كيف بعد أن قال (مبين) وقال (لعلكم تعقلون) ، ما كأنتك إلا قلت ماتبين لنا ولا عقلناه فخطبنا ربنا بما لا نتمينه ولا نعقله وليس هو من جنس لغة العرب ، ولو كان عربياً لتبين لنا وعقلناه — إلى آخر كلامه

فيقال : هذا مما يدل على جهلك وعدم معرفتك بالحجج التي تحتج بها، وذلك لأن المشبهة يردون عليك بكلامك هذا : نحن لا نعقل من لغة العرب إلا ما قلناه ، والعرب يحملون الكلام على حقيقته ، فما المانع من حمل هذه النصوص على ظواهرها في حقنا ، والمجاز إنما يصار إليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا ؟ وأيضاً

إذا سألك المبتدع عن كيفية استوائه فسله عن كيفية ذاته ١٤٩

يقولون: من قاعدة المجاز جواز نفيه، ولا يجوز لأحد أن ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل فيقول ليس بسميع، ليس بصي، ليس ببصير، ليس بقادر، ليس بمتكلم، ليس بمستوى على العرش، فكيف تقولون اتهام المجاز ومن قاعدة العرب أنهم يجوزون نفي المجاز؟ فإذا قالوا للشجاع: هذا أسد إذا أرادوا وتشبيهه بالأسد في الشجاعة جوزوا أن ينفي ذلك عنه ويقال ليس بأسد، بل هذا إنسان ناطق متكلم عاقل، وكذلك إذا قالوا للبلبد حمار تشبها له بالخمار في الجمالة جوزوا أن ينفي ذلك عنه فيقال ليس بهذا بحمار، وإنما هو شبه له بالجهل، واشباه ذلك كثير في كلامهم وأما إذا قال أهل السنة: إن الله أخبرنا أنه استوى على العرش ولم يخبرنا بكيفية ذلك فقائنا بما قال الله، وسكتنا عما سكت الله عنه، وحملنا الاستواء على حقيقة في حق البارئ تعالى، فإذا قيل لنا: كيف استوى؟ قلنا لم يخبرنا الله بذلك، فهذا معنى قولنا بلا كيف، فإين في هذا ما يخالف لغة العرب

وما أحسن ما قال بهض أهل السنة إذا قال لك الجهمي كيف استوى، أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا، أو كيف يداه أو نحو ذلك، فقل له كيف هو في نفسه؟ فإذا قال لا أعلم ما هو إلا هو؟ وذات البارئ غير معلومة للبشر، فقل له فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن أن يعلم كفيته وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لذلك الموصوف، بل هذه المحلوقات في الجنة قد ثبتت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الاسماء» وقد أخبر الله تعالى (أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية وقال ﷺ «يقول الله أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك، فما الظن بالخلق سبحانه وتعالى؟ أفلا يعتبر العاقل بهذا عن الكلام في كيفية الله تعالى؟ وقد قال تعالى (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

١٥٠ ما زعمه المعترض من مذهب آل البيت في الصفات

وبما ذكرنا يتبين للمنصف اللبيب أن أهل السنة والجماعة هم أسعد الناس بفهم كتاب الله وتعقله وتفهمه وتدبره ، وقد هداهم الله لما اختلف فيه من الحق والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(الوجه الثاني عشر) قوله (قد صرحت بأن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) دل على الاستواء على العرش كما فهمناه من كلامك وخطابك: ولغة العرب حكمة بأن حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها الى بعض تعالى الله عن ذلك فهذا حقيقة عند العرب)

فيقال هذا كذب ظاهر على اللغة العربية ، وليس هذا حقيقة عند العرب في حق الباري تعالى ، واذا كان علماء العربية قد بينوا ان الاستواء في حق المخلوق يطلق على معاني كثيرة كالاستيلاء والاستقرار وغير ذلك فكيف يقول هذا الجاهل: ان لغة العرب حكمة بان حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين ورجوع بعضها على بعض ، تعالى الله عن ذلك ، فهذا حقيقة عند العرب. ولكن هذا المعترض وشيعته اظلمة قلوبهم وزيفوا عن الحق لا يفهمون من صفات الله الا ما يفهمونه من صفات المخلوقين ، ولذلك زعموا أن ظاهر هذه النصوص الواردة في القرآن والسنة تشبيه وتجسيم وتكييف وكلامنا في هذا الوجه وما قبله من الوجوه شاف كاف في نقض كلامه وبيان بطلانه لمن أراد الله هدايته والله أعلم

فصل

وأما قوله (فان قلت قد ابنت خطأ المجيب وتخيلطه وذكرت في كلامك أن المرجع عند الشبه الى قرناء كتاب الله تعالى أهل بيت رسول الله ﷺ فما تحقيق مذهبهم في الصفات ؟ وما أثبت الله تعالى لنفسه في صريح الآيات من اليد والاستواء وغيرهما حتى تطمئن القلوب اليه ، ويكون المعول في الاعتماد عليه) ثم نقل عن

مصنفوا التفسير المأثور من المحدثين كلهم من أهل السنة ١٥١

محمد بن عز الدين المفي في كتاب (البدر الساري شرح : واسطة الدراري ، في توحيد الباري) من نحو قادر وعالم وموجود وقديم وحي ، الى آخر كلامه ، وكذلك ما ذكره عن عقد النظام وغيره . ثم قال : ولواتسع المقام لذكرنا أقوال علماء الآل عليهم السلام قولاً قولاً ، والوجه على ما ذهبوا اليه هو أنهم اطلعوا على حقيقة ما هو قريبهم كتاب الله تعالى الذين هم تراجمته وفهموه بفهم جدتهم عليها السلام حيث قال « فهمهم فهمي »

(فالجواب) أن يقال (اولاً) نطالبك بصحة هذا عن زين العابدين رضي الله عنه ، ويقال (ثانياً) من رواه من الأئمة المعروفين بالعلم ومعرفة الحديث كالامام أحمد ومالك بن أنس والشافعي والزهري والحسن بن أبي الحسن البصري وسعيد بن المسيب وقتادة وأمثال هؤلاء الذين اشتهر عند الأمة أنهم أهل صدق فيما نقلوه عن أهل البيت وغيرهم . وبجورد نقل من ذكرت عنه لا يوجب صحة النقل عنه بذلك ، وهؤلاء الذين ذكرت أنهم نقلوا ذلك عنه لا يعرفون عند أهل العلم بصدق ولا امانة ولا ديانة ، كما يعرف أئمة أهل البيت مثل زين العابدين وابنه زيد بن علي وأشباههم رضي الله عنهم

ويقال (ثالثاً) قد نقل عن أهل البيت ما يخالف ما نقلته عن ذكرت ، فمن ذلك ما نقل البغوي في تفسيره المشهور قال فيه قال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين من السلف « استوى الى السماء ارتفع الى السماء » وكذلك قال الخليل ابن احمد ، وهو من أئمة اللغة المشهورين

وروى البيهقي باسناده قال الفراء « استوى الى السماء أي صعد » قاله ابن عباس والتفسير المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري ، وتفسير عبد الرحمن بن ابراهيم المعروف بدحيم ، وتفسير عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي ، وتفسير ابن المنذر ، وتفسير أبي بكر عبد العزيز وتفسير أبي الشيخ

١٥٢ مذهب السلف والخلف في الصفات وجهل المعترض ذلك

الاصهباني، وتفسير أبي بكر بن مردويه ، وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير الامام احمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم وبقي بن مخلد ، ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد وتفسير سنيد وتفسير عبد الرزاق وو كيع بن الجراح فيها من هذا الباب الموافق لقول أهل السنة والجماعة ما لا يحصى ، فمن أراد ذلك فليطالع في تلك الكتب . وهؤلاء الاثمة هم الذين يعرفون مذهب اهل البيت ، ويميزون بين صحيح القول من ذلك والمكذوب منه وهم المتبعون لأهل البيت حقاً ، وبهذا تبين بطلان قول المعترض

فصل

وأما قوله في الكلام على الاستواء (وقوله قال الامام الاعظم القاسم بن محمد في كتابه الاساس: جمهور أئمتنا ان العرش عبارة عن عز الله وملاكه الى آخره) قال في شرحه: اعلم ان تأويل الاستواء على العرش متفق عليه الا عند مثل ابن عربي والمجسمة . ثم ذكر الحامل له على التأويل

(فالجواب) أن يقال هذا يدل على جهل المعترض وانه لا يعرف المذاهب في هذه المسئلة وجهل من نقل عنه ذلك ، فان مذهب اهل السنة في هذه المسئلة من التابعين وأتباعهم والاثمة الاربعة وأصحابهم أمر مشهور معلوم عند من له أدنى معرفة بمذاهب الناس ، حتى المأولة من المعتزلة والاشعرية وغيرهم يقررون بذلك إذا ذكروا آيات الصفات وأحاديثها في تفاسيرهم وعقائدهم يقولون: فيها مذهبان مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت مع اعتقاد انها صفات لله لا تشبه صفات المخلوقين وقالوا ذلك أسلم ، (والثاني) مذهب الخلف وهو تأويلها وصرفها عن ظاهرها كتأويل الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالقدرة والنعمة وأشياء ذلك وقد نقل مذهب السلف في هذه المسئلة كما ذكرنا غير واحد من الاثمة كحرب الكرماني صاحب الامام

أقوال مصنفى السلف في مذهب أهل السنة ١٥٣

أحمد في مسائله ، والامام البخاري صاحب الصحيح في كتاب خاتم أفعال العباد ،
والخلال في كتاب السنة ، وأبي عثمان اسماعيل الصابوني وعثمان بن سعيد الدارمي
الذي هو من أقران البخاري ومسلم وذكروا مذهب التاويل عن جهم بن صفوان وبشر
المريسي وأشباهم ممن هو معروف بالبدعة والضلالة ، وهذا نص كلامهم بحروفه :

﴿ نقول مصنفى السلف في مذهب أهل السنة في صفات الله تعالى ﴾

قال ابو محمد حرب الكرمانى في مسائله المعروفة التي نقلها عن الامام احمد وإسحاق
وغيرهما وذكر من الآثار عن النبي ﷺ وأصحابه وغيرهم ما ذكر وهو كتاب كبير
صنفه على طريقة الموطأ ونحوه من المصنفات. قال في آخره في الباب الجامع

قول الامام الكرمانى في مذهب السلف

(باب القول في المذهب) هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر وأهل
السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الشام
والعراق والحجاز وغيرهم عليها ، فن خالف شيئا منها او طعن فيها او عاب قائلها .
فهو مبتدع خارج من الجماعة ، وزائل عن منهج السنة وسبيل الحق . وهو مذهب
احمد وإسحاق بن ابراهيم وبقي ابن مخلد ، وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد
ابن منصور وغيرهم من جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وذكر الايمان في القدر والوعيد
والوعيد والامامة ، وما أخبر به الرسول ﷺ من اشراط الساعة وغير ذلك إلى أن قال
« وهو سبحانه بأئن عن خاتمه لا يخلو من علمه مكان ، والله عرش ، والعرش
حملة يحملونه ، وله حد والله أعلم بحده ، والله على عرشه عز ذكره وتعالى جده ،
ولا إله غيره ، والله سبحانه سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد
لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، رقيب لا يفتل ، يتكلم ويتحرك ^(١) ويسمع

(١) يعني بالتحرك ما ورد في بحيته وانيانه وهو في القرآن ومن نزوله الى سماء
الدنيا في الحديث ولكن لفظ التحرك لا نعرفه في الكتاب السنة ولا آثار الصحابة

ويبصر وينظر، ويقبض ويبسط ويعرج، ويحب ويكره ويبغض ويرضى، ويسخط ويغضب، ويرحم ويعفو ويعفر، ويعطي ويمنع، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) - إلى أن قال - ولم يزل الله متكلماً عالماً، فتبارك الله أحسن الخالقين »

قول الامام الاثرم في مذهب السلف

وقال الفقيه الحافظ ابو بكر الاثرم صاحب الامام احمد في كتاب السنة، وقد نقله عنه الخلال في السنة: حدثنا ابراهيم بن الحارث - يعني العبادي - حدثني الميثاق بن يحيى، سمعت ابراهيم بن الاشعث، قال ابو بكر صاحب الفضيل: سمعت الفضيل بن عياض يقول « ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف، لان الله وصف نفسه فأبلغ فقال (قل هو الله أحد) الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه، وكل هذا النزول وهذه المباشرة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل، وكما شاء أن يباهي، وكما شاء أن يطلع، وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف، وإذا قال لك الجهمي أنا كافر برب يتحرك او يزول عن مكانه. فقل أنا مؤمن برب يفعل ما يشاء »

وقد ذكر هذا الكلام الاخير عن الفضيل بن عياض رحمه الله البخاري رحمه الله في كتاب خلق أفعال العباد، هو وغيره من أئمة أهل السنة وتلقوه بالتقبول . قال البخاري: وحدث يزيد بن هارون عن الجهمية فقال: « من زعم ان (الرحمن على العرش استوى) على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي »

قول اسحق بن ابراهيم في كتاب السنة

وقال اسحاق بن ابراهيم في كتاب السنة أخبرني عبيد الله بن حنبل أخبرني ابي حنبل بن اسحاق قال: قال عمي احمد بن حنبل « نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف او يحده أحد، فصفات الله له ومنه، وهو

أشهر كتب أئمة السنة في الرد على الجهمية وامثالهم ١٥٥

كما وصف نفسه لا تدركه الابصار بحد ولا غاية ، وهو يدرك الابصار ، وهو عالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب ، ولا يدركه وصف واصف وهو كما وصف نفسه وائس من الله شيء محدود ، ولا يبلغ علم قدرته أحد. غاب الاشياء كلها بقدرته وسلطانه (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) وكان الله قبل أن يكون شيء . والله هو الاول والاخر لا يباغ أحد حد صفاته »

قال وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلا حدثهم قال سألت أبا عبد الله عن الاحاديث التي تروى « ان الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا » « وان الله يرى » « وان الله يضع قدمه » وما أشبه هذه الاحاديث فقال ابو عبد الله « نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى » أي لا نكيفها ولا نحرفها بالتأويل فنقول معناها كذا ، ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، إذا كان باسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

وقال حنبل في موضع آخر عن احمد قال « ليس كمثل شيء » في ذاته كما وصف به نفسه ، وقد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء ، فصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف نفسه ، قال فهو سميع بصير بلا حد ، ونؤمن بالقرآن كله محكم ومتشابه ، ولا نزيل عنه صفات من صفاته لشناعة شنعت ، لا نتعدى القرآن والحديث ، والخبر « يضحك الله » ولا يعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ . لا يصفه الواصفون ، ولا يحده أحد . تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة »

قلت والمشبهة ما يقولون ؟ قال « من قال بصر كبصري ، ويد كيدي وقدم كقدمي ، فقد شبه الله بخلقه ، وهذا يحده ، وهذا كلام سوء وهذا محدود ، والكلام في هذا لا أحبه » انتهى

١٥٦ مايقول ويقال لشبتي الصفات كما وردت ولنفاثها ومؤولياها يوم القيامة

والكتب الموجودة فيها ألفاظهم الثابتة بأسانيدها عنهم وغير أسانيدها كثير مثل كتاب الرد على الجهمية لابن أبي حاتم والرد عليهم لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري والرد عليهم للحكم بن معبد الخزاعي وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل والسنة لحنبل ابن عم الامام أحمد والسنة لابي داود السجستاني ، والسنة للآثرم ، والسنة لابي بكر الخلال والرد على الجهمية للدارمي ونقضه على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد ، وكتاب التوحيد لابن خزيمة والسنة للطبراني ولابي الشيخ الاصبهاني ، وشرح السنة للالكائي والابانة لابن بطة وكتب ابن منده والسنة لابي ذر الهروي ، والاسماء والصفات للبيهقي ، والاصول لابي عمر الطلمنكي ، وكتاب الفاروق لابي اسماعيل الانصاري ، والحجة لابي القاسم التيمي وغير ذلك من الكتب التي يذكر مصنفوها مذاهب السلف بالنقول الثابتة بألفاظهم الكثيرة المتواترة في اثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه تبارك وتعالى فكيف يقول هذا الجاهل ان تأويل الاستواء متفق عليه إلا عند ابن عربي والجسمة؟ اللهم إلا ان يريد بالجسمة أهل السنة والحديث كالصحابة والتابعين والائمة الاربعة واتباعهم من أهل الحديث وغيرهم كما يلقبهم بذلك الجهمية والمتمزلة فانهم يسمون كل من أثبت صفات الله مجسما .

وأما ابن عربي وأمثاله من أهل وحدة الوجود فهم من غلاة الجهمية ، وانما حملهم على ذلك المبالغة في انكار الصفات ، وذلك ان اسهمية لما أنكروا ان يكون الله تكلم بقرآن ، قالوا ان الله خلقه وأحدثه في بعض الاجسام ، فنسبة ذلك إلى الله مجاز ، فلزم ان يكون كلام جميع الخلق كلام الله لانه خلق ذلك فيهم ولهذا قال ابن عربي :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ومعلوم ان من خالف ما جاءت به الرسل عن الله بمجرد عقله فهو أولى بالكفر والجهل والتشبيه والتجسيم ممن لم يخالف ما جاءت به الرسل ، وانما خالف

ماعلم بالعقل إن كان ذلك حتمًا كما قال بعض نفاة الصفات لما تأمل أحوال أصحابه وحال مثبتيها قال لا ريب ان حال هؤلاء عند الله خير من حالنا فانهم إن كانوا مصيبين نالوا الدرجات العالية والرضوان الاكبر ، وإن كانوا مخطئين ، فلتهم يقولون: يارب نحن صدقنا ما دل عليه كتابك وسنة رسولك إذ لم يتبين لنا بالكتاب والسنة نفي الصفات كما دل كلامك على اثباتها. فنحن أثبتنا ما دل عليه كلامك وكلام رسولك محمد ﷺ فان كان الحق بخلاف ذلك فلم يبين لنا الرسول ﷺ ما يخالف ذلك، ولم يكن خلاف ذلك مما يعلم ببداية العقول ، بل ان قدر انه حق فانما يعلمه الافراد فكيف والمخالفون في ذلك يقرون بالحيرة والارتباب . قال النافي فان كنا نحن المصيبين فانه يقال لنا أنتم قلتم شيئًا لم آمركم بقوله ، وطلبتهم علما لم آمركم بطالبه فالثواب انما يكون لاهل الطاعة وأنتم لم تمتثلوا أمري ، قال وإن كنا مخطئين فقد خسرنا خسرا نا ميدينا

فصل

وأما قوله في تأويل الاستواء بالاستيلاء ويساعده من كلام العرب ما نقله الغزالي من قول الشاعر :

قد استوى عمرو على العراق من خير سيف أو دم مهراق
(فالجواب) ان يقال أنت قد نقضت كلامك المتقدم ، وقولك ولغة العرب
حاكمة بأن حقيقة الاستواء على العرش الجلوس عليه وهو القعود مع تعطف الرجلين
ورجوع بعضها على بعض وبيان ذلك ان الشاعر أخبر ان عمرا استوى على العراق
أي ملكه فتقول ان معناه جلس على العراق كله وعطف رجله على جميعه فان
قلت هذا فهذا مكابرة ، وإن قلت ان المعنى باستواء عمرو على العراق ملكه فقد
نقضت ما أصلته ، وهدمت ما قررتة ، فاعجب لبان يخرب ما بنى ولم تعلم

بجهلك بلغة العرب ، وما يجوز على الله ، وما يتنوع عليه ان ذلك لا يجوز في حقه
تبارك وتعالى وذلك ان الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلها فأني
فائدة في تخصيص العرش ؟ وأيضاً الاستيلاء يكون بعد قهر وغلبة والله تعالى
منزه عن ذلك

وقد أخرج اللالكائي في السنة عن ابن الاعرابي - وهو من أكابر أئمة اللغة -
انه سئل عن معنى (استوى على العرش) فقال: هو على عرشه كما أخبر ، قيل يا أبا
عبد الله معناه استولى ؟ فقال اسكت لا يقال استولى على الشيء إلا اذا كان له
مضاد ، فاذا غلب أحدهما قيل استولى

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ان الاستواء في لغة العرب يطبق على
معاني متعددة (أحدها) بمعنى الاستقرار كقوله (واستوت على الجودي)
(ثانيها) بمعنى الاستيلاء ومنه قول الشاعر

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

(وثالثها) القصد والاقبال على الشيء كقول القائل كان الأمير يدبر أمر
الشام ، ثم استوى إلى أهل الحجاز أي تحول فعله وتديره اليهم (رابعها) انه
معنى التمام والكمال كقوله تعالى (فلما بلغ أشده واستوى) أي كمل عقله

فتبين بذلك كذب هذا المقترى وجهله بلغة العرب ، وما أحسن ما قال بعضهم
أكثر ما يفسد الناس نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبيب ونصف نحوي ،
هذا يفسد الأديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الأبدان وهذا يفسد اللسان

فصل

أما قوله (وقد ذكر القاضي العلامة إسحاق بن محمد العبدى رحمه الله في كتاب الاحتراس بعد أن طول بما يشفي الصدور في تقرير حجة المثولين للعرش بالعرز والملك والاستواء بالاستيلاء والقهر والمكنه كلام طويل تضيق عنه هذه الرسالة فاقصرنا على آخر كلامه قال ما لفظه (إذا استبان لك ما أشرنا اليه فأمر الاختيار مفوض اليك فاما جمهور العدلية من المعتزلة وغيرهم فقد جنحوا إلى التأويل، ورأوا ان ذلك أوفق وأليق لمن يرد إلى سواء السبيل . وأما المحافظون على بقاء الظواهر وكذلك التاركون للتفصيل والتأويل ، فقد ظنوا أن في ذلك نوعا من التعطيل، وما التفتوا إلى التأويل ، وما يرفع الشبه لا بد منه عند الفريقين إما في نفس العرش أو الاستواء عليه ، واما ان يكون التأويل تفصيلا أو اجماليا ، وإذا كان لا بد من التأويل فالتأويل بما يرفع مطالبة الوهم بالكيف ، ويقطع مادة تعلقته إلى ادراك تلك الحقيقة أحق وأوفق وأليق ، وقد كشفت لك الغطاء في التعمين والتوقف والتأويل ، وانت بعد ذلك مخير على أي جانبيك تميل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

(فالجواب) أن يقال : هذا الذي نقلته من هذا الكلام قد نقض عليك ما نقلته قبل ذلك بأسطر يسيرة من ان تأويل الاستواء على العرش متفق عليه الا عند مثل ابن عربي والمجسمة ، وذلك انه ذكر في كلامه الاقوال في المسئلة فذكر أن جمهور العدلية من المعتزلة وغيرهم يميلون إلى التأويل فكلامه يدل على ان بعض المعتزلة يميل إلى القول المقابل لقول اهل التأويل . ولهذا قال : وأما المحافظون على بقاء الظواهر ، وكذا التاركون للتفصيل والتأويل ، فقد ظنوا ان في ذلك نوعا من التعطيل ثم انه خير الناظر في كلامه على أي وجه يميل اليه من تلك الاقوال وان كان القول الاول هو الاوفق والاليق والراجح عنده . فلو ان هذا المعترض

قال مثل مقالة هذا الرجل لـ كان أليق به وأوفق .

وأما ما ذكره من كلام الزمخشري وغيره من أئمة المعتزلة فكلامهم في نفي الصفات والقول بخلق القرآن مشهور معروف ، وليسوا من أئمة العلم والدين المقتدى بهم بل هم من أئمة البدع والضلال ، ولهذا نقل عن بشر بن غياث المريسي حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما فإذا كان رجاله الذين ينقل عنهم كلام أهل البيت مثل بشر بن غياث المريسي واضرا به الذين كفرهم أهل العلم وبدعهم واشتهروا بينهم بالزندقة والكفر والكذب تبين لك أن عامة ما ينقله هذا وأشباهه عن أهل البيت كذب واقتراء عليهم نسأل الله أن ينتقم لأهل البيت ممن كذب عليهم وأبغضهم وقد قال البخاري رحمه الله في كتاب (خاق أفعال العباد) حدثني أبو جعفر حدثني أحمد بن خالد الخلال ، قال سمعت يزيد بن هارون ذكر أبا بكر الأصم وبشر المريسي فقال : هما والله زنديقان ، كافران بالرحمن ، حلالا الدم . وقال الخطيب في تاريخه المشهور : وبشر بن غياث من أصحاب الرأي ، أخذ الفقه من أبي يوسف القاضي إلا أنه اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن وحكى عنه أقوالا شنيعة ومذاهب مستنكرة ، أساء أهل العلم قولهم فيه بسببها ، وكفره أكثرهم لأجلها . ثم ذكر الخطيب كلام أهل العلم في تكفيره والأمر بقتله . وقد صنف علماء السنة مصنفات كثيرة في الرد على بشر المريسي ونجوه من أئمة الجهمية والمعتزلة . فمن ذلك ما صنفه أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي الإمام المشهور من طبقة البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وطبقة منهم وسماه (نقض عثمان بن سعيد ، على المريسي الجهمي العنيد ، فيما افترى على الله في التوحيد) قال فيه

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء إلا المريسي الضال وأصحابه حتى الصبيان الذين لم يبالغوا الحنث قد عرفوه بذلك إذا ضرب الصبي رفع يده إلى السماء يدعو ربه ، وكلامه بالله وبمكانه أعلم من الجهمية حدثنا

احمد بن منيع حدثنا معاوية عن شبيب بن شيبه عن عمران بن حصين ان النبي ﷺ قال لابييه « يا حصين كم تعبد اليوم؟ — قال سبعة، ستة في الارض وواحد في السماء قال — فأبهم تعد لرغبةك ورهبتك؟ — قال الذي في السماء » فلم ينكر النبي ﷺ على الكافر اذ عرف ان الله العالمين في السماء

فحصين الخزاعي في كفره يومئذ كان اعلم بالله الجليل من بشر المريسي وأصحابه مع ما ينتحلون من الاسلام، اذ ميز بين الاله الخالق الذي في السماء وبين الآلهة والاصنام المخلوقة في الارض

(قال) وادعى المعارض أيضاً ان قول النبي ﷺ « ان الله ينزل الى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل فيقول هل من مستغفر هل من داع هل من تائب؟ » فادعى ان الله لا ينزل بنفسه انما ينزل امره ورحمته وهو على العرش وبكل مكان من غير زوال، لانه الحي القيوم، والقيوم بزعمه لا يزول

(قال) فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان ولا لمذهبه برهان، لان امر الله ورحمته ينزلان في كل ساعة ووقت وأوان، فما بال النبي ﷺ يحذر نزوله الليل دون النهار؟ ووقت من الليل شطره أو الاسحار، فأمره ورحمته يدعوان العباد الى الاستغفار؟ او يقدر الامر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولان: هل من داع فأجيب؟ هل من مستغفر فأعفر؟ هل من سائل فأعطي؟ فان قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والامر هما اللذان يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامهما دون الله. وهذا محال عند السفهاء، فكيف عند الفقهاء؟ وقد علمت ذلك، ولكن تكابرون. وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطراً من الليل، ثم لا يمكن أن يكونا إلا الى طلوع الفجر، ثم يرفعان؟ لان رفاة يرويه في حديثه حتى ينفجر الفجر، وقد علمت ان شاء الله ان هذا التاويل أبطل باطل، ولا يقبله الا كل جاهل،

١٦٢ تفسير اسمي الحي القيوم بالرأي وبطلانه في صفات الله

وأما دعواك أن تفسير الحي القيوم: الذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك ، فلا يقبل هذا التفسير إلا بأثر صحيح ماثور عن رسول الله ﷺ أو عن بعض اصحابه أو التابعين ، لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك اذا شاء ، ويهبط ويرتفع اذا شاء ، ويقبض ويبسط اذا شاء ، ويجلس اذا شاء ، لأن اشارة ما بين الحي والميت المتحرك ، فكل حي متحرك لا محالة ، ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة ، اذ فسر نزوله مشروحا منصوحا ، ووقت لنزوله وقتا مخصوصا ، لم يدع لك ولا لاصحابك فيه لبسا ؟

(قال) ثم اجمل المعارض جميع ما تنكره الجهمية من صفات الله تعالى وذاته المسماة في كتابه ، وفي آثار رسوله ﷺ فمنها بضعة وثلاثين صفة نسقا ، وأخذ يحكم عليها ويفسرها بما حكم به المريسي وفسرها وتأولها حرفا حرفا معتمداً فيها على تفسير الزائغ الجهمي بشر بن غياث المريسي متسترأ عند الجهال بالتشنيع على قوم يؤمنون بها ويصدقون الله ورسوله فيها بغير تكييف ولا تمثيل فزعم أن هؤلاء مؤمنين بها يكيّفونها ويشبهونها بذوات أنفسهم ، وأن العلماء بزعمه قالوا ليس في شيء منها اجتهاد رأي ليدرك كيفية ذلك ، أو يشبه شيئاً منها بشيء مما هو للخلق موجود . قال وهنا خطأ كما أن الله ليس كمثله شيء ، فكذلك ليس ككيفية شيء .

قال ابو سعيد: فقلنا لهذا المعارض المشنع اما كقولك ان كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو في الخلق خطأ فانا لا نقول انه خطأ كما قلت ، بل هو عندنا كفر ونحن بكيفيةها وتشبيهها بما هو في الخلق موجود أشد اتقاء منكم غير اننا كما اننا لا نشبهها ولا نكيّفها لانكفر بها ولا نكذب بها ، ولا نبطلها بتأويل الضلال كما أبطلها امامك المريسي في أماكن من كتابك ، واما ما ذكرت من اجتهاد الرأي في تكييف صفات الله فانا لانجيز اجتهاد الرأي في كثير من الفرائض والاحكام التي نراها بأعيننا ونسمعها في آذاننا فكيف في صفات الله التي لم ترها العيون وقصرت عنها الظنون؟ غير أنا

بطلان زعم المريسي ان سمع الله عين بصره وكلامه وصفاته عين ذاته ١٦٣

لا نقول فيها كما قال امامك المريسي : ان هذه الصفات كلها كشيء واحد وليس السمع منه غير البصر ، ولا الوجه منه غير اليد ، ولا اليد منه غير النفس ، وان الرحمن ليس يعرف بزعمكم لنفسه سمعا من بصر ولا وجها من يدين ولا بصراً من سمع ، هو كله بزعمكم سمع وبصر ووجه ويد ونفس وعلم ومشيدة وارادة ، مثل الارضين والسماء والجبال والتلال والهواء التي لا يعرف لشيء منها شيء من هذه الصفات والذوات . والله تعالى عندنا متعال أن يكون كذلك . فقد ميز الله في كتابه السمع من البصر فقال (انني معكما أسمع وأرى - وقال - انا معكم مستمعون) وقال (لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم) ففرق بين الكلام والنظر دون السمع فقال عند السماع (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها - الى قوله - ان الله سميع بصير) وقال تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء) ولم يقل قد رأى الله ، وقال في موضع الرؤية (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين - وقال - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) ولم يقل سمع الله تقلبك وسمع عملكم فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ولا السماع فيما يرى ، كما انهما عنده خلاف ما عندكم . وكذلك قال الله تعالى (تجري باعيننا - وقال - ولتصنع على عيني) ولم يقل شيء من ذلك على سمعي . فكما اننا لا نكيف هذه الصفات لا نكذب بها كتكذيبكم ، ولا نفسرها كباطل تفسيركم انتهى

فتأمل رحمك الله كلام هذا الامام بيمين البصيرة يتبين لك بطلان كلام هذا المعترض وكذبه على أهل البيت وانه هو وشيعته من أبعد الناس عن اتباعهم وانما يتبعون اعداء الملة الاسلامية والطريقة المحمدية ، كجهنم والمريسي وأحزانها من أهل البدع والضلال والله أعلم

فصل

قال المعترض (فإن قلت أنت تروي إجماع أهل البيت في هذه المسائل، وقد عرفت تفرقهم في المذاهب فمنهم الأشعري والحنبلي وغير ذلك. قلت أجل ولكن لم يحدث التفرق إلا بعد انعقاد إجماع الآل في العصور المتقدمة، ولا يضر ذلك التفرق بعد وشب فروخ من ذكر عن منهج أهل البيت الأولين نشأتهم بين من لم يعرف أهل البيت ولا كتبهم فأخذوا عن العلماء إلى آخره)

(فالجواب) أن يقال قد نقصت بكلامك هذا الأصل الذي أصلته، وهوان جميع أهل البيت لا يخالفون كتاب الله وأنهم العصمة وباب حطة وجميع دلائلك التي استدلت بها من الآيات والاحاديث ينازعك خصومك في دلائلها على ما أردت، وقد تقدم جواب ذلك مبيناً. وهذا على التقدير والتنزل والا فأكثر هذه الاحاديث التي رويتها عن رسول الله ﷺ قد طعن فيها أهل العلم بالاخبار، وبينوا أنها من وضع الكذابين على رسول الله ﷺ

فإذا كنت قد أقررت أن أهل البيت في هذا الزمان وقبلة بازمئة متطاولة قد افترقوا وصار بعضهم مع خصومكم. فكذلك أهل البيت في العصر الاول ودعواك إجماعهم كذب ظاهر، وهذه نصوص أهل البيت قد نقلناها لك فما تقدم من الرد عليك. وهذا ابن عباس رضي الله عنهما من أكابر علماء أهل البيت وقد فسر الاستواء في حقه تبارك وتعالى بالاستقرار كما حكى ذلك مقاتل والكلابي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «استوى بمعنى استقر»

وقد ذكر الطبرسي وهو من أئمة الشيعة في كتاب (مجمع البيان) بعلوم القرآن في تفسير قوله (وسع كرسيه السموات والارض) فقال ما لفظه: اختلف فيه على أقوال (أحدها) (وسع علمه السموات والارض، عن ابن عباس ومجاهد

وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ويقال للعلماء «كراسي» كما يقال لهم «الأوتاد» لأن بهم قوام الدين والدنيا، (وثانيها) أن الكرسي ههنا هو العرش، عن الحسن وإنما سمي كرسيا تركيب بعضه على بعض (وثالثها) أن المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة (ورابعها) أن الكرسي سرير دون العرش. وقد روي ذلك عن أبي عبد الله. وقريب منه ما روي عن عطاء أنه قال «ما السموات والأرض عند الكرسي إلا كحلقة في فلاة» ومنهم من قال أن السموات والأرض جميعا على الكرسي، والكرسي تحت العرش والعرش فوق السموات. وروي الأصمعي بن نباتة أن عليا (رض) قال «السموات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله أربعة أملاك يحملونه بأذن الله تعالى» انتهى.

وهذا يبين كذب هذا المعارض على أهل البيت في دعوى الاتفاق منهم في هذه المسائل

فصل

وأما قوله في الاعتراض على قول المجيب في قوله (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) ثم ذكر أن مراد السائل عن ذلك استظهار ما عند المسئول، هل يقدم أبا بكر (رض) على علي (رض) في الخلافة أم العكس؟ وأن المجيب أتى بما يمهده من تفسير الآية، فأعرض عن غرض السائل وقصده، ثم أنه قد اطلع على روايات مسندة أن الحديث الذي أسره رسول الله ﷺ هي خلافة علي على الأمة وتقديمه على أبي بكر رضي الله عنه

ثم قال المعارض (وأنا أقول ينظر في تصحيح هذه الروايات، وإذا صحت فما فائدة الاسرار بولاية علي رضي الله عنه)

(فالجواب) أن يقال: هذا المعارض قد كفانا المؤنة في رد هذه الروايات الباطلة، وذكر أنها إذا صحت فما فائدة الاسرار بولاية علي رضي الله عنه. وذلك

ان الامر إذا صح عن رسول الله ﷺ انه فعله أو أمر به لا يقال فيه فيما فائدة الاسرار بذلك ، بل إذا صح أن رسول الله ﷺ فعل شيئاً أو أمر به فلا يفعله ولا يأمر به إلا لما فيه من الفائدة العظيمة ، والمصلحة العميمة ، ولا يقول مثل هذا الكلام إلا من هو من أجهل الجاهلين ، وأبطل المبطلين ، كيف يجوز عند من له أدنى مسكة من العقل والدين ان يصح عنده أن رسول الله ﷺ فعل شيئاً أو أمر به ولا يكون في ذلك فائدة أصلاً؟ ولكن هذا شأن أهل البدع والضلال لا يقدر على رسول الله ﷺ حق قدره ، نعوذ بالله من موجبات غضبه ، وأليم عقابه

فصل

وأما قوله (وقد علمنا بالتواتر المعنوي من السنة أن النبي ﷺ قد أعلن وأنذر وأفصح وأكثر في تقديم علي رضي الله عنه على غيره من الصحابة رضي الله عنهم في الولاية ، ولكن أهل البيت بعد علمهم بتقديم علي لم يخوضوا في جانب من تقدم إلا كخوضه رضي الله عنه ، من إبانة الحق للامة ، وانه الاقدم والتوجه فقط في مواطن ، خروجاً منه عن التاميس والمداهنة في الدين ، إذ الحق لله تعالى ، فإذا هو رضي الله عنه قد فرض انه أسقط حقه وجب عليه إبانة ما هو لله إذ هو المولي له ، فلم يسكت بل أعلن رضي الله عنه بما يجب عليه ، وأهل البيت وصفوة شيعته لم يصنعوا الا كما صنع علي ، فلم يفعلوا غلو الامامية ولا الباطنية نسأل الله السلامة) فالجواب (من وجوه (أحدها) ان هذا من أظهر الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى علي رضي الله عنه . وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره بالاسانيد الثابتة قصة خروج علي والعباس من عند النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه حين قال الناس لعلي ، يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال . « أصبح بحمد الله بارئاً » فقال له العباس رضي الله عنه « انت والله بعد ثلاث عبد العباس اني لا اعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا الى رسول الله ﷺ نسأله :

فيمين هذا الامر فان كان فينا عرفنا ذلك ، وان كان في غيرنا علمناه فاوصى بنا فقال علي رضي الله عنه « انا والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فنحنها لايطينها الناس بعده ، واني والله لاأسأله رسول الله ﷺ » أخرجه البخاري عن إسحاق ، أخبرنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة حدثني أبي عن الزهري أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري ، وكان كعب أحد الثلاثة الذين تيب عليهم : ان ابن عباس أخبره أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجهه الذي توفي منه وذكر الحديث كنحو ما سقناه ، وكل هؤلاء الذين رووا هذا الحديث أئمة مشاهير (الوجه الثاني) ما أخرجه احمد والبيهقي بسند حسن عن علي أنه قال لما ظهر يوم الجمل « أيها الناس ان رسول الله ﷺ لم يهد إلينا في هذه الامارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فاقام واستقام حتى مضى لسبيله ثم ان أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر فاقام واستقام ، ثم ضرب الدين بجرا أنه ثم ان أقواما طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها »

(الوجه الثالث) ما روى جمع من اهل الحديث كالدارقطني وابن عساكر والذهبي وغيرهم : ان علياً أقام بالبصرة حين بايعه الناس : فقام اليه رجال فقالوا له ، أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه لتستولي على الامر وعلى الامة ، تضرب بعضها ببعض ، أعهد من رسول الله ﷺ عهد اليك ؟ فحدثنا فانت الموثوق به والمأمون على ما سمعت . فقال « اما أن يكون عندي عهد من رسول الله ﷺ في ذلك فلا والله ، لأن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ، ولو كان عندي منه عهد في ذلك ما تركت أخا بني تميم بن مرة وعمر بن الخطاب يثبان على منبره ولقاتلتهما بيدي ، ولو لم أجد الا بردي هذه ، ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة ، ومكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه لصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس ، وهو يرى مكاني ، ولقد أرادت امرأة من

نساته تصريفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال « أنتن صواحب يوسف، مرو
أبا بكر فليصل بالناس » فلما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمورنا فاخترنا
لدينا من رضىه رسول الله ﷺ لدينا، وكانت الصلاة أعظم شعائر الاسلام،
وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر رضى الله عنه فكان لذلك أهلاء لم يختلف عليه منا اثنان -
وفي رواية - فاديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده فكنت
أخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي. فلما قبض رضى
الله عنه بايعنا عمر، لم يختلف عليه منا اثنان، فأديت له حقه وغزوت معه وعرفت طاعته
وكنت أخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي.
فلما قبض رضى الله عنه تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن ان
لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده شيئاً الا لحقه في قبره فاخرج
منها نفسه وولده، ولو كانت محابة لآثر بها ولده وبرى منها لرهط أنا أحدهم
فظننت الا يعد لواي فأخذ عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) موثقنا على أن
نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت
بيعتي وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان، فأديت له حقه وعرفت له طاعته
وغزوت معه، وكنت أخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه
الحدود بسوطي. فلما أصيب فاذا الخليفتان اللذان اخذاها بعهد من رسول الله
ﷺ اليهما بالصلاة قد مضيا. وهذا الذي أخذ له ميثاقي قد أصيب، فبايعني
أهل الحرمين وأهل هذين المصرين - الكوفة والبصرة - فوثب فيها من ليس مثلي،
ولا قرابته كقرابتي، ولا علمه كعلمي، ولا سابقته كسابقتي، وكنت أحق بهامنه،
يعني معاوية - أخرجته هؤلاء الأئمة وأخرجته اسحاق بن راهويه من طرق أخرى. قال
الذهبي وهذه طرق يفتوي بعضها بعضاً، قال وأصحها ما رواه اسماعيل بن علية فذكره،
وفيه لما قيل لعلي: أخبرنا عن مسيرك اعهد عهدك اليك النبي ﷺ أم رأى رأيت

ما قاله أهل البيت من تفضيل على لأبي بكر وغمر ١٦٩

فهذه الطرق كلها عن علي رضي الله عنه متفقة على نفي النص بامامته ووافقه على ذلك علماء أهل بيته فقد اخرج ابو نعيم عن انثي بن الحسن السبط انه لما قيل له «من كنت مولاه فعلي مولاه» نص في امامة علي فقال «أما والله لو اراد النبي ﷺ بذلك الامارة والسلطان لافصح لهم به فان رسول الله ﷺ كان افصح الناس ولقال لهم بأبيها الناس هذا ولي امري. والقائم عليكم بعدي، فاسمعوا له واطيعوا ما كان من هذا شيء فوالله لئن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الامر والقيام به للمسلمين من بعده، ثم ترك علي امرا لله ورسوله أن يقوم به، او يعذر فيه للمسلمين - إن كان اعظم الناس خطيئة لعلي اذ ترك امر الله ورسوله - وحاشاه من ذلك»

وكلام علي وأهل بيته في الثنا على أبي بكر وعمر كثير جدا بعد ما افضت اليه الخلافة وتواتر عنه انه قال «خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر» وروى البخاري في صحيحه عن سفیان اشوري عن منذر عن محمد بن الحنفية قالت لأبي: يا أبت من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال «يا بني أبو بكر» قلت ثم من؟ قال «عمر» فخشيت أن يقول ثم عثمان، فقلت: ثم أنت؟ فقال «يا بني انما أنا رجل من المسلمين» وصح هذا عنه من وجوه كثيرة وطرق متغايرة يصدق بعضها بعضها قال بعض أهل الحديث انه رواه عن أكثر من ثمانين نفسا من خواص أصحابه وأهل بيته

فقد تبين بما ذكرنا بطلان دعوى المعارض أن رسول الله ﷺ نص على إمامته فاذا ادعوا أن هذا مكذوب على أهل البيت امكن خصومهم أن يدعوا الكذب فيما روه عن أهل البيت والدلائل الصحيحة التي احتجوا بها على النص على امامة علي رضي الله عنه كقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله) وكحديث غدیر خم وقوله «من كنت مولاه فعلي مولاه» فكل هذا ليس بصريح في

النص على امامته والله تبارك وتعالى قد فرض على رسوله ﷺ البلاغ المبين الذي يفهمه عامة الناس وخاصتهم وتلك الدلائل معارضة بما هو اصح منها واصرح ، لكن هؤلاء لا يقبلون رواية اهل السنة ، فلا حاجة الى الاطالة بذكرها (الوجه الرابع) ان دعواهم النص على امامته رضي الله عنه قد عارضها أقوام ادعوا النص على العباس وعلى غيره ، فالدعوى الباطلة تمكن كل احد . وقد قال الامام أبو محمد بن حزم في كتاب (الملل والنحل)

« اتفق جميع فرق اهل القبلة وجميع المعتزلة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج — حاشا النجيدات من الخوارج خاصة ^(١) — على وجوب الامامة فرضا ، وان على الامة الانقياد لامام عدل يقيم فيهم أحكام الله عز وجل ، ويسوسهم بأحكام الشريعة . ثم اختلف القائلون بوجوب الامامة على فرقتين : فذهب أهل السنة وجميع الشيعة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة الى أن الامامة لا تجوز الا في قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك . وذهب الخوارج كلها وبعض المرجئة وبعض المعتزلة الى انها جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان أو عربيا أو عجميا . قال أبو محمد : ووجوب الامامة في ولد فهر بن مالك نقول ، لنص رسول الله ﷺ على أن الأئمة من قريش . وهذه رواية جاءت بحجج التواتر ، رواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومعاوية رضي الله عنهم ، وروى (جابر) ابن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم معناها . ومما يدل على معناها اذعان الانصار يوم السقيفة وهم أهل الدار والمنعة والعدد والسابقة في الاسلام رضي الله عنهم ، ومن المحال الممتنع الباطل أن يتركوا اجتماعهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله ﷺ على أن الحق لغيرهم في ذلك ثم قال : ولا يخلو قول رسول الله ﷺ « الأئمة من قريش » من أحد

(١) وهم المنسوبون الى نجدة بن عمير الحنفي القائم بالجماعة

وجيهين لا ثالث لهما : إما أن يكون أمراً وإما أن يكون خبراً ، فان كان أمراً فمخالف امر رسول الله ﷺ فاسق ، وعمله مردود ، وان كان خبراً فمجهز تكذيب رسول الله ﷺ كافر

« ثم اختلف القائلون بأن الامامة لا تكون إلا في صلبة قريش فقالت طائفة :

هي جائزة في جميع ولد فهر بن مالك فقط ، وهذا قول اهل السنة وجميع المرجئة وبعض المعتزلة . وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم قصروها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . وقال بعض بني الحارث بن عبد المطلب : لا تجوز الخلافة الا لبني عبد المطلب خاصة وهم أربعة فقط لم يعقب لعبد المطلب غيرهم وهم : العباس والحارث وأبو طالب وأبو لهب . وبلغنا عن رجل من أهل طبرية الاردن : لا تجوز الخلافة الا في بني امية بن عبد شمس وكان له في ذلك تأليف مجموع وروينا كتاباً مؤلفاً لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحنج فيه بأن الخلافة لا تجوز إلا في ولد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقط

قال أبو محمد « وهذه الفرق الاربعة لم نجد لهم شبهة تستحق ان يشتغل بها الا دعاوي كاذبة لا وجه لها مع انقطاع القائلين بها ودثورهم

وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد العباس وهو قول الراوندي^(١) واحتجوا بأن العباس كان عاصب رسول الله ﷺ ووارثه . قالوا فاذا كان كذلك فقد ورث مكانه ، وهذا ايسر بشيء لان الميراث لو صح له لما كان ذلك الا في المال خاصة ، وأما المرتبة فما جاء قط في الديانة انها تورث فبطل هذا التمويه جملة ولله الحمد ، « وقد صح باجماع جميع أهل القبلة — حاشا الروافض — ان رسول الله ﷺ

قال « إنا لانورث ، ما تركناه صدقة » فاعترضوا بقول الله عز وجل (وورث سليمان داود) وقوله تعالى حاكماً عن زكريا (فهب لي من لدنك ولياً يرثه

ويرث من آل يعقوب) وهذا لا حجة لهم فيه لان الرواة وحملة الاخبار وجميع التواريخ القديمة وكواف بني اسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلا يوجب العلم : ان داود عليه السلام كان له بنون ذكور جماعة غير سليمان فصيح أن سليمان ورث النبوة وهكذا القول في ميراث يحيى بن زكريا عليهما السلام وبرهان ذلك من نص الآية نفسها قول زكريا عليه السلام (يرثني ويرث من آل يعقوب) فاي شيء كان يرث من آل يعقوب ؟ لكل سبط من أسباط يعقوب عصابات عظيمة وهم مثو ألوف فصيح انه انما يرغب في ولد يرث عنه وعن آل يعقوب النبوة فقط وأيضا فمن المحال أن يرغب زكريا في ولد يحجب عصبته عن ميراثه انما يرغب في هذا ذو الحرص على الدنيا وحطامها ، وقد كان العباس حيا قائما إذ مات رسول الله ﷺ فما ادعى العباس لنفسه في ذلك حقا لا حينئذ ولا بعد ذلك فصيح انه رأي محدث فاسدلا وجهه للاشتغال به ومارضيه أحد قط من خلف ولده ولا من امثالهم ترفعا عن سقوط هذه الدعوى ووهنها وبالله التوفيق

« وأما القائلون بان الامامة لا تكون إلا في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فانهم انقسموا قسمين ، فقالت طائفة : ان رسول الله ﷺ نص على علي رضي الله عنه بانه الخليفة بعده . وان الصحابة رضي الله عنهم بعد موته اتفقوا على ظلم علي رضي الله عنه وعلى كتمان ذلك النص وهؤلاء هم الروافض ، وطائفة قالت لم ينص النبي ﷺ على علي ، لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالخلافة ، وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، ثم اختلفت الزيدية فرقا فقالت طائفة ان الصحابة ظلموه ، فكفروا كل من خالفه من الصحابة رضي الله عنهم ، وهم الجارودية ، وقالت طائفة لم يظلموه لكن طابت نفسه بتسليم حقه إلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وانهما اماماهدي ووقف بعضهم في عثمان رضي الله عنه وتولاه بعضهم وجميع الزيدية لا يختلفون في ان الامامة في جميع بي

علي بن أبي طالب رضي الله عنه من خرج منهم يدعو الى الكتاب والسنة وجب
سل السيف معه

«وقالت الروافض باجمعهم: الامامة في علي رضي الله عنه وحده بالنص عليه، ثم
في الحسن ثم في الحسين رضي الله عنهما، وادعوا نصاً آخر من النبي ﷺ عليهما
بعد أبيهما، ثم علي بن الحسين نقول الله عز وجل (وأولو الارحام بعضهم أولى
ببعض في كتاب الله) قالوا فولد الحسين أحق من بني أخيه الحسن ، ثم محمد بن
علي بن الحسين، ثم في جعفر بن محمد، ثم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين
وموت جعفر بن محمد فقالت طائفة بامامة ابنه اسماعيل ابن جعفر ادعوا انه حي
لم يمت، والذي لاشك فيه انه مات في حياة أبيه وهو كان أكبر بنيه . وقالت
طائفة بامامة ابنه محمد بن جعفر . وقالت طائفة جعفر بن محمد حي لم يمت

« وقل جمهور الروافض بامامة ابنه موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد
ابن علي بن موسى ثم علي بن محمد بن علي بن موسى ، ثم الحسن بن علي ثم مات
الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على انه ولد للحسن ولداً خفاه ،
وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقييل

« وكانت طائفة قديمة رئيسهم المختار بن أبي عبيد الثقفي وكيسان المكنى
بأبي عمرة وغيرهم يذهبون إلى ان الامام بعد الحسين بن علي رضي الله عنه اخوه
محمد المعروف بابن الحنفية ، ومن هذه الطائفة السيد بن اسماعيل الحيري الشاعر ،
وكثير عزة الشاعر، وكانوا يقولون ان محمد بن الحنفية حي بجبل رضوى، ولم من
التخليط ماتضيق عنه الصحف الكثيرة.

« وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج أحاديث مكذوبة موضوعة لا يعجز
عن توليد مثلها من لادين له ولا حياء

قال ابو محمد « لا معني لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونها وانما يجب أن

يحتاج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام به عليه الحجة سواء صدقه المحتج به أو لم يصدقه لأن من صدق شيئاً لزمه القول به أو بما يوجب العلم الضروري فيصير الخصم حينئذ أن خالفه مكابراً بالباطل منقطعاً . إلا أن بعض ما يشعرون به أحاديث صحيحة منها قول رسول الله ﷺ لعلي « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي »

قال أبو محمد « وهذا لا يوجب فضل علي على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده لأن هارون عليه السلام لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام فتاه يوشع بن نون وهو صاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إذ هاجر ﷺ إلى المدينة وإذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون ولا كان هارون خليفة على بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام . فقد صح أن كونه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام إنما هو في القرابة فقط . وأيضاً فأنما قال رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك فقال المنافقون استنقله فخلفه فلحق علي رضي الله عنه برسول الله ﷺ حينئذ فشكا إليه فقال ﷺ « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » لاستخلافه إياه على المدينة مختاراً له . ثم قد استخلف ﷺ قبل تبوك وبعدها على المدينة في غزواته وعمره وحجه رجالاً سوى علي رضي الله عنه

فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلاً على غيره ممن استخلفه ، ولا يوجب أيضاً ولاية الأمر بعده ﷺ كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين قال أبو محمد « وعمدة ما احتجبت به الإمامية أنه لا بد أن يكون إمام معصوم ، عنده جميع علم الشريعة يرجع الناس إليه في أحكام الدين ليكونوا مما تعبدوا به على يقين . قال أبو محمد « هذا لا شك فيه وهو معروف ببراهينه الواضحة ، وأعلامه

دحض بن حزم شبهة الروافض في الامام المعصوم ١٧٥

المعجزة وآياته الباهرة ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله الينا ببيان دينه الذي الزمنا اياه ﷺ ، فكان كلامه وعهوده وما بين وبلغ من كلام الله عز وجل حجة باقية معصومة من كل آفة - الى كل من بحضرته وإلى من كان في حياته غائبا عن حضرته وإلى كل من يأتي بعد موته ﷺ الى يوم القيامة - من جن وانس قال عز وجل (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون)

فهذا نص ما قلنا وإبطال اتباع أحد دون رسول الله ﷺ ، وانما الحاجة الى فرض الامامة لينفذ الامام عهود الله عز وجل الواردة الينا على من عند فقط لا لان يأتي الناس بما لا يشاؤون في معرفته من الدين الذي أتاهم به رسول الله ﷺ . ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ ادعي الى التحاكم بالقرآن اجاب . واخبر ان التحاكم الى القرآن حق ، فان كان على رضي الله عنه أصاب في ذلك فهو قولنا ، وان كان أجاب الى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه ، ولو كان التحاكم الى القرآن لا يجب الا بحضرة الامام لقال على حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن وأنا الامام المبلغ عن رسول الله ﷺ

فان قالوا اذ مات رسول الله ﷺ فلا بد من أمام يبلغ الدين . قلنا هذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته ، وانما الذي يحتاج اليه أهل الارض من رسول الله ﷺ فهو بيانه ﷺ وتبليغه فقط سواء في ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومن جاء بعده اذ ليس في شخصه المقدس ﷺ اذا لم يتكلم أو يعمل بيان عن شيء من الدين فالمراد عنه ﷺ ق أبدا مبلغ الى كل من في الارض .

وأیضا : فلو كان ما قالوا من الحاجة إلى أمام موجود ابدا لكان ذلك منتقضا عليهم بمن كان غائبا عن حضرة الامام في أقطار الارض ، اذ لا سبيل

الى مشاهدة الامام لجميع أهل الارض في المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه لذي يهلك أن أغفله ، فلا بد من التبليغ عن الامام. فالتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالاتباع من التبليغ عن دونه . وهذا مالا انفكك منه

قال أبو محمد « لا سيما وجميع أمتهم الذين يدعون بعد علي ابن أبي طالب والحسن والحسين ابنيه رضي الله عنهم مأمروا قط في غير منازل سكنهم ولا حكموا على قرية فما فوقها بحكم. فما الحاجة اليهم لاسيما منذ مائة ونيف وثمانين عاما فانهم ينتظرون اماما ضالة من الضوال لم يخلق كعتقاء مغرب هم أولو فحش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة لا يعجز عنها أحد

» ويقال لهم أيضا كون الدين كله عند امام واحد معصوم من حين موت النبي ﷺ الى انقضاء الدهر لا يخلو من أن يكون أحكام الدين عند ذلك الامام من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها إما عن وحي من الله عز وجل فهذه نبوة ومن قال بنبوة بعد رسول الله ﷺ غير المسيح فقد كفر وارتد وحل دمه أو عن إلهام وهذا وسواس من الشيطان وليس هو أولى بدعوى الإلهام من غيره أو بتعليم من رسول الله ﷺ فان كان رسول الله ﷺ أعلم سائر الناس بما أعلم به علي بن أبي طالب فعلي وغيره في ذلك سواء ولا فرق (وإن كان ﷺ كتم من سائر الناس ما علمه علي بن أبي طالب فلم يبلغ كما أمر . قال تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فمن قال انه ﷺ لم يبين للناس ما انزل الله اليه بل كتمهم إياه وخص به علي بن أبي طالب سرا فقد كفر اذ وصف النبي ﷺ بأنه عصي أمر ربه تعالى له بالبيان للناس جهاراً فبطل ما ادعوه يقيناً من كل وجه والحمد لله رب العالمين .

» وايضاً فنقول لهؤلاء المخاذيل وبالله التوفيق : هل بين هؤلاء ما ادعوه من

البراهين على بطلان دعوى النص على إمامة علي

١٧٧

الدين أو لم يبينوا ولا بد من أحدهما فإن قالوا يبينوا ما عندهم قلنا وتبين أولهم
يكفي عن الآخر منهم لأنه يصير ما بين عند الناس ينقلونه جيلا عن جيل فبطلت الحاجة
اليهم فإن قالوا لم يبينوا وهو قولهم لانهم عندهم صامتون حتى يأتي الامام الناطق
(الثاني عشر) قلنا لهم فهل حاقت بهم اللعنة من الله تعالى بنص القرآن اذ
لم يبينوا ما عندهم من الهدى . وبالجلة فما أمة أحق من الروافض والنصارى جلة
قال ابو محمد « وبرهان آخر ضروري وهو أن رسول الله ﷺ مات وجمهور
الصحابه رضي الله عنهم حضور - حاشا من كان منهم في النواحي - فما منهم أحد
أشار إلى الناس في علي بكلمة يذكر فيها ان رسول الله ﷺ نص عليه ولا ادعى
ذلك علي رضي الله عنه قط، لا في ذلك الوقت ولا بعده، ولا ادعاه أحد له ولا بعده
في ذلك الوقت. ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن ألبته ولا يجوز اتفاق أكثر من
عشرين ألف انسان متنابذي الهمم والنيات والانساب أكثرهم موتور من صاحبه
في الدماء من الجاهلية على طي عهدته ﷺ اليهم وما وجدنا قط رواية عن أحد
بهذا النص المدعى إلا رواية موضوعة واهية عن قوم مجهولين لا يعرفهم أحد عن
مجهول يكفي أبا الحمراء لا يعرف من هو ، ووجدنا عليا رضي الله عنه قد توقف
عن بيعه أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتى بايع
طائفا مبادراً راجعا عن تأخره عنها مختاراً غير مكره، فكيف حل لعلي عند هؤلاء
النوكي أن يبايع طائفا لرجل كافر أو فاسق جاحد لنص رسول الله ﷺ وأن يعينه
على أمره ، وأن يشاهد في مجلسه وأن يواليه إلى أن مات . ثم بايع بعده عمر بن
الخطاب رضي الله عنه مبادراً غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائفاً ،
وصحبه وأمانه على أسرته ، وأنكحه ابنته من فاطمة رضي الله عنها، ثم قبل ادخاله في
الشورى أحد ستة رجال؟ فكيف حل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء الجهال أن

يشارك بنفسه في شورى ضلالة أو كفر، وأن يعز الامة هذا الغرور؟ هذا الامر أدى أبا كامل — وهو من أئمة الروافض — إلى تكفير علي لأنه زعم انه أعان الكفار على كفرهم، وأيدهم على كتمان الديانة، وعلى ستر مالا يتم الدين إلا به

قال ابو محمد « ولا يجوز أن يظن بعلي رضي الله عنه انه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الاسد شجاعة قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله ﷺ مرات ثم يوم الجمل وصفين، فما الذي جنبه بين هاتين الحالتين؟ وما الذي ألف بين بصائر الناس على كتمان حق علي رضي الله عنه ومنعه حقه مذمات رسول الله ﷺ الى أن قتل عثمان رضي الله عنه؟ ثم ما الذي جلى بصائرهم في عونه إذ دعا لنفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه، ورأوه حينئذ صاحب الامر والاولى بالحق ممن نازعه؟ فما الذي منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذي يدعيه الكذابون إذ مات عمر رضي الله عنه وبقي الناس بلا رأس ثلاثة أيام، أو يوم السقيفة؟

وأظرف من هذا كله بقاؤه ممسكاً عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر فما سئلها، ولا أجبر عليها ولا كلفها، وهو متصرف بينهم في أموره، فلو أن رأى الحق فيها فاستدرك أمره فبايع طالباً حظ نفسه في دينه راجعاً عن الخطأ الى الحق لما بايع. فان قالت الروافض انه بعد ستة أشهر رأى الرجوع عن الحق الى الباطل، فقولهم هو الباطل حقاً، لا ما فعل علي رضي الله عنه سم ولي علي رضي الله فما غير حكمنا من أحكام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. ولا أبطل عهداً من عهودهم، ولو كان ذلك عنده باطلاً لما كان في سعة من أن يمضي الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه. «وأيضاً فقد نازع الانصار رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه ودعوا الى بيعة سعد بن عباد. ودعا المهاجرون الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وقعد علي رضي الله عنه في بيته لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء، ليس معه أحد غير الزبير بن العوام رضي الله عنه،

ثم استبان الحق للزبير فبايع سريعا ، وبقي علي وحده لا يقرب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ، ولا يمنع أحد من لقائه ، فلا يخلو رجوع الانصار كلهم الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه من أن يكون عن أحد ثلاثة أوجه لارابع لها البتة : إما عن غلبة ، وإما عن ظهور حقه اليهم فأوجب عليهم الانقياد لبيعتهم ، وإما فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى . فان قالوا بايعوه بغلبة ظهر فاحش كذبهم ، لانه لم يكن هناك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد ، ولا وقت طويل يفسح للوعيد ولا سلاح مأخوذ ، ومن المحال الممتنع أن يترك أزيد من ألفي فارس انجاد أبطال كلهم عشيرة واحدة ، وقد ظهر من شجاعتهم مالا مرى وراءه ، وهو أنهم بقوا ثمانية أعوام متصلة محاربين لجميع العرب في أقطار بلادهم ، موطنين على الموت متعرضين مع ذلك لحرب قيصر والروم بمؤتة وغيرها ، ولحروب كسرى والفرس ببصرى ، من يخادهم يدعوهم ويدعوهم الى اتباعه ، وأن يكونوا كأحد من بين يديه . هذه صفة الانصار التي لا ينكرها الا رقيق مجاهر بالكذب

«فن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة أن يرهبوا أبا بكر ورجلين أتيا إلى مجلسهم فقط ، رابو بكر رضي الله عنه لا يرجع الى عشيرة كثيرة ولا إلى موالي ، ولا الى عصابة ، ولا إلى مال ، فرجعوا اليه وهو عندهم مبطل - وبإيعود بلا تردد نصف يوم فأكثر

«وكذلك يبطل أن يرجعوا عن قولهم وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم ، وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا معنى ولا خوف ولا ظهور الحق اليهم . فن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون انه باطل دون خوف يضطربهم إلى ذلك ، ودون طمع يتعجلونه من مال أو جاه ، بل فيما فيه ترك المز والرياسة والدنيا وتسليم كل ذلك لرجل أجنبي لا عشيرة له ولا منعة ولا حاجب ولا حراس على بابه ، ولا قصر يمنعه ولا موالي ولا مال ، فأين كان علي وهو الذي لا نظير له في

الشجاعة ومعه جماعة بني هاشم وبني المطلب من قتل هذا الشيخ الذي لا دافع
دونه لو كان عنده ظالما ، أو عن منعه وزجره إن لم يستحل قتله ، بل قد علم والله علي
أن أبا بكر رضي الله عنه على الحق ، وإن من خالفه على الباطل ، فأذعن للحق إذ
تبينه بعدما عرضت له فيه كبرة

« وكذلك الانصار رضي الله عنهم إنما رجعوا الى بيعته بلا شك ولا مصرية
لبرهان حق صح عندهم عن النبي ﷺ لا لاجتهاد كاجتهادهم ، ولا لظن كظنهم ،
إذ لم يبق غير ذلك ، وبطل كل ما سواه يقيناً

« وإذ قد بطل أن يكون الامر في الانصار ، وزالت الرياسة عنهم فإ الذي
حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبي ﷺ على إمامة علي
رضي الله عنه ؟ ومن المحال الممتنع أن تتفق آراؤهم كلهم على معاونة من ظلمهم ،
وغصبهم حقهم بالباطل ، إلا أن يدعي الروافض انهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك
العهد . فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ، ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعي
فيما شاء من المحال انه قد كان وإن الناس كلهم نسوه ، وهذا إبطال الحقائق كلها .

« وأيضاً فإن كان جميع أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا على جحد ذلك النص
وكنانته ، واتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه ، فمن أين وقع الى الروافض علمه ؟
ومن بلانه اليهم ؟ وهذا هوس ومحال . فبطل الامر في دعوى النص على علي رضي
الله عنه بيقين لا يشك فيه ، والحمد لله رب العالمين

« فإن قال قائل : إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان قد قتل الاقارب
بين يدي رسول الله ﷺ . فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصحابة رضي
الله عنهم ، فلذلك انحرفوا عنه ، قلنا لهم هذا تمويه ضعيف كاذب لانه ان ساغ
لكم في بني عبد شمس وبني مخزوم وبني عبد الدار وبني عامر بن لؤي لانه قتل
من كل قبيلة من هذه القبائل رجلاً أو رجلاً ، فقتل من بني عامر بن لؤي رجلاً

واحداً فقط وهو عمرو بن عبدود ، وقتل من بني مخزوم وبني عبد الدار رجالا وقتل من بني عبد شمس الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وقيل انه قتل عقبة بن أبي معيط ، وقيل لم يقتله الا عاصم بن ثابت الانصاري رضي الله عنه ولا مزيد ، « فقد علم كل من له أقل علم بالاخبار انه لم يكن لهذه القبائل ولا لأحد منها يوم السقيفة عقد ولا حل ، ولا رأي ولا أمر ، اللهم الا أن أبا سفيان بن حرب بن أمية كان مائلا الى علي رضي الله عنه في ذلك تعصباً للقراية لا تدينا ، وكان ابنه يزيد وخالد بن سعيد بن العاص والحارث بن هشام المخزومي رضي الله عنهم مائلين مع الانصار تدينا ، والانصار رضي الله عنهم قتلوا أبا جهل أخا الحارث ، وكان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شديد الميل الى علي رضي الله عنه حين قصة عثمان رضي الله عنه وبعد ذلك ، ولذلك قتله معاوية رضي الله عنه صبراً على عثمان رضي الله عنه ، فعرفونا من قتل علي من بني تيم بن مرة أو من بني عدي بن كعب أو من بني الحارث بن فهر رهط أبي عبيدة رضي الله عنه حتى يظن أهل القحة انهم حقدوا عليه ؟ ثم أخبرونا من قتل علي من الانصار رضي الله عنهم أو من جرح منهم أو من آذى منهم ؟ ألم يكونوا معه في تلك المشاهد كلها ، بعضهم متقدم ، وبعضهم مساو له ، وبعضهم متأخر عنه ؟ فأني حقد له في قلوب الانصار حتى يطبقوا كلهم على جحد النص عليه وعلى ابطال حقه ، وعلى ترك ذكر اسمه جملة ، وعلى إثارة سعد بن عباد عليه ، وعلى إثارة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم عليه ، والمساورة إلى بيعتهم دونه بالخلافة ، وهو بين أظهرهم ، يرونه غدوا وعشيا لا يحول أحد بينهم وبينه ؟

« ثم أخبرونا من قتل علي من أقارب المهاجرين من العرب من مضر وربيعة واليمن وقضاة حتى يطبقوا كلهم على كراهة ولايته ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه ؟ وان هذه العجائب لا يمكن اتفاق مثلها في العالم أصلا

« ولقد كان لطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص من القتل في المشركين كالذي كان لعلي فا الذي خصه باعتقاد الاحقاد له لو كان للروافض حياء وعقل؟ ولقد كان لابي بكر رضي الله عنه في مضادة قريش في الدعاء الى الاسلام مالم يكن لعلي، فممنعهم ذلك من بيعته، وهو أسوأ الناس أثراً عندهم في حال كفرهم. ولقد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في مغالبة كفار قريش واعلانه الاسلام على زعمهم مالم يكن لعلي « فليت شعري ما الذي اذهب آثار هؤلاء وأوجب أن ينسى وأوجب أن يعادوا علياً من بينهم كلهم؟ لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم، حتى باغ الامر بهم الى أن عدوا على سعد واسامة وابن عمر رضي الله عنهم وعلى رافع بن خديج ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وأبي هريرة وأبي الدرداء وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم سواء هؤلاء من المهاجرين والانصار- انهم لم يبايعوا علياً إذ دعا الى نفسه، ثم بايعوا معاوية رضي الله عنه ويزيد ابنه- من أدركه منهم- وادعوا ان تلك الاحقاد حملتهم على ذلك .

قال ابو محمد « حق الروافض وشدة ظلمة جباههم وقلة حيايتهم هورهم في الدمار والبورار والعار والنار وقلة المبالاة بالفضائح

« وليت شعري أي خماشة وأي كلمة خشنة كانت بين علي وبين هؤلاء او واحد منهم؟ وإنما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة، في فرقة فلما أصفق المسلمون على من أصفقوا عليه كائنا ما كان دخلوا في الجماعة، وهكذا فعل من أدرك من هؤلاء ابن الزبير ومروان، فانهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك بن مروان دخلوا في الجماعة وبايعه من أدركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير ولا تفضيلاً لعبد الملك على ابن الزبير، لكن لما ذكرناه. وهكذا كان أمرهم في علي ومعاوية رضي الله عنهما،

« فلاحبت نوكة هؤلاء المجانين والحمد لله رب العالمين .

« فصح ضرورة بكل ما ذكرنا أن القوم أنزلوه منزلة غير غالين فيه ، ولا مقصرين به رضي الله عنهم اجمعين ، وانهم قدموا الاحق فالاحق والافضل فالافضل ، وساووه بنظرائه منهم

» ثم أوضح برهان وأبين بيان في بطلان أكاذيب الروافض أن عليا رضي الله عنه اذ دعا لنفسه بعد قتل عثمان رضي الله عنه سارعت طوائف من المهاجرين والانصار الى بيعته، فهل ذكر أحد من الناس قط أن أحداً من الذين بايعوه اعتذر اليه مما سلف من بيعتهم لابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ؟ أو هل تاب أحد منهم من جحدته للنص على امامته ؟ أو هل قال أحد منهم لقد تذكرت النص الذي كنت نسيته في أمر هذا الرجل ؟ ان عقولا خفي عليها هذا الظاهر اللائح لمقول مخدولة لم يرد الله أن يهديها

» ثم مات عمر رضي الله عنه وترك الامر شورى بين ستة من الصحابة رضي الله عنهم علي أحدهم ، ولم يكن في تلك الايام الثلاثة سلطان يخافه أحد ولا رئيس يتوقع، ولا مخافة من أحد، ولا جند معد للتغلب

» أفترى لو كان لعلي رضي الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله ﷺ، أو من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم . اما كان الواجب على علي رضي الله عنه أن يقول : أيها الناس كم هذا الظلم لي ؟ وكم هذا الكتمان لحقي ؟ وكم هذا الجحد لنص رسول الله ﷺ علي ؟ وكم هذا الاعراض عن فضلي البائن على هؤلاء المقرونين بي ؟ فاذا لم يفعل فلا أدري لماذا ؟ أما كان في بني هاشم على كثرتهم يومئذ أحد له دين يقول هذا الكلام ؟ إما العباس عمه - وجميع المسلمين على توقيره وتعظيمه، حتى ان عمر رضي الله عنه توسل به إلى الله عز وجل بحضرة المسلمين في الاستسقاء ، واما أحد بنيه ، واما عقيل ، واما أحد بني جعفر وبني الحارث أو بني أبي لهب أو مواليهم . فاذا لم يكن أحد منهم يتقي الله عز وجل ولا يأخذه في قول

الحق مدهنة، اما كان في جميع اهل الاسلام من المهاجرين والانصار وغيرهم واحد يقول : يامعشر المسلمين قد زالت الرقبة ، وهذا الرجل علي بن أبي طالب له حق واجب بالنص عليه، وله فضل بائن ظاهر لا يمتري فيه، فبايعوه ، فامر به بين اصفاق جميع الامة اولها عن آخرها من برقة إلى خراسان ومن اذربيجان وأرمينية الى أقصى اليمن إذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا الرجل واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه ، وليس هنالك شيء يخافونه - لأحدى عجائب المحال الممتنع ، وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك إذ صار الحق حقه وقتلوا أنفسهم دونه ، فاين كانوا عن إظهار ماتنبت له الروافض الاندال بعد مائة وخمسين عاما ؟ ثم مع هذا السكوت والنسيان كيف بلغ الروافض علمه ؟ ومن بلغه اليهم ؟ ثم العجب اذا كان غيظهم عليه هذا الغيظ الذي تزعمه الروافض كذبا منهم ، واتفاقهم على جحد حقه هذا الاتفاق كيف تورعوا عن قتله ليستربحوا منه ؟ ام كيف أكرموه وبروه « انتهى ماذ كرتنه من كلام الامام ابي محمد بن حزم ملخصا وهو شاف كاف في الرد على هذا المعارض واهل مذهبه

فصل

﴿ في وصف العالم الزيدى الشيعة الامامية بالنلو كالباطنية ، وإثبات غلو الزيدية دون ذلوهما ﴾

وأما قوله (واهل البيت وصفوة شيعتهم لم يصنعوا إلا كما صنع علي ، فلم يفلو غلو الامامية ولا الباطنية ، نسأل الله العافية)

(فالجواب) أن يقال : ماذ كره هذا المعارض كاف في غلوه في حق علي رضي الله عنه ، وفي الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وفي قلة الحياء ، ودعواه تشبه دعوى الامامية ، لان دعوى الفريقين من أبطل الباطل وأبين المحال ، وان كان

قول الامامية والباطنية أظهر بطلانا وأبين صلاا ، وعندهم من الدلائل الباطلة والاحديث المكذوبة أكثر مما عندهذا وسلفا ، حتى انهم يستدلون بآيات كثيرة من القرآن كما رأيناه مسطورا في كتبهم ، وفي هذا لك عبرة عظيمة تبين لك أن ليس كل من ادعى اتباع اهل البيت مصيب في دعواه . والله أعلم

وأما قوله: في المسئلة الرابعة - ما المراد بقوله تعالى (وان تطاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) ثم ذكر ما ذكره ابن مردويه عن أسماء بنت عميس سمعت رسول الله ﷺ يقول « وصالح المؤمنين: علي بن أبي طالب » فهذا الأصل دعوى اهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم في تخصيص علي بالآية السكرية - إلى قوله - وانظر بعين الانصاف في آية المباهلة حين جعل علي عليه السلام مع أخيه المصطفى نفس الانفس ، وهل أخرج رسول الله ﷺ بيانا للانفس غير علي؟ بل ترك القريب والبعيد وأبرز عليا وفاطمة والحسين سلام الله عليهم

(فالجواب) من وجوه (الوجه الاول) أن يقال ذكر صاحب الدر المنثور في تفسير الآية أقوالا عن المفسرين ، فأول ما ذكر في ذلك قال: أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أبي يقرؤها وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر . وأخرج ابن عساكر عن ميمون بن مهران مثله ، وأخرج ابن عساكر عن الحسن البصري في قوله (وصالح المؤمنين) عمر بن الخطاب رضي الله . وأخرج ابن عساكر عن مقاتل بن سليمان قال: ابو بكر وعمر وعلي . وأخرج ابن عساكر من طريق مالك بن أنس عن زيد بن زيد في قوله (وصالح المؤمنين) قال الانبياء ، وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله (وصالح المؤمنين) ابو بكر وعمر . وأخرج الطبراني وابن مردويه وابونعيم في فضائل الصحابة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله (وصالح المؤمنين) قال صالح المؤمنين ابو بكر وعمر ، وأخرج في الاوسط وابن مردويه عن ابن عمر

وابن عباس في قوله (وصالح المؤمنين) قال نزلت في أبي بكر وعمر. وأخرج سعيد ابن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله (وصالح المؤمنين) قال نزلت في عمر بن الخطاب خاصة. وأخرج الحاكم عن أبي أمامة في قوله (وصالح المؤمنين) قال أبو بكر وعمر

فكل هذه الروايات نقلها السيوطي، ثم ذكر الروايات في انها في علي، وذكر ان اسنادها ضعيف، فهي لاء أئمة التفسير قد نقضوا عليك ما دعيت من الخصوص (الوجه الثاني) قوله (الملازم له في جميع الطرائق، المؤنس له في مدلهات المضايق) فيقال: تخصيص علي بذلك دون سائر الصحابة كذب ظاهر، ومكابرة عند أولي البصائر، كما يعرف ذلك من طالع كتب السير والتواريخ، وهو رضي الله عنه من صغار السابقين الأولين في السن

(الوجه الثالث) قوله (وعند ابتداء النبوة والتفرد عن الناس بدين الله الأتم المستنكر عند أهله وقومه ﷺ استوحش غاية الوحشة، وكان علي هو الولي الأتم، والفاضل الأقدم)

فيقال: تخصيص علي بذلك دون خديجة وزيد بن حارثة وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم اجمعين كذب ظاهر فاحش، وغلو لا يمتري فيه إلا كل جاهل غبي، ومعلوم ان خديجة عليها السلام ورضي الله عنها أعظم من آتته عند ابتداء الوحي، كما ثبت في الصحيحين والسانيد والسنن والسير وكتب التفسير «انه عليه السلام لما نزل عليه الوحي في غار حراء وغطه الملك ثلاث مرات حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله وقال له (اقرأ باسم ربك الذي خلق - الى قوله - مالم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة. وقال «زملوني زملوني» وأخبرها الخبر وقال «لقد خشيت على نفسي» فقالت له خديجة: ابشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم،

وتعين على نوائب الحق . ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب - فقالت : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى . فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ، ليتني فيها جذع ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : «أو مخرجي هم ؟» قال : نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا — الحديث بطوله » ولهذا استحقت أن يرسل إليها ربها تبارك وتعالى بالسلام على لسان رسوله جبرائيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، كما ثبت ذلك بالاسانيد الصحيحة

(الوجه الرابع) انه من المعلوم المقرر عند اهل الاخبار والسير أن علي بن أبي طالب كان حال البعثة صغيرا قيل ابن ثمان سنين وقيل عشر . فهم متفقون على انه لم يبلغ الحلم حين البعثة . وأما أبو بكر الصديق وزيد بن حارثة وغيرهما من كبار الصحابة فلم يختلف احد من اهل العلم في انهم حال البعثة رجال بالغون ، وهم أعظم ملازمة ومؤانسة للنبي ﷺ إذ ذاك من علي . ولهذا ذكر أهل العلم أن زيد بن حارثة هو الذي كان معه حال خروجه الى الطائف يدعوهم الى الله ، وأن أهل الطائف لما ضربوه وأخرجوه وأمروا سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماء جعل زيد بن حارثة يقيه بنفسه ، ولهذا ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ : هل آتى عليك يوم اشد عليك من يوم أحد ؟ فقال « لقد آتى علي من قومك وكان اشد ما لقيت منهم اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال ، فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب » الحديث

وكذلك أبو بكر رضي الله عنه ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص انه قيل له : أخبرنا بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ ؟

قال « بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله » الآية - الحديث، وكان رفيقه وأنيسه وصاحبه في الغار وسفر الهجرة . كما اتفق عليه الموافق والمخالف

(الخامس) قوله : حتى أحجم أصحاب أخيه ﷺ - ثم ذكر قصة قتل علي رضي الله عنه عمرو بن عبدود .

(فيقال) قوله ان الصحابة أحجموا عن عمرو وكذب ظاهر ، وأما كون علي رضي الله عنه هو الذي قتله فأمر مشهور، وذلك لا يقتضي فضله على من سواه وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال الزبير : انا ، ثم قال « من يأتينا بخبر القوم ؟ » فقال الزبير : انا ، فقال النبي ﷺ « ان لكل نبي حوارى وان حوارى الزبير » وفي رواية : أن رسول الله ﷺ ندب الناس فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، فقال النبي ﷺ « ان لكل نبي حوارى وان حوارى الزبير »

فالسابقون الاولون قد ورد لهم من الفضائل والخصائص مثل ماورد لعلي (الوجه السادس) قوله : حتى ردت راية رسول الله ﷺ حتى قال « لا بعنن بالراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله »

فيقال قد ثبت ان رسول الله ﷺ قال هذا لغيره من الصحابة وليست من خصائصه ، بل هي فضيلة شاركة فيها غيره ، بخلاف ماثبت من فضائل أبي بكر وعمر . فان كثيراً منها خصائص لهما لا سيما فضائل أبي بكر . فان عامتها خصائص لم يشركه فيها غيره كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ انه قال « ان أمن الناس علي في صحبته وذات يده أبو بكر » وقال « مانفعني مال مانفعني مال أبي بكر »

(الوجه السابع) احتجاجه بحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » تقدم

الجواب عايه في كلام ابن حزم بما يكفى

حديث المباهلة ، وانت مني كراسي من جسدي ١٨٩

وأما احتجابه بحديث المباهلة فنفس الحديث يدل على ان ذلك ليس من خصائص علي رضي الله عنه لانه قد شاركه فيه فاطمة وحسن وحسين كما شاركوه في حديث الكساء، فعلم أن ذلك لا يختص بالرجال ولا بالذكور ولا بالأئمة ، بل شاركه فيه المرأة والصبي فان الحسنين كانا صغيرين عند المباهلة فان المباهلة كانت لما قدم وقد نجران بعد فتح مكة سنة تسع او سنة عشر والنبي ﷺ مات ولم يستكمل الحسين سبع سنين والحسن أكبر منه بنحو سنة، وانما دعا هؤلاء لان الله أمر أن يدعو كل واحد من المتباهلين الابناء والنساء والانفس ، فيدعو الواحد من أولئك أبناءه ، ونساءه ، وأخص الرجال به نسبا ، وهؤلاء أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وإلا كان غيرهم أفضل منهم عنده، فلم يؤمر أن يدعو أفضل أتباعه لان المقصود ان يدعو كل كل واحد أخص الناس به، لما في جيلة الانسان من الخوف عليه وعلى ذوي رحمه الاقربين اليه. ولهذا خصهم في حديث الكساء لهم، والمباهلة مبناها على العدل فاولئك أيضاً يحتاجون ان يدعوا أقرب الناس اليهم نسباً ، فهم يخافون عليهم مالا يخافون على الاجانب. والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

وأما قوله (حتى روى المحدثون من فضائله قول رسول الله ﷺ « أنت مني كراسي من جسدي »)

فالجواب أن يقال : هذا الحديث لا يعرف في شيء من الكتب المعتمدة كالصحيحين والسنن والمسانيد ، ولم يصححه أحد من أهل الحديث المعروفين بنقد الحديث ، والتميز بين صحيحه من موضوعه ، ومجرد رواية بعض أهل الكتب لا توجب صحته، لان كثيراً من أهل الكتب يروون في كتبهم الصحيح والحسن والضعيف والموضوع . وذلك لأنهم يميزون بين الحديث الذي تقوم به الحججة

١٩٠ انصراف وصيته (ص) بأهل بيته إلى من في زمنه منهم

مما لا تقوم به الحجة . ولهذا كانوا يخرجون في كتبهم جميع الاحاديث الصحيحة والضعيفة والحسنة والموضوعة ، وأهل الخبرة بالحديث وعلمه ورجاله يميزون الحديث الصحيح من غيره ، كما يميز الصيرف البصير الدراهم المغشوشة ، والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل

ثم قال المعترض (فاذا تقرر ذلك فقد قال كثير من العلماء المحققين إن المطلق اذا ورد صرف وخص بالأغلب المؤلف المعروف حال الورود مثل تحريم الميتة في قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) فانه ينصرف الى الاكل خاصة دون الانتفاع والترطب ، ولا ياحل تحريم غير الاكل بالآية بأدلة السمنة ، فكذلك نصنع في قوله (وصالح المؤمنين) فانه مطاق فيصرف الى تخصيص الولاية بعلي رضي الله عنه . ويؤيد التخصيص الاضافة لثبوتها وهو التخصيص ، اذ هو اولى من جعلها للعموم كما ذكره الحبيب ، لان العموم يوجب المصير الى كون الاضافة بيانية وهو خلاف الغالب في الاضافة ، ولو جازت غلبت الولاية ، وحصلت لصحابي بما لزمته لرسول الله ﷺ مثل علي عليه السلام لتلقيه بالقبول ووضعناه على الرأس ولا نحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله)

(فالجواب) من وجوه (احدها) أن يقال : امكنت والله الراعي من سواء الثمرة ، ونقضت الاصل الذي اصلت ، والدلائل التي اوردت من الاحاديث التي سطرت ، كحديث زيد بن ارقم في قوله « فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين : كتاب الله وعترتي اهل بيتي » الخ . فيقول لك خصمك : هذا محمول على اهل بيته المهودين المعروفين في زمانه ولا يدخل فيهم من بعدهم من الذرية . وهذا عكس مراد المعترض ، لانه قرر في كلامه ان اهل البيت كلهم ، من كان منهم من الصحابة ومن جاء بعدهم من ذرياتهم - انهم كلهم داخلون في عموم هذه الآيات التي

تعريف العام في الاصول وكون المطلق لا يدل على الافراد ١٩١

أورد ، والاحاديث التي ذكر ، فكيف يقول هذا الجاهل بكلام الله ورسوله ، وكلام اهل العلم : ان المطلق اذا ورد صرف وخص بالاغلب المؤلف المعروف حال الورد . فيقول لك خصمك : دلالة هذه التي اوردت محمولة على اهل بيته المهودين المعروفين في زمانه كالعباس واولاده وجمعه واولاده وعقيل واولاده وأبي سفيان بن الحارث واولاده واولاد أبي لهب ، وعلي واولاده منهم ، ولا يدخل فيهم من بعدهم من الذرية ، فها هذا الاعتراض البارد الذي كشف الله به عورتك وجعلك به ضحكة عند من نظر في كلامك ؟ وهذا الوجه كاف في رد كلام هذا المعارض (الوجه الثاني) أن يقال قوله عن كثير من العلماء المحققين ، ان المطلق إذا ورد صرف وخص بالاغلب المؤلف المعروف حال الورد مثل تحريم الميتة في قوله (حرمت عليكم للميتة) فانه ينصرف الى الاكل خاصة دون الانتفاع والترطب الخ . فهذا يدل على جهل هذا المعارض بما ذكره علماء الاصول المحققون . فقد قال ابو زرعة أحمد بن الامام عبد الرحيم بن الحسين العراقي الشافعي في شرحه على جمع الجوامع لابن السبكي تقي الدين رحمه الله — وهذا لفظ الماتن والشارح : (العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر) [ش] فهم من تصدير تعريف العام باللفظ انه من عوارض الالفاظ ، والمراد لفظ واحد للاحتراز عن الالفاظ المتعددة الدالة على أشياء متعددة ، وخرج بقوله (يستغرق) المطلق فانه لا يدل على شيء من الافراد اصلاً ، والنكرة في سياق الاثبات مفردة كانت أو مثناة أو مجموعة أو عدداً ، فانها انما تتناول الافراد على سبيل البذل ، واحتراز بقوله (الصالح له عما لا يصلح ، فعدم استغراق « ما » ان يعقل انما هو لعدم صلاحيتها له أي عدم صدقها عليه لالكونها غير عامة ، وخرج بقوله (من غير حصر) أسماء العدد فاتها متناولة للصالح لها لكن مع الحصر ، وهذا مبني على انها ليست عامة ، وتبعه المصنف هناك ، وزاد البيضاوي وغيره في هذا التعريف « بوضع واحد » ليخرج المشترك اذا أريد به معناه .

١٩٢ دخول الصور النادرة والمجاز في صيغة العموم

فانه مستغرق لما يصلح له لكن بوضع واحد، فتناوله لها ليس من العموم
(ص) والصحيح دخول النادرة وغير المقصودة تحته ، وانه قد يكون مجازاً ،
وانه من عوارض الالفاظ ، قيل والمعاني وقيل به في الذهن ويقال للمعنى أعم ، واللفظ عام
(ش) فيه مسائل (الاولى) الصحيح أن الصورة النادرة تدخل في العموم .
وقال الشارح: زعم المصنف ان الشيخ أبا اسحاق الشيرازي حكى فيه خلافا ولم
أجده في كتبه وانما يوجد في كلام الاصوليين اضطراب فيه يمكن أن يؤخذ
منه الخلاف ، وكذا في كلام الفقهاء ولهذا اختلفوا في المسابقة على الفيل على وجهين
(أصبحهما) نعم لقوله عليه السلام « لاسبق إلا في خف أو حافر » (والثاني) لا ،
لأنه نادر عند المخاطبين في الحديث

(الثانية) الصحيح دخول الصور التي ليست مقصودة في العموم ، فان اللفظ
متناول لها ولا انضباط للمقاصد ، ومن حكى الخلاف في ذلك القاضي عبد الوهاب
ويوجد في كلام أصحابنا ، ولهذا قال في البسيط - بعد حكاية الخلاف في ذلك
فيما لو وكاه بشراء عبد فاشترى من يعتقه على الموكل . ومثار الخلاف التعلق بالعموم
والالتفات إلى المقصود

(الثالثة) الصحيح ان المجاز كالحقيقة في انه قد يكون عاما، فلم ينقل عن أحد
من أئمة اللغة ان الالف واللام أو النكرة في سياق النفي أو غيرها من صيغ
العموم - لاتنفيد العموم إلا في الحقيقة، وخالف فيه بعض الحنفية، فزعم أن المجاز لا يعم
بصيغته لانه على خلاف الاصل

(الرابعة) لا خلاف ان العموم من عوارض الالفاظ وليس المراد وصف
اللفظ به مجرداً عن المعنى، بل باعتبار معناه الشامل للكثرة . وعطف المصنف ذلك
على ما عر فيه بالاصح يقتضي خلافا فيه . قال الشارح : وينبغي أن يجعل استثناء
لاعطفا على ما قبله ، قلت : يمكن انه أراد انه من عوارض الالفاظ فقط ، فيرجع

التصحيح إلى تضعيف القول بأنه من عوارض المعاني أيضاً لا إلى كونه من عوارض الالفاظ ، ولذلك عقبه بقوله : قيل والمعاني . والذاهبون إليه اختلفوا في ان عروضة المعاني هل هو حقيقة أو مجاز ، فقال بعضهم حقيقة ، فكما صح في الالفاظ شمول أمر لمتعدد صح في المعاني شمول معنى لمعاني متعددة بالحقيقة فيها . وقال القاضي عبد الوهاب : مراد قائله حمل الكلام على عموم الخطاب وان لم يكن هناك صيغة تعمها ، كقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) ان نفس الميتة وعينها لما لم يصح تناول التحريم لها عمداً بالتحريم جميع التصرف فيها ، من الأكل والبيع واللبس وسائر أنواع الانتفاع ، وإن لم يكن للاحكام ذكر في التحريم لا بعموم ولا بخصوص . انتهى ما ذكره ابن السبكي وابو زرعة احمد بن عبد الرحيم في الشرح المذكور ، وقال المقدسي من الحنابلة : قوله (حرمت عليكم الميتة) هي ظاهرة في جميع أنواع التصرف واستدل على ان المراد جميع أنواع التصرف فيها بأدلة ذكرها وكذلك قال ابن عقيل بحرم جميع الافعال فيها ، وقد ذكر انه قول الجبائي وابنه وعبد الجبار ، فظاهر هذا ، بل صريحه ان هذه الآية عامة في كل نوع من الانتفاع ولهذا احتج بها احمد في دباغ جلود الميتة ، قال في رواية صالح : إن الله قال (حرمت عليكم الميتة) فالجلد هو من الميتة وههنا احتج بها احمد على عدم الانتفاع بالجلد فظهر بما ذكر عن هؤلاء الأئمة بطلان ما ذكره هذا المعترض في عدم شمول الآية في أنواع الانتفاع ، ولهذا ثبت في الصحيح والسنن من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال - عام الفتح وهو بمكة - « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام » فقيل يا رسول الله : أرأيت شحوم الميتة ، فانه يعطى بها السفن ويدهن بها الجلود ، ويستصبح بها الناس ؟ فقال رسول الله ﷺ « لا ، هو حرام » قال رسول الله ﷺ عند ذلك « قاتل الله اليهود إن الله تعالى لما حرم عليهم شحوم الميتة جعلها ثم باعوها فأكلوا ثمنها »

١٩٤ رواة أهل السنة لا يتعصبون في الروايات كالشيعة

وروى ابوداود في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ جالسا عند الركن، قال فرفع بصره الى السماء فضحك فقال « لعن الله اليهود - ثلاثا - ان الله تعالى حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وان الله عز وجل إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم أكل ثمنه »

فصل

واما قوله (فلو جاءت غلبة الولاية وحصلت لصحابي للملازمة لرسول الله ﷺ مثل علي لتلقيناه بالقبول ووضعناه على الرأس ، ولا نحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله)

(فالجواب) ان يقال : قد كذبت في هذه الدعوى ، فقد علمتم انه قد ورد لغيره من الفضائل ما هو مثل فضائل علي رضي الله عنه او أعظم ، ولم تضعونها على الرأس ، بل كذبتم به ورددتموه بمجرد الدعاوي الباطلة التي يمكن كل أحد أن يدعمها فيمن يحبه ويهواه . فان كنت صادقا كما زعمت فقل لنا ، حتى نكتب لك ذلك وننقله من الكتب الصحيحة والتفاسير المأثورة .

فان قلتم لا تقبل رواية خصومنا قال لكم خصومكم : لا تقبل روايتكم لانكم خصومنا ، والروايات التي روينها في فضائل اهل البيت قد روينها في فضائل الصحابة ما هو مثلها او اعظم منها ، ولم يمكنكم أن تحتجوا عليهم بحجة صحيحة لا معارض لها ، فاستحيوا من الله تعالى ومن خلقه من هذا الجنون والخبال ، الذي يفضحكم عند الرجال والنساء

فصل

واما قوله - في الاعتراض على كلام المجيب على حديث عمار رضي الله عنه - وذكر أن المجيب قد أقر على لسان اهل السنة والجماعة بان معاوية رضي الله عنه

قد أخطأ واذنب . وقد قال تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) ثم قال :
وقد نص تعالى على وجوب الظلم وما يحكم به لصاحبه فقال عز من قائل (مالا ظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع) ثم انك أقربت ببغى معاوية (رضي الله عنه) وأصحابه
ثم حكمت له بالمغفرة وبالجنة بعد ثبوت الفاحشة منه ، وهو البغى . وقد قال تعالى
(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ويقرنه بالفحشاء والمنكر ويدخل فاعله الذي لم يتب
منه ومات مصراً عليه الجنة ؟ ما هذا حكم بالعدل ؟)

(فالجواب) من وجوه (أحدها) ان يقال : انت قد نقضت كلامك هذا
كله في كلامك الذي قبل هذا بأسطر يسيرة ، بقولك قل كثير من العلماء المحققين
ان المطلق إذا ورد صرف وخص بالاغلب المؤلف المعروف حال ورود - إلى
آخره ، وذلك انه من المعلوم ان هذه الآيات التي جعلتها متناولة لأصحاب رسول
الله ﷺ ، وهو معاوية رضي الله عنه ومن معه ، يقول لك منازعوك : ان المعروف
المشهور عند اهل التفسير انها نزلت في اهل الشرك والكفر ، فكيف جعلتها في
أصحاب رسول الله ﷺ ولم تخص بها اهل الكفر المؤلف المعروف في حقهم ؟
(الوجه الثاني) ان المجيب ذكر ان الحديث على ظاهره ولم يغيره ولم يؤوله
ولكن ذكر ان اثبات البغى لهم لا يوجب فسقهم ولا كفرهم إذا كانوا متأولين
مخطئين في ذلك ، والمجيب لا ينزههم من الذنوب والخطأ ، لكنه ذكر ما دل عليه
كتاب الله من أن البغى لا ينفي الايمان عن فعله ، كما قال تعالى (وإن طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي
تبغى حتى تنفيء إلى أمر الله) فسامهم الله مقتتلين مع الايمان

(الوجه الثالث) قوله : فأين فائدة كلام الحكيم ﷺ ؟ فيقال انما يعرف فائدة
كلام الرسول ﷺ أهل العلم والايمان ، فهم الذين يهتدون به ويعرفون معناه

١٩٦ حمل الشيعة آيات الظلم والكفر على معاوية وكحمل الخوارج لها على علي

ويقلونه كعلي رضي الله عنه وأصحابه ومن شابههم من أهل الفهم والمعرفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأما أهل الجهل والضلال فهو عليهم عى وضلال كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى ، أولئك ينادون من مكان بعيد) كهذا المعترض ومن شاكله الذي يتناقض في السطر الواحد ويرد كلامه بعضه بعضاً وهو لا يشعر ولا يدري. والفائدة في حديث عمار قد علقها أهل السنة والجماعة، وهو أنهم علموا أن قتلة عمار فئة باغية على الامام ، وان علياً رضي الله عنه وأصحابه أولى بالحق من معاوية رضي الله عنه وأصحابه وهذا هو الفائدة في الحديث ، ومن فهم منه غير ذلك فقد أبعد النجعة وتكلف مالا علم له به

(الوجه الرابع) أن يقال حمل هذه الآيات التي ذكرها على معاوية وأصحابه مثل حمل الخوارج آيات الشرك والكفر والظلم على علي رضي الله عنه وأصحابه سواء بسواء ، فكما ان كلام الخوارج معلوم البطالان بضرورة العقل فكذلك حمل هذه الآيات على معاوية رضي الله عنه وأصحابه معلوم البطالان بالضرورة فما هذه الوقاحة وقلة الحياء وصفاقة الوجوه ؟

(الوجه الخامس) أن يقال قوله ماهذه السوابق والحسنات التي لهم ؟ هل قتل عمار وخزيمة ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وغيرهم من المهاجرين والانصار ؟ فيقال الحسنات العظيمة التي لا مطمع لأحد فيها هي صحتهم لرسول الله ﷺ وجهادهم معه الذي لو أنفق الرجل مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، كاثبت أن رسول الله ﷺ قال لخالد بن الوليد — لما جرى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما كلام ومنازعة ، فقال له النبي ﷺ « يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما بلغت مد أحدهم ولا نصيفه » هذا كلامه في خالد وهو من جملة الصحابة . لكنه ليس من السابقين الاولين ، فكيف بمن لم يصحبه ؟

وأما قتل عمار وخزيمة وأبي الهيثم وغيرهم رضي الله عنهم فأنما فعلوا ذلك بتأويل واجتهاد وكل من الفريقين يظن أن الحق والصواب معه وعلي رضي الله عنه وأصحابه قتلوا الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وغيرهم من السابقين ومن الصحابة رضي الله عنهم فما ذكرت في معاوية وأصحابه ففي علي وأصحابه ماهو مثلهم فصيح يقيناً أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الحق والصواب وهو محبة جميع الصحابة رضي الله عنهم ، والترضي عنهم، والدعاء لهم ، والكف عما شجر بينهم رضي الله عنهم أجمعين

فصل

وأما قوله (فهذا ابن رسول الله ﷺ محمد بن علي بن القاسم ابو طالب حفظه الله قد حكمك وفوض اليك بسؤاله بان تحكم بين جده علي بن ابي طالب ومن معه من المهاجرين والانصار وشيعة اهل العراق واهل اليمن اهل الايمان ، من حمير وهمدان، وبين معاوية ومن معه من اهل الشام الطغام أعداء الرحمن، فحكمت بما قاله خصماء علي بن أبي طالب ، وهم ممن رضي فواقر معاوية وصنيعه ، وهم الموالون له المحبون له ولاصحابه المتسمون باهل السنة والجماعة. فكان السائل عندكم لم يعرف كتاب الله ولا ماجاء به جده ﷺ - الى قوله - وهيات أن يطمع في ذلك طامع ، فقلوبهم قد نبت فيها حب آل محمد ﷺ ورسخ لما رأوا من حلاوته ، وقد سقاه حسن الوفاء باجر سيد المرسلين من المودة لذريته المباركة نجوم اهل الارض، وباب حطة وباب السلام ، وسفينة نوح، وقرناء القرآن، والله المستعان) (فالجواب) من وجوه (احدها) أن يقال قوله: فحكمت بما قاله خصماء علي ابن ابي طالب رضي الله عنه، وهم ممن رضي فواقر معاوية وصنيعه كذب ظاهر، فان المجيب قد بين ان قوله هو الذي يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

١٩٨ مخالفة الشيعة لاهل السنة في الصحابة وآل البيت

وبما تواتر عن علي رضي الله عنه أنه كان يسمي اهل الشام اخوانه . وقال : « هؤلاء اخواننا قد بغوا علينا » كما ذكره غير واحد من علماء السير والتواريخ (الوجه الثاني) قوله في اهل الشام: الضغام اعداء الرحمن - كذب وفجور ، وقول بلا دليل ، ومخالفة لما عليه جماعة جميع اهل البيت ، ولازمه الطعن في أكابر اهل البيت كالحسن والحسين وابن عباس وابن جعفر لان هؤلاء كلهم قد بايعوا معاوية رضي الله عنه وصاروا من جملة رعيته بلا إكراه كما تقدم تقريره وكما سيأتي في فصل كلام اهل البيت رضي الله عنهم في معاوية رضي الله عنه

(الوجه الثالث) قوله في اهل السنة : وهم ممن رضي فواقر معاوية - وهذا ايضا كذب بين وبهتان فان المجيب وسلفه من اهل السنة لا يرضون بقتال معاوية واصحابه لعلي ، بل الصواب عندهم ان معاوية ومن معه في طاعة امير المؤمنين وبيعتهم ، ولا يرضون بسب علي وأهل بيته ، بل ينكرونه على من فعله اورضيه ، كما ملئت كتبهم بذلك وهذا المعتبر يعلم ولكن من يجادل بالباطل

(الوجه الرابع) قوله: وهم الموالون له المحبون له ولاصحابه فهذا صدق وصواب فان اهل السنة يقولون جميع الصحابة كلهم ، ويظهرون أسنتهم من الخوض في تلك الحروب الواقعة بينهم ، بمعنى انهم يحملون ذلك على المحمل الحسن اللائق بهم لأن الله أثنى على جميع الصحابة في كتابه العزيز بقوله (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل. اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى) ويعرفون للسابقين الاولين حقهم على من بعدهم وينزلون كلا منزلته التي أنزله الله إياها فلم يفعلوا كفعل الروافض والزيدية والخوارج الذين يفرقون بينهم فيقولون بعضهم ويبغضون ويتبرءون من بعضهم ، وهذا هو الذي تدل عليه الدلائل الصحيحة من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الثابتة بالاسانيد المرضية

(الوجه الخامس) قوله : فوجدك قد قلت بمقالة أهل الانحراف عن الآل - وهذا أيضاً من نمط ماتقدم من كذبه وفجوره وقلة حياته من الناس فان الحبيب قد بين ان مقالته التي ذهب اليها هو وسلفه هي التي عليها آل محمد ﷺ . وقد نقل في كلامه لفظهم بحروقه ، وبين ان دعوى المعتز اتباع الآل كذب وجعل وخيال لا يعجز عن أحد من الناس

(الوجه السادس) قوله عن أهل السنة : انهم أصلوا اصولهم وقعدوا قواعدهم على اساس أسسه لهم بنو أمية وبنو العباس - وهذا أيضاً من كذبه وفجوره ، وذلك ان أهل السنة انما أصلوا اصولهم على ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من وجوب طاعة أولي الامر كما تقدم ذكر الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة اول هذا الجواب بما اغنى عن إعادته

فان قال : ان تلك الآيات والاحاديث لا تدل على ذلك ، او انها مخالفة لكتاب الله ، او انها مكذوبة على رسول الله ﷺ أمكن خصمك ان يقول مثل ذلك في الاصول التي أصلت ، والدلائل التي قررت

(الوجه السابع) أن يقال : أنت قد تبرأت وتنصلت من الملوك الظلمة من بني العباس ، وهم من آل محمد بالاجماع ، وداخلون في مسمى عترته عند جميع فرق الامة ، فهذا يبطل جميع ما أورده من الدلائل التي معك في اتباع أهل البيت ، فاذا كان من أهل البيت من هو من الملوك الظلمة أئمة جور فكذلك يقال فيمن خالفوا الكتاب والسنة من آل علي سواء بسواء ، ولا يمكنك ان تأتي بحجة صحيحة لا معارض لها في دخول آل علي في تلك الدلائل وخروج غيرهم منها ، فأبطلت بكلامك ما أصلمته ورددت على نفسك بنفسك ما قررت وأنت لا تشعر ، وهذا حال من يتكلم في مثل هذه الامور العظيمة بمثل هذه الجهالات والخبالات التي يأنف منها أهل العرفان ، بل ينفر منها الصبيان ، عياذاً بالله من الخزي والخذلان

٢٠٠ اختلاف جيش علي عليه واتفق جيش معاوية عليه

(الوجه الثامن) ان يقال قوله عن السائل وشيعته وهم اهل اليمن من همدان وحبر وذرية من قاتل معاوية وأهل الشام في صفين مع وصي رسول الله ﷺ وأخيه القاتل في همدان ، حين شقت سيوفهم قلوب العدوان من اهل الشام الطغام في ذلك الاوان :

فلو كنت يوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام فهذا من اظهر الكذب وأجبر الفجور في انه قد مدحهم بما ليس فيهم ، والدليل على ذلك ما ذكره اهل الاخبار والسير من ان عسكروا عليا اختلفوا عليه اختلافا كثيرا وآذوه اذى عظيما ، حتى مل منهم وتمنى الموت وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام - وهو من أئمة الحديث والفقه واللغة - عن حدثه عن ابي سنان المجلي قال قال ابن عباس لعلي رضي الله عنه « ابعثني إلى معاوية فوالله لا أقتل له جبلا لا ينقطع وسطه » فقال « لست من مكري ومكره في شيء ، ولا اعطيه الا السيف حتى يغلب الحق الباطل » فقال ابن عباس رضي الله عنه « او غير ذلك » قال « كيف ؟ » قال « انه يطاع ولا يعصى ، وأنت عن قريب تعصى ولا تطاع » قال : فلما جعل اهل العراق يختلفون على علي رضي الله عنه قال « لله ابن عباس انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق »

وحدثني خلاد بن يزيد الجعفي حدثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الشعبي أو أبي جعفر الباقر - شك خلاد - قال : لما ظهر أمر معاوية (رض) دعا علي (رض) رجلا وأمره أن يسير إلى دمشق ، فيعقل راحلته على باب المسجد ، ويدخل بهيمة السفر ففعل الرجل وكان قد وصاه ، فسأله : من أين جئت ؟ قال من العراق قالوا ما وراءك ؟ قال تركت عليا قد حشد اليكم ونهد في اهل العراق ، فبلغ معاوية رضي الله عنه فأمر أبا الاعور السلمي بحقق أمره ، فأتاه فسأله فأخبره بالامر الذي شاع ، فنودي الصلاة جامعة ، فامتأ الناس في المسجد ، فصعد معاوية المنبر وتشهد

ثم قال : ان عليا قد نهى اليكم في اهل العراق فما الرأي ؟ فضرب الناس أذقانهم على صدورهم ، ولم يرفع اليه احد طرفه . فقام ذو الكلاع الحميري فقال : عليك الرأي وعلينا ام فعال - يعني الفعال - فنزل معاوية ونودي في الناس ، اخرجوا إلى معسكركم ، ومن تخلف بعد ثلاث أحل نفسه ، فخرج رسول علي حتى وافاه وأخبره بذلك ، فأمر علي رضي الله عنه فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان رسولي الذي أرسلته إلى الشام قد قدم علي وأخبرني ان معاوية قد نهى اليكم في اهل الشام فما الرأي ؟ قال فأضرب اهل المسجد يقولون يا امير المؤمنين الرأي كذا الرأي كذا ، فلم يفهم علي كلامهم من كثرة كلامهم وكثرة اللفظ ، فنزل وهو يقول إنا لله وإنا اليه راجعون ، ذهب بها ابن أكلة الاكباد . يعني معاوية (رض)

وقال الاعمش حدثني من رأى علياً يوم صفين يصفق بيديه وبعض عليها ويقول « ياعجباً أعصى ويطاع معاوية ؟ »

وذكر ابن الانباري عن ابيه عن احمد بن عبيد عن هشام بن محمد عن ابي مخنف لوط قال لما توجه بسر بن ابي ارطاة اخبر عبيد الله بن عباس بذلك وهو على اليمين عامل لعلي (رض) فدخل بسر بن ابي ارطاة اليمين فأقْبى بابني عبيد الله بن عباس فذبجها وهما صغيران ، فنال امها عائشة بنت عبد الدان من ذلك امر عظيم

وذكر ابو عمرو الشيباني في خروج بسر انه اغار على همدان فقتل وسجى نساءهم ، وكن اول نساء سمين في الاسلام ، وبسر هذا له اخبار سوء بجانب علي (رض) ولا تصح له حجة قاله الامام احمد ويحيى بن معين ، قال يحيى بن معين : كان رجل سوء ، وذكر ان عليا (رض) دعا عليه ان يطيل الله عمره ويذهب عقله ، فكان كذلك

٢٠٢ خذلان اهل العراق للحسين ووجود بعض اهل اليمن مع معاوية

قال ابن دحية : ولما ذبح الصغير بن وققدت أمهما عقلها كانت تقف بالمواضع
تنشد شعرا يبكي العيون ، ويهيج بلابل الاحزان والغبون

ها من أحس بني اللذين هما كالدريتين تشغى عنهما الصدف
ها من أحس بني اللذين هما سمعي وعقلي فتبكي اليوم مختطف
حدثت بسرّاً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أحنى على ودجي ابني مرهفة مشحودة وكذلك الأثم يقتترف
ومعلوم عند من له أدنى معرفة بالاخبار ماجرى من أهل الكوفة مع الحسين
ابن علي رضي الله عنهما حين كاتبوه وأمره بالشخص والقدوم عليهم ووعده
أن يبايعوه فافتر بهم وبواعيدهم الكاذبة ، واما نبيهم الباطلة ، فشخص اليهم باهله
وولده ، وكان قد أرسل اليهم قبل ذلك ابن عمه مسلم بن عقيل رضي الله عنهما ،
فلما قرب الحسين منهم خذلوه واسلموه للقتل ، وقتل معه اثنان وثمانون رجلاً من
اصحابه مبارزة ، ثم قتل جميع بنيه إلا علياً المسمى بعد ذلك بزَيْن العابدين ، كان
مريضاً فأخذ أسيراً ، وقتل أ. ثم اخوة الحسين وبني اعمامه

فهلؤلاء شيعة اهل البيت الذين أثنى عليهم هذا المعترض ، وهم اهل اليمن
من همدان وحمر ، وقد كان مع معاوية رضي الله عنه جموع كثيرة من حمير
وغيرها من قبائل اليمن منهم ذوالكلاع الحميري كان من اشراف اصحاب
معاوية وساداتهم وقتل يومئذ من اصحاب معاوية وأمراته ومثد كريب بن
الصباح الحميري أحد الابطال قتل يومئذ جماعة ثم بارزه علي فقتله

فصل

﴿ في اعتدال اهل السنة بين غلو الشيعة وجفوة النواصب ﴾

واما قوله (وانظر تواضع الاسلام وما قال الناس ، هل أحذروى ان معاوية واصحابه ضمنوا ما فسدوا من حقوق المسلمين ، وانهم تابوا من تلك الطامة ، والفاحشة العامة ، والمعصية الكبيرة ، وهو البغي الذي اقررت به ، وهل ودوا عماراً وخزيمة وابا الهيثم وأويسا القرني سيد التابعين وغيرهم وسلموا ديارهم إلى اهلبيهم ، ام ماتوا متلطخين بدمائهم وبالفسق والعصيان ؟)

(فالجواب) ان يقال كل ما ذكر في معاوية واصحابه قد جرى مثله لعلي واصحابه او ما هو أعظم من ذلك ، وهو قتل طلحة والزبير ومن معهم من المهاجرين والانصار ، واعظم من ذلك ان قتلة عثمان مير المؤمنين رضي الله عنه كانوا مع علي وكانوا من رؤس عسكره ، فما قلت في معاوية يقال في علي رضي الله عنه . فكما تأول علي رضي الله عنه في الدماء كذلك تأول معاوية واصحابه فن صحت هذه الدعوى ففيها من القدح والغضاضة في علي والحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم مالا يخفى وهذه الحجة التي ذكرت مما يحتاج بها معاوية رضي الله عنه واصحابه على علي رضي الله عنه واصحابه ، ولا يمكنك ان تأتي بحجة صحيحة تبريء بها عليا واصحابه دون معاوية واصحابه ، إلا بالمكابرة والمعاندة

فظهر بما ذكرناه ان مذهب اهل السنة والجماعة هو الصواب الذي لا يتناقض لائن الباغي قد يكون متأولا معتقدا انه على حق وقد يكون متعمدا يعلم انه باغ وقد يكون بغية مركبا من شبهة وشهوة وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه اهل السنة . فاصلهم مستقيم مطرد في هذا الباب واما انتم فمتناقضون ، وذلك ان النواصب من الخوارج وغيرهم الذين يكفرون عليا او يفسقونه او يشكون في عدالته من المعتزلة والروانية وغيرهم لو قالوا لكم : ما الدليل على إيمان

علي وإمامته وعدله ؟ لم يكن لكم حجة ، فانكم ان احتججتم بما تواتر من اسلامه وعبادته قالوا لكم : وهذا متواتر عن الصحابة والتابعين والخلفاء الثلاثة وغيرهم ، فليس قد حنا في ايمان علي واصحابه الا مثل قد حكم في ايمان معاوية واصحابه . وان احتججتم بما في القرآن من الثناء والمدح على الصحابة . قالوا : آيات القرآن عامة تتناول غير علي منهم مثل ما تتناول عليا رضي الله عنه ، وإن أخرجتم هؤلاء من المدح والثناء فاخرجنا عليا أيسر وأهون . فان احتججتم عليهم بالنص الذي تدعون . كان احتجاجهم بالمصوص التي يدعونها في أبي بكر بل في العباس معارضاً لذلك رضي الله عنهم ، ولا ريب عندكم ان يعرف الحديث ان تلك أولى بالقبول والتصديق فاذا قال الرافضي ان معاوية رضي الله عنه كان باغياً ظالماً ، قال له الناصبي : وعلي كان باغياً ظالماً ، قتل المسلمين على امارته وبدأهم بالقتال وصال عليهم ، وسفك دماء الامة بغير فائدة لهم لا في دينهم ولا في دنياهم ، وكان السيف في خلافته مسلولاً على أهل الملة مكفوفاً عن الكفار

والقادحون في علي رضي الله عنه طوائف : طائفة تقدح فيه وفيمن قاتل جميعاً ، وطائفة تقول : فسق أحدهما لا بعينه ، كما يقول ذلك عمرو بن عبيد وغيره من شيوخ المعتزلة ، يقولون في أهل الجمل : فسقت إحدى الطائفتين لا بعينها : وهؤلاء يفسقون معاوية ، وطائفة تقول هو الظالم دون معاوية كما تقول الروائية ، وطائفة تقول كان في أول الامر مصيباً فلما حكم الحكيم كفر وارتد ، وهؤلاء الخوارج . وكلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون ، وخطأ الشيعة مثله او أظهر بطلاناً منه فان قال الذاب عن علي رضي الله عنه هؤلاء الذين قاتلهم علي كانوا بغاة ، لما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لعمار « تقتلك الفئة الباغية » ؟ فللناس في هذا الحديث أقوال منهم من قدح في حديث عمار ومنهم من تأوله على ان الباغي الطالب ، وهو ضعيف . ومنهم من تأوله على علي واصحابه . كما قال معاوية ، لما

قيل له . إن عماراً قتل ، وقد قال النبي ﷺ « تقتلك الفئة الباغية » فقال . أفنحن قتلناه ؟ إنما قتلته علي وأصحابه . جاؤا به حتى ألغوه بين أسيافنا ورمحنا . وإنما ندفع عن أنفسنا . وهذا تأويل باطل ولهذا رده أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بما لاحيلة فيه فقال إذا فرسول الله ﷺ قتل حمزة رضي الله عنه حين جاء به يقاتل المشركين وأما أهل السنة والجماعة رحمهم الله فيكلامهم مستقيم ولا مطعن فيه لأحد لأنهم اتفقوا على أنه لا يفسق واحدة من الطائفتين ، وإن قالوا في إحداهما إنهم كانوا بغاة ، لأنهم كانوا متأولين بمجتهدين ، والمجتهد المحطي لا يكفر ولا يفسق ، وإن تعمد البغي فهو ذنب من الذنوب والذنوب يرفع عقابها بأسباب متعددة كالنوبة والخسرات الماحية ، والمصائب المكفرة ، وشفاعة النبي ﷺ ودعاء المؤمنين وغير ذلك من الاسباب . ولهذا قال محمد بن شهاب الزهري - وهو من أئمة التابعين - « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمع رأيهم على أن كل دم أو مال أصيب بتأويل القرآن فهو هدر » أو كلاماً هذا معناه . أخرجه غير واحد من الأئمة

فصل

وأما قوله في تحقيق مذهب الزيدية في لعن معاوية (أنهم يظهرون — حيث يخشون التهمة — بموالاة المحرمة بنص الكتاب العزيز حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) فلا يوجبونها مطلقاً ولا يستحبونها مطلقاً) إلى آخر كلامه

(فالجواب) أن يقال : أنت قررت في أول اعتراضك أنه لو جاء ملك بلاء من إبليس — لعنه الله — على المنابر لعد مبتدعاً ، فكيف استعجزتم أيها المنتسبون إلى زيد رضي الله عنه لعن معاوية رضي الله عنه ؟ ما هذا التناقض العظيم والتهور فيما يوجب العذاب الاليم ؟

واما استدلاله بهذه الآية الكريمة (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء — وقوله — واذا رأيت الذي يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم) الآية — فهي دعوى باطلة ، كدعوى الخوارج والمبغضين لعلي رضي الله عنه واهل بيته بان هذه الآيات فيهم ، فكما ان دعواهم ظاهرة البطلان فكذلك دعواكم واما دعواه ان اهل السنة قد رضوا بسب علي رضي الله عنه فكذب عليهم لا يمتري فيه أحد ، بل هم ينكرون سب علي رضي الله عنه اشد الانكار في قديم الزمان وحديثه ، وهم الذين عملوا بقوله تبارك وتعالى (يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين) الآية

فصل

واما قوله (قد حكمت بدخوله الجنة)

(فالجواب) ان يقال هذا كذب ظاهر على المجيب ، وذلك أنه هو وسلفه من أهل السنة والجماعة لا يشهدون لمعين بالجنة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ بانه من أهل الجنة ، كالعشرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم الذين ثبتت الاحاديث في تعيينهم انهم من اهل الجنة . وامان سواهم فلا يشهدون له بذلك ولكنهم يرجون لجميع المؤمنين دخول الجنة ويخافون على من أذنب من النار . ولا يقطعون لمعين بانه من أهل الجنة او من اهل النار إلا من ثبت له ذلك في القرآن كابي لهب والوليد بن المغيرة وقوم نوح وجميع المهلكين من الامم ، ومن ذكره رسول الله ﷺ

ويقال أيضا ان كان ما قلت حقا فاول من يدخل في هذه الآيات الحسن بن علي رضي الله عنهما وأخوه الحسين ومن معهما من اهل البيت وربيعه ومضر وهمدان ، حين انخل الحسن لمعاوية رضي الله عنه من الخلافة وولى عليهما من هو عدو لله ورسوله ﷺ عنكم ، ووافقه على ذلك أخوه الحسين وكل من معه من

حمل الشيعة أخبار المرتدين على من قاتلهم من الصحابة لا عليهم ٢٠٧

المسلمين ، ورضوا بذلك من غير اكره ولا غلبة من معاوية واهل الشام ، بل بمجرد ما تقابل الجمعان جرت بينهما المفاوضة في الصلح قبل أن يقع بينهما قتال ، أفلا يستحي العاقل من هذه الخرافات ، التي تنادي على قائلها بالارتكاس في الظلمات ؟ وهذا كاف في بطلان كلامك

فصل

واما قوله (وإذا كان معاوية في الجنة فليت شعري ؛ أين تضع الأحاديث الواردة في دواوين الاسلام ، كقوله عليه الصلاة والسلام « يؤتى برجال من أصحابي فيؤخذ بهم ذات الشمال » الى آخره ذأفتنزه معاوية ومن معه مثل عمرو بن العاص وابنه عبدالله وتضعها في سعد بن معاذ وعمار وخزيمة ذي الشهاداتين ، ومن قاتل مع علي رضي الله عنه بصفين ؟ ام في العشرة المبشرة بالجنة رضي الله عنهم ؟ فأختر لنفسك أين تضعها على مقتضى شهواتك أنت وأهل السنة والجماعة) الى آخره (فالجواب) أن يقال قد بينا فيما تقدم أن أهل العلم الذين رووا هذه الاخبار حملوها على من ارتد من جفاة الاعراب بعد موت الرسول ﷺ وماتوا على الردة ، كالاسود العنسي وأصحابه الذي تنبأ بصنعاء وتبعه خلق من أهل اليمن حتى قتله الله . وكسيلة صاحب اليمامة وأصحابه ، وكأصحاب طليحة الاسدي الذين قتلهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ وكانوا خلقا عظيما ، ومنهم من قدم على النبي ﷺ وصحبه . أفنتكر انه لم يقع ردة بعد النبي ولا كفر أحد ممن أسلم في حياة النبي ﷺ حتى جرى قتال معاوية لعلي رضي الله عنها ويقال أيضاً ، دعواك أن هذه الاحاديث محمولة على معاوية ومن معه من الصحابة من جنس دعوى الخوارج الذين يكفرون عليا ومن والاه ويحملون هذه الاحاديث عليهم ، فما يمكنك أن تأتي بحجة إلا عارضوك بما هو من جنسها ، فائق الله ولا تكن من الذين يجادلون بالباطل فتكون مع الهالكين

فصل

وأما قوله (إن المراد بقوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أي أرادوا الاقتتال . وانها كقوله تعالى (من یرتد منكم عن دینه) وقول الرسول ﷺ « من بدل دینه فاقتلوه » إلى آخر كلامه)

(فالجواب) أن يقال هذا لو عارضناه بكلام أهل التفسير من أهل السنة والجماعة أو بما رووه من الأحاديث لم يقبل ذلك . فالواجب معارضة بما لا يقدر على انكاره ، وهو ما اتفقنا نحن وهم عليه وهو أن الحسن بن علي رضي الله عنهما اختلف من الخلافة لمعاوية مع حضور أهل البيت وجمهور المسلمين معه ، أفنتقول ان الحسن لا يفهم كلام الله ولا كلام رسوله ﷺ وانما عرفته أنت وشيعتك ؟ فيلزم من كلامك ان الحسن ومن معه هم الذين سلطوا الكفار والفاسق على فساد الدين ، والكفر برب العالمين

(وجواب ثان) وهو انه تواتر عن علي رضي الله عنه انه لما قتل أهل الجمل لم يفعل فيهم كفعله في الكفار المرتدين من السبي وأخذ الاموال والاجهاز على الجريح كما احتج بهذه الحجة على الخوارج حبر الامة ، وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما

(وجواب ثالث) وهو أن يقال الآية نفسها مصرحة بنقيض ما فسر بها هذا المعترض لان الله تبارك وتعالى قال في أولها (اقتتلوا) وهذا فعل ماض باجماع النحويين ثم قال (فان بقت إحداهما على الاخرى) أي بعدد الاقتتال والاصلاح . ثم قال (فان فاءت) اي رجعت عن البغي (فأصلحوا بينهما بالعدل وأفسطوا إن الله يحب المقسطين) ثم قال (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين

بطلان تأويل الزيدي لآية اقتتال الطائفتين بإرادته ٢٠٩

اخويكم واتقوا الله لعلمكم ترحون) فالآية من أولها إلى آخرها تنادي بتكذيب هذا المعارض الذي يفسر كتاب الله برأيه

(جواب رابع) وهو أن يقال: اذا جوزت أن يكون المراد بقوله تبارك وتعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أن يكون المعنى أي ارادوا الاقتتال او قوله (فان بغت إحداها) أي أرادوا البغي - جاز أن يقال ذلك في قوله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » فيكون معنى الحديث عندكم من أراد تبديل دينه وهم بذلك وإن لم يتكلم ويعمل فاقتلوه. وهذا لا يقول من يفهم مايقول . وذلك لان ما في القلوب من الارادات والنيات لا يعلمه إلا الله ، وجاز أن يكون معنى قوله (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) أي يرد قتله وإن لم يقتله . وجاز أيضاً ذلك في جميع آيات الوعد والوعيد كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها) أي يرد أن يعصي الله ورسوله ويتعد حدوده وإن لم يفعل ذلك . فان طردت ماقلت لزمك أن تقول ذلك في جميع ماشاهها في آيات الوعد والوعيد والامر والنهي .

وأما الحكاية التي ذكرها ان معاوية رضي الله عنه اظهر لأهل الشام ان علياً لا يصلي، حتى حاج بذلك بعض أهل الشام هاشم بن عتبة رضي الله عنه - فهي من اظهر الكذب والبهتان عند من له ادنى معرفة بهذا الشأن ، وقد ذكرنا بالنقول المتواترة أن أهل الشام انما قاتلوا علياً ومن معه للطلب بدم عثمان رضي الله عنه لان قتلة عثمان كانوا رءوس جيش علي، ولا يحكي مثل هذه الحكاية إلا من لا يستحي من الكذب

فصل

وأما ما ذكره من استدلاله بحديث غدير خم، وأنه ورد من روايات جماعة من الصحابة فقد قدمنا الجواب عنه. وقد بين أهل العلم أنه لا يدل على ما ذهب إليه الروافض والزيدية لأن المولى يطلق على معاني متعددة.

وأما قوله « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأعن من أعانه » فهذا ليس في الأحاديث الصحيحة التي صححها أهل العلم بالحديث ، بل طعن كثير منهم في هذه الزيادة ، قالوا : والواقع يشهد بكذبها لأن النصر والغلبة والاعانة وقع لمن حاربه وقتله ، ومعلوم أن دعاء الرسول ﷺ مجاب ، فلو كان هذا حقاً وصدقاً لوقع الأمر بخلاف ما وقع ، وأنت لا تنكر أن الغلبة والظفر والاعانة كان لمن قاتله وحاربه فبطل ما ذكرت والله الحمد والمنة وأكثر هذه الأحاديث التي ذكرها في أول هذا الاعتراض وآخره قد بين أهل العلم بالحديث أنها كذب موضوعة مقتراة على رسول الله ﷺ .

ثم من العجب استدلاله بكلام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين ذكروا عثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم وما كان منهم فأكثروا وعمر ساكت . فقال القوم : ألا تتكلم يا أمير المؤمنين ؟ قال « لا أقول شيئاً ، تلك دماء طهر الله منها كفي فلا أغمس فيها لساني » اهـ

وهذا هو الذي أراد المحيب لأن الله أثنى عليهم في كتابه جملة قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأثنى على من جاء بعدهم فدعاهم بالمنفرة فقال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم)

فان قات : ان هؤلاء الآيات في السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ،

قلنا جاءتك قاصمة الظهر وهي قوله تبارك وتعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى)

ومعلوم باجماعنا وإجماعكم أن معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ممن اسلم بعد الفتح . والاحاديث الواردة في فضل معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما قد رواها من روى تلك الاحاديث في فضل علي رضي الله عنه وأهل البيت . فإما ان تقبل الجميع وإما ان ترد الجميع ، وأما أن تقبل ما وافق هواك وترد ما خالفه بلا برهان ولا حجة يوافقك عليها اهل المعرفة فهذا تناقض . وقد قال السيوطي أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الصحابي رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال لمعاوية « اللهم اجعله هادياً مهدياً »

وأخرج الامام احمد في مسنده عن العرياض بن سارية سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب »

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال قال لي معاوية (رض) ما زلت اطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ « يا معاوية إذا ملكت فأحسن »

وأخرج الترمذي عن أبي ادريس الخولاني قال لما عزل عمر بن الخطاب (رض) عمير بن سعد عن حمص وولى معاوية (رض) فقال الناس : عزل عميرا وولى معاوية فقال عمير : لا تذكروا معاوية إلا بخير فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم اهده »

وقال آدم عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ « أبناء العاص مؤمنان عمرو وهشام » وقال عبد الجبار ابن الورد عن ابن أبي مليكة قال طلحة قال أحدثكم عن رسول الله ﷺ

٢١٢ كذب الشيعة على معاوية وما أنكره أهل السنة عليه

بشيء إلا أني سمعته يقول « عمرو بن العاص من صالح قريش » وسمعت عليه السلام يقول « نعم أهل البيت أبو عبد الله وأم عبد الله وعبد الله » اه ما ذكره الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه

فصل

واما ما ذكره من احداثات معاوية، منها إلحاقه زياد بن سمية بأبيه - فأهل العلم ينكرون ذلك على معاوية في قديم الزمان وحديثه ، وكذلك اخذ البيعة لابنه الظالم، ينكرون ذلك ولا يرضونه حتى أنكر من أنكر منهم ذلك عليه بنفسه في حياته . وأما قوله : انه أمر سماء السوء بأن يضعوا أحاديث في فضائل الصحابة الذين تقدموا عليه وفي مثالب نبي - فهذا من أظهر الكذب عند الخاصة والعامة من أهل العلم بالاخبار والسير . وأهل الوضع للحديث هم الشيعة كما تقدم ذكره عن أهل الحديث ، وأما لعن علي (رض) فهو من المنكرات وأهل السنة والجماعة ينكرون على من فعله كائن من كان

ومن العجب قوله : ولو لم يقطعه عمر بن عبد العزيز (رض) لبقني في الشام إلى اليوم . فيقال وما يدريك بذلك . أقرأت في اللوح المحفوظ فكتبت هذا الكلام منه ؟ ام بلغك ذلك في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ انه أخبر بذلك فهو الصادق فيما أخبر به ؟ وأيضا أنت ذكرت عن ابن تيمية رحمه الله في أول كتابك وفي هذا الموضع انه لم ينقطع إلا قبل وقته ، فهذا يرد قولك انه لو لم يقطعه عمر لبقني إلى اليوم ، وأيضا أنت كذبت على ابن تيمية فانه لم يقل ذلك ، وابن تيمية رحمه الله أجل من ان يقول مثل هذه الخرافات والجهالات في المنقولات وأيضا من المعلوم المتواتر أن بني أمية بعد موت عمر بن عبد العزيز (رض) استمروا على سب علي ولم ينقطع من الشام ولا من غيره من بلاد الاسلام إلا بعد انقراض دولة بني أمية في ولاية بني العباس

دعوى الزيدى العصمة لعلي كدعوى الامامية النص على امامته ٢١٣

وأما قوله: ومن احدثاته ترك الجهر بسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة - فهذا كذب ظاهر ، وما ذكره عن الرازي دعوى مجردة لادليل عليها ، وأيضاً معارضة بما هو من اصح الاسانيد، وهو ما ثبت في الصحيحين عن انس رضي الله عنه انه قال: صليت مع النبي ﷺ ومع ابي بكر وعمر فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول القراءة ولا في آخرها واما تشريعه الاقامة في صلاة العيدين - فكذب ظاهر، فان الذي احدثه بنو امية بعد معاوية في العيدين هو تقديم الخطبة على الصلاة كما في الصحيحين : ان اول من فعل ذلك مروان بن الحكم فانكر عليه ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين .

فصل

واما دعواه العصمة لعلي رضي الله عنه وقوله (قد حصل القطع بها ولا ينكرها الا مكابر - الى آخره

(الجواب) ان يقال (أولاً) هذه الدعوى من جنس دعوى الامامية بالنص والعصمة لعلي وأولاده ، ومن جنس دعوى الباطنية وجنس دعوى السبائية في محمد ابن علي المعروف بابن الحنفية ، وما أحسن ما قال بعضهم :

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخاف ما يقو ل فحيتي فيه قليسة

وقد تقدم الجواب عن أدلته التي ذكر مفضلاً مبيناً ولكن نذكر فصلاً نختم به كتابنا هذا ، ننقل فيه كلام اهل البيت في الرد على هذا المعترض وأشباهه ليتبين الحق لمن أراد الله هدايته . وأما من أراد الله به الشقاء والخذلان فذلك لا حيلة فيه كما قال تعالى (ومن يرد الله فتنه فلن يملك له من الله شيئاً اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي) الآية

فصل

﴿ في كلام بعض أهل البيت في الثناء على معاوية ﴾

في ذكر شيء من كلام أهل البيت رضي الله عنهم في الثناء على معاوية رضي الله عنه .

من ذلك ما أخرجه غير واحد من أهل العلم أن علياً رضي الله عنه قال « لا تذكروا إمارة معاوية فإنكم لو فقدتموه لرأيتم الرأس تندرج على كواهلها » وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً قال له: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، أنه أوتر بركمة؟ فقال « أصاب أنه فقيه » فهذه شهادة ابن عباس وهو من أكابر علماء أهل البيت

ومن ذلك انسلاخ الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه . قال أبو عمر بن عبد البر في (كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب) في ترجمة الحسن بن علي رضي الله عنه : كان رحمه الله حلماً ورعاً، دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله . وقال: والله ما أحب منذ عرفت ما ينفعني وما يضرني أن ألي امرأمة محمد ﷺ على أن يهراق في ذلك محجمة دم . وكان من المبادرين إلى نصرته عثمان رضي الله عنه والذابين عنه ، ولما قتل أبوه علي رضي الله عنه بايعه أكثر من أربعين ألفاً كلهم قد بايعوا أباه علياً قبل موته على الموت ، وكانوا أطوع للحسن وأحب فيه منهم في أبيه ، فبقي نحو سبعة أشهر خليفة في العراق وما وراءها من خراسان ، ثم سار إلى معاوية وسار معاوية إليه - وذكر ما جرى بينهم ، إلى أن قال - وكان كما قل رسول الله ﷺ « أن بني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وكان أصحاب الحسن يقولون : يا عار المؤمنين فيقول [العار خير من النار] وذكر بأسناده عن أبي روق الهمداني أن أبا العريف حدثه قل: كنا في مقدمة الحسن بن علي اثني عشر ألفاً مستميتين تقطر

ترك الحسن الخلافة لمعاوية وكلامه في امامة والده ٢١٥

أسيافنا من الجدد والحرص على قتال أهل الشام . وعلينا أبو العرطة ، فلما جاءنا صالح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن ، فلما جاء الحسن الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أبا عامر فقال : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال لا تقل هكذا يا أبا عامر فاني لم أذل المؤمنين ، ولكني كرهت أن اقتلهم على طلب الملك قال أبو عمر : وروينا من وجوه أن الحسن بن علي رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه « يا أخي إن أباك رحمه الله لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر رجلا أن يكون صاحبه فصرف الله ذلك عنه ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف إليها وصرفت عنه إلى عمر ، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان ، فلما هلك عثمان بويج ثم نوزع حتى جرد السيف فطلبها وما صفاله شيء منها ، وأني والله ما أرى أن يجمع الله فينا - أهل البيت - النبوة والخلافة ، فلا عرفن ربما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك » انتهى . فانظر رحمك الله إلى كلام هذا السيد وما فيه من الرد على هذا المعارض من دعواه النص على علي رضي الله عنه وغير ذلك من الدعاوى الباطلة يتبين لك مخالفتها لأهل البيت وإن دعواه محبة أهل البيت كذب واقتراء ودعوى لاحقية لها ومن العجب أن يدعي عصمة أهل البيت فيحتج بالأحاديث والآيات على ذلك وانهم كسفيينة نوح وباب حطة ، ثم يخالفهم ويرد كلامهم ولازم كلامه أن فعل الحسن رضي الله عنه من نزوله عن الخلافة ومصالحته معاوية هو سبب افتراق الامة وضلالها ، وإن كلام الحسن لأخيه الحسين رضي الله عنهما كلام باطل بل الواجب على الحسين وغيره من المسلمين الخروج على معاوية رضي الله عنه ومقاتلته وانتزاع الخلافة منه ، ونحن نقول بل الحسن مصيب بار راشد ممدوح وليس يجد في صدره مما صنع حرجا ولا تلوما ولا ندما بل هو راض بذلك مستبشر به ، وإن كان هذا قد ساء خلقا من ذويه وشيعته ولا سيما بعد ذلك بمدد وهلم جرا

إلى يومنا هذا . والحق في ذلك اتباع السنة ، وقد مدحه جده ﷺ كما ثبت في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما بالاسانيد الصحيحة عن الحسن البصري - وكان من سادات التابعين وأفاضلهم - قال : استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية اني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها ، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - : أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور المسلمين ، من لي بنسائهم ، من لي بضيعتهم . فبعث اليه رجلين من قريش من بني عبد شمس فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه ، فأتياه فدخلاه عليه وتكلما وقالاه وطلبا اليه ، فقال لهما الحسن رضي الله عنه « انا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الامة قد عاثت في دماؤها » قالاه فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك ، قال : من لي بهذا ، من لي بهذا ؟ قالاه : نحن لك به ، فما سألهما شيئاً إلا قالاه نحن لك به ، قال الحسن فصالحه . قال الحسن : ولقد سمعت أبا بكره رضي الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ - والحسن بن علي رضي الله عنه إلى جنبه وهو ينظر إلى الناس مرة واليه مرة ويقول « ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »

ففي هذا الحديث الصحيح ان معاوية رضي الله عنه هو الذي طلب اليه الصلح والذي ذكره أهل السير والخبار ان الحسن هو الذي كتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الامر اليه على شروط اشترطها عليه

وقد أخرج الحاكم عن جبير بن نفير قال قلت للحسن ان الناس يقولون انك تريد الخلافة ؟ فقال « قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ، ويسالمون من سالمت ، تركتها ابتغاء وجه الله وحقق دماء أمة محمد ﷺ من أهل الحجاز » أو كما قال

٢١٧ ما كان بين علي ومعاوية (رض) من المهادنة بعد صفين

ففي هذا من الرد على المعارض ما يعرفه كل منصف . وذلك أن هذا المعارض جعل هذا الصالح والاجتماع الذي فعله الحسن بن علي ووافق عليه أهل بيته وجمهور المسلمين هو سبب فساد الامة واقترافها فعلى كلامه يكون الحسن هو الذي تسبب في فساد الامة وظهور الفتن فيها

فإن قال: ألجأه إلى ذلك الخلف والضعف . قلنا: هذا باطل من وجوه كثيرة (منها) ما تقدم من كثرة جيش الحسن رضي الله عنه ومحبة الناس له وانقيادهم معه . وقد بين رضي الله عنه أن الذي حمّله على ذلك هو كف الفتنة وايتار الآخرة على الدنيا ، ولهذا مدحه النبي ﷺ على فعله ذلك .

قال العلماء رحمة الله عليهم: فدل هذا على أن قتال أهل الشام ليس بواجب قد أوجبه الله ورسوله ، ولو كان واجباً لم يدع النبي ﷺ الحسن بتركه . فدل الحديث على أن ما فعله الحسن بن علي مما يحبه الله ورسوله ، وتواترت الاخبار عن علي رضي الله عنه بكرهه القتال في آخر الأمر ، لما رأى اختلاف الناس واختلاف شيعته عليه وتفرقهم وكثرة الشر الذي أوجب أنه لو استقبل من أمره ما استدير . ما فعل ما فعل . وكان يقول رضي الله عنه ليالي صفين «لله در مقام قامه عبد الله بن عمر وسعد بن مالك: إن كان برّاً أن أجره لعظيم ، وإن كان اثماً أن خطره ليسير» وكان يقول لابنه الحسن رضي الله عنه : يا حسن يا حسن ما ظ أبوك أن الامر يبلغ إلى هذا ، ود أبوك لو مات قبل هذا بمشرين سنة»

حتى ذكر ابن كثير وغيره من أهل التواريخ أن في سنة أربعين بعد وقعة صفين جرت بين علي ومعاوية المهادنة على وضع الحرب وأن يكون ملك العراق لعلي ومعاوية ملك الشام ، ولا يدخل أحد على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غيرها ، ذكر ذلك من رواية زياد عن ابن اسحاق . وذلك لأن معاوية رضي الله

عنه بعد أن رجع من صفين إلى الشام ورجع علي رضي الله عنه إلى الكوفة فرق معاوية رضي الله عنه جيوشاً كثيرة في أطراف معاملات علي رضي الله عنه، فبعث النعمان بن بشير في ألفي فارس على عين التمر وبها مالك بن كعب في ألف فارس مسلحة لعلي رضي الله عنه فلما سمعوا بقدم الشاميين ارفضوا عنهم، فلم يبق مع مالك إلا مائة رجل، فكتب إلى علي يخبره بأمر النعمان، فندب علي الناس إلى اغاثته، فثاقلوا عليه ونكّلوا ولم يحببوا إلى الخروج، فخطبهم علي رضي الله عنه فقال في خطبته «يا أهل الكوفة كلما سمعتم بمسير لاهل الشام قد أظلمكم انمحجر كل امرئ منكم في بيته وغلق عليه باب المحجر والضرب في جحره والضرب في وجاره، المغرور من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيبي، لا احرار عند النداء، ولا اخوان ثقة عند الالتجاء، انا لله وانا اليه راجعون، ما هذا ملئت به منكم، عمي لا تبصرون، وبكم لا تنطقون، وصم لا تسمعون، انا لله وانا اليه راجعون» قال أهل الاخبار حتى كره الحياة بينهم وتمنى الموت وكان يكثرون أن يقول «ماذا يحبس أشقاها؟» أي ما ينتظر؟ ماله لا يقتل؟ ثم يقول «والله لتخضبن هذه - ويشير إلى خيته - من هذه - ويشير إلى هامته»

قال ابن كثير: في تاريخه وقد روى ذلك عن النبي ﷺ من طرق كثيرة ثم سرد تلك الطرق

وقال الاعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الارقم قال: خطبنا علي رضي الله عنه قال «نبئت أن قراءكم قد خلعوا الامام، واني والله لاحسب هؤلاء القوم سيظرون عليكم، وما يظفرون عليكم إلا بمصيانكم امامكم وطاعتهم امامهم، وخياناتكم اماناتكم، وأدائهم امانتهم، وافسادكم في أرضكم واصلاحهم في أرضهم، قد بعثت فلانا فخان وغدر، وبعثت فلانا فخان وغدر، وبعثت بالمال إلى معاوية، لو ائتمنت أحدكم على قدح لاخذ علاقته. اللهم ستمتهم وسثموني

ما جرى بعد موت معاوية من فتن قتل الحسين وغيرها ٢١٩

وكرهتهم وكرهوني، اللهم فأرحني منهم وأرحهم مني. قال فما صلى الجمعة الاخرى حتى قتل . انتهى مانقله من تاريخ ابن كثير الذي سماه البداية والنهاية وقد كان رآه عليا رضي الله عنه في دماء أهل القبلة لم يعهده اليه رسول الله ﷺ ولا أمره به ، كما في سنن أبي داود وغيره عن قيس بن عباد قال قلت لعلي . اخبرنا عن مسيرك هذا، عهد عهده اليك رسول الله ﷺ أم رأى رأيته؟ قال « ماعهد إلي النبي ﷺ شيئا » وهذا أمر ثابت عنه، ولهذا لم يروى علي في قتال أهل الجمل وصفين عن النبي ﷺ كما روى في قتال الخوارج، فانه روى هو وغيره من الصحابة في قتال الخوارج أحاديث كثيرة أخرجه علماء أهل السنة كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . قال الامام احمد صح الحديث في الخوارج عن النبي ﷺ من عشرة اوجه .

واما الحديث الذي يروى انه امر بقتل الناكثين والفاسطين والمارقين فقد قال أهل العلم بهذا الشأن انه حديث موضوع على النبي ﷺ

وقد روى البخاري وغيره عن سهل بن حنيف - وهو ممن قاتل مع علي بصفتين « أيها الناس انهموا الرأي على الدين لقد رأيته يوم أبي جندل ، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته ، وما أردت بذلك إلا الخير ، وما رفعنا سيوفنا على عواتقنا الا لاسلمنا بها الى امر نعرفه غير امركم هذا ، ماسددنا خصما إلا انفجر لنا خصم آخر » وذلك لان هذا القتال لم يحصل به مصلحة للمسلمين لافي دينهم ولا في دنياهم ، بل أريقته دماء الوف مؤلفة من المسلمين ، ونقص الخير عما كان ، وزاد الشر على ما كان . ولما تولى معاوية رضي الله عنه الخلافة واستتم له الامر اتفقت الكلمة ، وكان الناس في ولايته متفقين يغزون العدو ويجهدون في سبيل الله فلما مات معاوية رحمه الله جرت قن عظيمة منها قتل الحسين وأهل بيته ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة ثم حصر بن الزبير بمكة ثم لما مات

يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط، وجرت فتنة مصعب ابن الزبير وقتل مصعب، ثم حاصر الحجاج ابن الزبير وقتله، وجرت فتنة لما تولى الحجاج العراق وخرج عليه عبدالرحمن بن الاشعث معه خلق عظيم من القراء، وكانت فتنة كبيرة

وبالجملة فلم يكن ملك من ملوك الاسلام خيراً من معاوية، ولا كان الناس في زمن ملك من ملوك المسلمين خيراً منهم في زمن معاوية إذا نسبت أيامه الى أيام من بعده. وقد روى ابو بكر الاثرم حدثنا محمد بن عمرو حدثنا محمد بن مروان عن يونس عن قتادة قال «لو أصبحت في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي» وكذلك رواه ابن بطة باسناده الثابت من وجهين عن الاعمش عن مجاهد قال «لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي»

ومعاوم باجماع المسلمين انه ليس قريبا من عثمان وعلي رضي الله عنهما فضلا عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فكيف يشبه غير الصحابة بهم والله اعلم، وروى اسد بن موسى قال حدثنا محمد بن مسلم الطائفي عن ابراهيم بن ميسرة قال ما بلغني ان عمر بن عبدالعزيز جلد سوطا في خلافته إلا رجلا شتم معاوية عنده فجلده ثلاثة أسواط

وروى اسد أيضا قال حدثنا ابو هلال قال حدثنا قتادة قال قلت للحسن يا أبا سعيد ان ههنا أناسا يشهدون على معاوية انه من اهل النار. قال : لعنهم الله وما يدرهم من في النار

فقد تبين بما ذكرنا لكل منصف اريب، ولمن له قلب منيب، جمل هذا المعارض وأشباهه بما عليه اهل البيت، وان دعواه اتباعهم ومحبتهم كذب واقتراء، وبمجرد دعوى لاحقيقة لها، كما ان اليهود والنصارى يدعون اتباع أنبيائهم وهم قد خالفوهم وسلوكوا غير طريقهم، وكذلك الامامية والعالية من الرافضة يدعون اتباع علي

وأهل بيته وهم قد خالفوا طريقتهم وسلكوا غير منهاجهم
فقد تقرر وظهور لله الحمد والمنة. ان أسعد الناس باتباع أهل البيت ومحبتهم هم
أهل السنة والجماعة ، القائلون بما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . وقد قال
تعالى (ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) الآية وقال تعالى (قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعون) الآية .

ونسأل الله أن يوفقنا وسائر إخواننا المسلمين لما يحبه وبرضاه من القول
والعمل ، وأن يجنبنا ما يسخطه من الخطأ والزلل ، ويرينا الحق حقاً ويوفقنا الى
اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ، ويوفقنا الى اجتنابه ، ولا يجعله ملتبساً علينا فنفضل
ويذنبني للمؤمن عند الاشتباه أن يلجأ الى الله ويضرع اليه ويدعو بما دعا به
رسول الله ﷺ في صلاة الليل وهو « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اهديني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً انتهى

تم الكتاب

طبع عن نسخة كتب في آخرها :-

وقع الفراغ من نسخه نهار الاربعاء عاشر رجب سنة ١٣٤٣ بقلم الفقير الى
رحمة ربه القدير ، المقر بالذنب والتقصير عبد الرحمن بن محمد بن براك غفر الله
له ولوالديه ولاخوانه المسلمين آمين



﴿ فهرس رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﴾

- ٨-١ الجواهر المضية ، في بيان عقيدة أهل نجد السلفية
 ١٢-٨ رسالة في المسائل الخمس الواجب معرفتها
 ٢٣-١٢ « في النفاق الأكبر والأصغر وصفة المنافقين
 ٣٢-٢٤ « في الشهادتين ودلائل نبوة محمد ﷺ
 ٣٣ « في كلمة التوحيد
 ٣٤ « « « وما تنفي وما تثبت
 ٣٥ مذاكرة الشيخ مع أهل حرّ، لا في كلمة التوحيد، وفيمن يجمع بينها وبين الشرك
 ٤١ رسالة في حقيقة الإسلام ومن خالفه من أدعياء العلم
 ٤٣ ذبيحة المرتد وما يكفر به المسلم

﴿ كتاب جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية ﴾

(تأليف الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب)

- ٥٠ الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما
 ٥٥ مدة الحرب « « «
 ٥٧ (فصل) افتراق الأمة بعد قتل عثمان
 ٥٩ « تفضيل أهل السنة علياً على معاوية
 ٦٣ « انصاف أهل السنة وكذب الروافض
 ٦٥ « وأما قوله ونشأ من هذا الافتراق
 ٧٠ « الأقوال والآراء في القتال بين الحسين ويزيد
 ٧٤ « في بيان ما في مذاهب الزيدية من البدع وقول العلماء في الامام زيد
 ٧٧ « الشيعة المعتدلون من أهل الحديث
 ٧٨ « افتراء الشيعة على أهل السنة
 ٨٤ « في أهواء الشيعة والخوارج في حديث الردة وحديث الوصية

فهرس رسائل الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد عبدالوهاب

٨٧	فصل في تفسير (قل لا أسألكم عليه أجراً) الآية
٨٩	» » » (أما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الآية
٩١	» في أهواء الشيعة في مناقب آل البيت
٩٢	» وأما قوله فلنرجع إلى الكلام على السؤال والجواب
٩٧	» في زعم الزيدي تكفير الوهابي لمن يخالفه
٩٩	» في تفسير آيات الصفات
١٠١	» انكار الزيدي صفة العلو والتوقية والرد عليه
١٠٣	» الاحتجاج بالمرسل ورد دعوى تكفير الوهابية لمن خالفهم مطلقاً
١٠٤	» بدعة انكار القدر وتقديمها على بدعة تأويل الصفات
١٠٦	» في اثبات السلف والحق من أهل السنة للقدر
١٠٩	» في رد ما زعمه من الجهل في رد صفة العلو
١١١	» في شبهة تأويل بعض المتنبي في الصفات
١١٧	» في إبطال زعم الزيدي أن السلف يؤولون الصفات
١١٩	» » » » أن الرسول ﷺ لم يفسر الصفات
١٢٣	» فيمن هو أولى بلقب أهل السنة والجماعة
١٢٥	» في إبطال زعم الزيدي أن الطائفة الناجية هم أهل البيت فقط
١٢٨	» في معنى قول أهل السنة في الصفات: نقرها ونعلم أنها صفات
١٣٨	» رد الامام أحمد على الزنادقة والجهمية
١٤٣	باب بيان ما فصل الله به بين قوله وبين حلقه (من كلام أحمد)
١٥٠	(فصل) في إبطال ما زعمه الزيدي مذهب أهل البيت في الصفات
١٥٢	» » » » » » » في الاستواء
١٥٣	القول عن مصنف السلف في مذهب أهل السنة في الصفات
١٥٣	قول الامام الكرمانى
١٥٤	» » الانرم
١٥٤	» » اسحاق بن ابراهيم
١٥٧	(فصل) في إبطال تأويل الاستواء بالاستيلاء
١٥٩	» » نقض حجة الزيدي من كلام من احتج بهم

فهرس رسائل الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد عبدالوهاب

١٦٤	(فصل) في نقض مازعمه الزيدي من أن أهل البيت جميعا لا يخالفون القرآن
١٦٥	» » لإبطال مازعمه أن النبي ﷺ أسر إلى بعض أزواجه حديثا في الخلافة
١٦٦	زعم الزيدي وسائر الشيعة أن النبي ﷺ أص على تقديم علي في الخلافة
١٨٤	(فصل) في وصف الزيدي والشيعة الامامية بالغلو كالباطنية
١٨٩	(فصل) في كذب ما يروى الشيعة في علي « أنت مني كرامتي من جسدي »
١٩٠	(فصل) في إبطال ما ادعاه أن العمومات الواردة في السنة تنصرف لعلي وحده
١٩٤	(فصل) في كذبهم في دعوى أنهم لو رأوا غير علي ورد فيه من الآثار مثله لقدوه
١٩٤	(فصل) الكلام على حديث عمار « تفلك الفتنة الباغية »
١٩٧	(فصل) زعمه أن أهل السنة قدموا معاوية على علي بالهوى والباطل
٢٠٣	(فصل) في اعتدال أهل السنة بين غلو الشيعة وجفاء التواصب
٢٠٥	(فصل) ضلال مذهب الزيدية في إعن معاوية رضي الله عنه
٢٠٧	(فصل) في الحكم لمعاوية أو غيره من المؤمنين بالجنة
٢٠٦	(فصل) في المغنين بقوله ﷺ « يؤتى برجال من أصحابي فيؤخذ منهم ذات الشمال » وضلال الزيدي في حمله على معاوية
٢٠٨	(فصل) في معنى قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)
٢١٠	(فصل) في إبطال ما استدلل به الزيدي من حديث غدير خم
٢١٢	(فصل) في الجواب على ما ذكر من إحداث معاوية
٢١٣	(فصل) رد دعواه العصمة لعلي
٢١٤	(فصل) في كلام بعض أهل البيت فيثناء علي معاوية

FI 'AQĀ'ID AL-ISLĀM

*MIN RASĀ'IL AL-SHAYKH
MUHAMMAD IBN 'ABD AL - WAHHAB*

&

JAWĀB AHL AL - -SUNNAH AL - NA BAWIYAH

*FI NAQḌ KALĀM AL - SHI'AH WA
AL - ZAYDIYAH*

By

'ABDULLĀH IBN MUHAMMAD IBN 'ABD AL - WAHHAB

EDITED BY

**Revival of arabic culture
committee**

Dar al-Afaq al-Jadida

**Dar al-Afaq al-Jadida
BEIRUT. LEBANON**

FI 'AQĀ'ID AL-ISLĀM

*MIN RASĀ'IL AL-SHAYKH
MUHAMMAD IBN 'ABD AL - WAHHĀB*

&

JAWĀB AHL AL - -SUNNAH AL - NA BAWIYAH

*FI NAQD KALĀM AL - SHĪ'AH WA
AL - ZAYDIYAH*

By

'ABDULLAH IBN MUHAMMAD IBN 'ABD AL - WAHHĀB

Dar al-Afaq al-Jadida
BEIRUT - LEBANON

الكتاب : ١٥ ل.ل.